معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس أصول السُّنَّة

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

شرح أصول السنة للإمام أحمد.

الدرس الأول.

يشتمل هذا الدرس على ما يلي:

1- المقدمات وهي:

ـ المقدمة الأولى : في الحث على الإخلاص في طلب العلم.

ـ المقدمة الثانية : في التعريف بالمؤلف.

ـ المقدمة الثالثة : في التعريف بهذا الكتاب.

ـ المقدمة الرابعة : في بيان أهمية العقيدة ومنزلتها في الإسلام.

2- شرح قول المؤلف (أصول السنة عندنا) واشتمل على:

- شرح معنى هذه الجملة.
- شرح معنى السنة في اللغة والاصطلاح.
- شرح معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح.
- شرح معنى المنهج في اللغة والاصطلاح.
- بيان الفرق بين العقيدة والمنهج .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فالحمد لله الذي منَّ علينا جميعاً بهذا المعهد العلمي القائم على الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وفي تعلم العلم النافع وتعليمه ،ثم نشكر كل من كان له سهم في إنشائه وعلى رأسهم شيخنا أبو الحسن علي الرملي حفظه الله تعالى وجزاه الله خيراً، نسأل الله العظيم التوفيق والقبول والسداد وأن يعيننا على الدعوة إلى الله تبارك وتعالى على منهاج النبوة.

فهذا هو المجلس الأول في شرح أصول السنة للإمام أحمد رحمه الله تعالى ، وقبل أن نشرع في الشرح نمهد له ببعض المقدمات :

المقدمة الأولى : في الحث على الإخلاص في طلب العلم ،

فإن تصويب النية أهم من العمل ،فإنه مما يجب أن تعلموه يا طلبة العلم أن طلب العلم الشرعي عبادة، بل هو عبادة عظيمة لأنه أفضل من جميع العبادات النافلة ،قال الإمام أحمد: (لا شيء يعدل العلم لمن صحت نيته)،وبما أنه عبادة فهذا يعني أنه يجب أن تجعله خالصاً لله عز وجل ،لأنه من شروط قبول أي عبادة كما تعلمون : الإخلاص والسنة ، وأيضاً كونه عبادة فهذا يعني أنك مأجور يا طالب العلم بمجرد أن تطلب العلم حتى ولو لم تصبح عالماً لأن طلب العلم عبادة بذاته ، فإن أخلصت هذا العلم لله فتح الله عز وجل عليك أبواب العلم ،هذا من جهة ،ومن جهة أخرى كان هذا العلمُ- الخالصُ لله- سبباً لدخولك الجنة. مجرد أن تطلبه يقودك إلى الجنة ،والدليل قوله ﷺ :" ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة". هذا الثواب العظيم لمن طلب العلم ،لكنه مشروط بالإخلاص، والإخلاص هو (أن تبتغي بعملك وجه الله)،أي :تطلبه تريد الثواب من الله في الآخرة ، هذا هو الإخلاص في كل عمل نعمله وفي كل عبادة نتقرب بها إلى الله عز وجل ، أن تريد الثواب من الله في الآخرة ، أما من كان يطلب العلم ليقال عنه عالم أو يقال عنه قارئ للقرآن أو يقال عنه حافظ للمتون أو ليتباهى به وليعجب بنفسه وليزدري

غيره ممن لا علم عنده، أو يبحث عن الصدارة والمشيخة وحتى يتجمع حوله الناس،هذه كلها نوايا فاسدة، فهذا توعده الله عز وجل بالنار والعياذ بالله، توعد الله عز وجل المرائين في لعلم الشرعي بالنار كما ثبت عند الإمام مسلم (١٩٠٥) وغيره أن أول الناس يقضى عليه ثلاثة أصناف من الناس ، ذكرهم النبي ﷺ وهم : الشهيد والعالم والمتصدق ، فهذا العالم تعلَّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن لا يريد الثواب من الله إنما يريد الثناء من الناس ،أو يريد الوظيفة والمال والمنصب من حطام الدنيا الفانية، أو يريد التصدر والرئاسة والجاه، وهذه النوايا الفاسدة كثيرة اليوم مع الأسف، فأخبر الرسول ﷺ أن الله أكبه في النار على وجهه ، نسأل الله العافية ، فكان طلبه للعلم سبباً لدخوله النار ، لماذا ؟ لأنه كان لغير الله ، لأنه كان بدون إخلاص ،

والسؤال المهم هنا : كيف أخلص لله في طلب العلم ؟ معنى الإخلاص في كل عبادة عموماً هو كما قلت آنفاً : أن تريد من عملك الثواب من الله في الآخرة ، أن تريد من عملك - أي العمل التعبدي ، العبادة - الثوابَ من الله: لا من غيره، وفي الآخرة: لا في الدنيا -مع بعض الاستثناءات في بعض الأعمال التي جاء فيها جواز طلب الثواب في الدنيا ،ولكن هذا هو الأصل - هذا هو أصل الإخلاص ، أن تريد بعملك الثواب من الله في الآخرة ، ولكن كيف أحقق هذه الغاية ؟ ما هي الوسيلة لتحقيق ذلك، يعني ما هي الوسيلة لتحقيق الإخلاص في طلب العلم بخاصة ،

سئل الإمام أحمد رحمه الله هذا السؤال ، سئل : كيف يكون الإخلاص في طلب العلم يا أبا عبد الله ؟ فقال رحمه الله :" تنوي ترفع الجهل عن نفسك " هذه والله كلمة عظيمة ، هذه أحسن وسيلة تعينك على الإخلاص في طلب العلم ، أن تنوي أن ترفع الجهل عن نفسك فتكون حينئذ نيتك أن تحصل الثواب من الله عز وجل في الآخرة ، قف عند هذه الغاية ، غايتك يا طالب العلم الآن أن ترفع الجهل عن نفسك تعبداً لله ، تريد بذلك الثواب من الله وحده ، فكلنا جاهل إلا من علمه الله كما قال الله عز وجل في الحديث القدسي :" يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته " يجب علينا أن نعترف بهذه الحقيقة لأن الله أخبر بها ، كلنا ضال ، كلنا جاهل ، إلا من علمه الله عز وجل ، ثم يجب عليك أن تسأل الله أن يعلمك وأن تأخذ بأسباب التعلّم ، ومن أسباب التعلم طلب العلم حتى ترفع الجهل عن نفسك ، هذه هي غاية طالب العلم ، وأنت مأجور بمجرد طلب العلم وبمجرد رفع الجهل عن نفسك ، ثم بعد ذلك إذا قضيت عمرك في طلب العلم وإذا زكّاك أهل العلم وأذنوا لك بتعلم غيرك وأذنوا لك بالفتوى فهذا خير على خير ، أما من قفز إلى الإفتاء مباشرة وقفز إلى التحريم والتحليل والتكفير والتبديع والتفسيق ،وتصدر لشرح المتون وهو لا يزال جاهلاً، فهذا عاص لله ورسوله وهذا ظالمٌ لنفسه لأنه قد افترى على الله الكذب، لأنه تكلم على الله بغير علم، وسوف يفسد في الدعوة ولا يصلح فيها شيئاً ، فاستحضروا يا طلاب العلم هذه النية الصالحة وهي

أن تعلم نفسك وأن ترفع الجهل عن نفسك تقرباً إلى الله عز وجل ،لأن الله أمرنا بطلب العلم الشرعي فقال عز وجل :﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ فنحن مأمورون بطلب العلم ،وطلب العلم عبادة كما قلنا آنفاً ، فإذا تعلّمت فإنك تعبد الله كما أراد الله ، وهذه هي البصيرة ، البصيرة أن تعبد الله على نور من الله، فتكون حينئذ من الفائزين الناجين من عذاب الله الذي وقع فيه المراؤون الذين ارادوا بعلمهم الثناء من الناس، والذكر الحسن في الدنيا، وأرادوا بعلمهم الدنيا مِن مال ومناصب وتصدر للمجالس،وغير ذلك من النوايا الفاسدة،

فهذه نصيحتي لكم قبل أن تبدأوا بطلب العلم، نصيحتي لكم أن تصوّبوا النية وأن تستحضروا هذه الغاية الحميدة ، وأن تبعدوا كل نية فاسدة من مطالب الدنيا الفانية ، فوجدت أني لا أستطيع أن أتجاوز هذه النصيحة لأنها على درجة كبيرة من الأهمية ، وفساد النية آفة عظيمة تردي الإنسان والعياذ بالله في النار ، نسأل الله العظيم أن يجيرنا وإياكم منها.

المقدمة الثانية : في التعريف بالمؤلِّف وهو الإمام أحمد بن حنبل ، وهو غني عن التعريف لشهرته وحسن سيرته رحمه الله ، فهو الإمام الرباني أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي ،

- ولد عام أربع وستين ومئة (164) هـ
- وتوفي عام واحد وأربعين ومئتين (241) هـ ،
- فعاش سبعة وسبعين عاماً رحمه الله تعالى ،
- مات أبوه وهو صغير فنشأ يتيماً ربّته أمه وبدأ بطلب العلم وهو في الخامسة عشرة من عمره تقريباً وهذه هي سنة العلماء الماضين أنهم يبدؤون بطلب العلم منذ حداثة أسنانهم ، منذ الصغر ، داوم على الطلب وأدمنه فرفع الله قدره حتى صار إمام أهل السنة والجماعة بلا منازع ، وذلك راجع لفضل الله عليه أولاً ثم لصبره العجيب في المحنة ،
- فقد فاق الإمام أحمد علماء عصره في التمسك بالسنة والصلابة فيها والصبر على ما لقيه في سبيل الدفاع عنها ،
- فاق علماء زمانه حتى لم يكن له نظير في التمسك بالسنة والصبر عليها سيّما أيام المحنة ،
- قال صديقه الإمام علي بن المديني رحمه الله ، قال : " هو أفضل عندي من سعيد بن جبير في زمانه ، لأن سعيداً كان له نظراء ، وإن هذا ليس له نظير " أي: لم يكن له مثيل في الصلابة على السنة يؤانسه،فكان الإمام أحمد رحمه الله غريباً بحق ،
- اشتدت غربته حتى انفرد عن جميع أهل زمانه فكان رحمه الله أمة وحده أي إماماً متفرداً ،

- وقال علي بن المديني فيه أيضاً :" إن الله أيد هذا الدين برجلين لا ثالث لهما : أبو بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة " فكان أحمد جبلاً في السنة صلباً فيها لا يتزحزح ولا يتزعزع أمام رياح الفتن وأعاصيرها إذا عصفت بالناس ، فثبته الله في الفتن والمحن حتى فاق علماء عصره رغم كثرتهم، ورغم غزارة علومهم ،ورغم شدة تقواهم ،فاقهم في المحنة التي جرت له بسبب مسألة خلق القرآن ،مسألة هل القرآن مخلوق ،فصبر على العذاب الأليم رحمه الله وصبر على السجن فرزقه الله الثبات على الحق وصبّره عليه صبراً لا نظير له في عصره ، ناظره خصومه فهزمهم وحده وهم جمع كثير، وكان مكبلاً ومثقلاً بالحديد ومع ذلك كان يناظرهم ويغلبهم ويقيم عليهم الحجة ،فما كان منهم إلا أن لجأوا إلى حيلة العاجز المهزوم ، لجأوا إلى تعذيبه وتجويعه حتى مكث أول ثلاثة أيام بلياليها لا يذوق طعاماً ولا شراباً... واستمرت هذه المحنة مدة عصر المأمون حتى مات ،ثم المعتصم حتى مات ،ثم الواثق حتى مات ،ثم جاء المتوكل فرفع الله في عصره راية السنة ورفع الله البلاء عن أحمد وانتهى أجل المحنة الذي قدره الله لها ،ولكل أجل كتاب ، انتهت المحنة فخرج أحمد من هذه المحنة وهو إمام أهل السنة والجماعة كما قال تعالى :﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين " ،

صبر الإمام أحمد رحمه الله على الابتلاء في الدين، ثم جاءه الابتلاء بالدنيا وهو شيخ كبير في آخر حياته في عصر المتوكل ،عرض عليه المتوكل المال والسلطان والرئاسة والجاه وحاول جاهداً أن يقربه منه فأبى ،وأغدق عليه الأموال فردها ولم يأخذ منها شيئاً ،وكانت هذه المحنة الثانية مثل الأولى أو أشد على أحمد حتى كان يقول رحمه الله :" لو كانت نفسي بيدي لأرسلتها " يعني كان يتمنى الموت من شدة خوفه من انفتاح الدنيا عليه ، فظل صابراً زاهداً بهذه الدنيا وزخارفها حتى خرج منها رحمه الله.

ومن شاء أن يستزيد من سيرة هذا الإمام فعليه بكتاب "**الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية**" لابن بطة العكبري ، وكذلك كتاب "**سير أعلام النبلاء**" للذهبي.

المقدمة الثالثة : في التعريف بهذه الرسالة ،

للإمام أحمد عدد من الكتب منها : المسند المعروف ، والرد على الجهمية والزنادقة ،وكتب عنه ابنه عبدالله كتاب "السنة" المعروف بكتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ، وأيضاً له هذه الرسالة التي بين أيدينا مما كتبه الإمام أحمد أو قاله والمسماة :"أصول السنة" وتسمى أيضاً "رسالة عبدوس بن مالك العطار عن الإمام أحمد" سميت بهذا الاسم الثاني لأن راويها عنه هو عبدوس بن مالك العطار وهو أحد تلاميذه ، والاسم الأول أشهر وهو "أصول السنة" ، وهذا الاسم مأخوذ من قول الإمام أحمد في مطلع الرسالة):

أصول السنة عندنا. . . . كذا وكذا) فسميت بأول لفظة فيها ، وهي رسالة موجزة في ألفاظها لكنها غزيرة في معانيها وقواعدها ، عظيمة القدر عند أهل العلم لأنها استوعبت مجمل العقيدة الصحيحة ،وتعد من كتب العقيدة والمنهج المهمة.

وهي ثابتة عن الإملام أحمد،فقد وردت عنه من عدة طرق :

إحداها طريق اللالكائي بسنده عنه، فمن أراد أن يرجع إلى المتن يرجع إلى كتاب اللالكائي وهو :"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" في الجزء الأول صفحة 340 في النسخة التي عندي. وأيضاً وردت من طريق ثانية : طريق ابن أبي يعلى في "طبقات الحنابلة" ، والطريق الثالث ما وجده الشيخ الألباني رحمه الله في المكتبة الظاهرية بدمشق ، وجدها مخطوطة فكتبها بخط يده وهي عن الشيخ أبي المظفر عبدالملك الهمَداني بسنده عن الإمام أحمد ، ثم نشرها الشيخ الألباني وهي مطبوعة ،

فهذه الرسالة ، رسالة "أصول السنة" ثابتة إن شاء الله عن الإمام أحمد بمجموع طرقها.

وهذه الرسالة تمتاز بخصائص لا تجدها في غيرها من كتب العقيدة ، هذه الخصائص :

- أولها : أن مؤلفها هو الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة ، الإمام الذي أجمعت الأمة على إمامته ورسوخه في العلم بعامة وفي السنة خاصة ،فقوله رحمه الله قول فصل ،بل قوله محنة يمتحن به الناس.

- والميزة الثانية والخصيصة الثانية التي تمتاز بها هذه الرسالة : هي أن أكثر مسائلها محل إجماع عند أهل السنة والجماعة.

- والميزة الثالثة : أنها تمتاز باختصارها فهي موجزة قليلةٌ ألفاظها ، مما يسهل فهم العقيدة وييسر حفظها لمن أراد ذلك،ولا ألزم أحداً بحفظها،فمن حفظها فهذا أفضل ومن لم يحفظها فلا بأس عليه.

المقدمة الرابعة : في بيان أهمية العقيدة ومنزلتها في الدين : ونقف وقفة طويلة نسبياً مع هذه المسألة لأن العقيدة لها شأن عظيم في دين الله عز وجل فيجب على طالب العلم أن يولي العقيدة أكثر اهتمامه ،وموضوع هذه الرسالة هو في العقيدة والمنهج ،ولذلك لا بد أن تعرف يا طالب العلم أهمية العقيدة في دين الله تبارك وتعالى وأن تعلم أنها أهم علوم الشريعة، فالعقيدة أهم علوم الشريعة على الإطلاق ، ومن أهمية العقيدة :

- الأهمية الأولى : أن العقيدة سبيل النجاة عند الله عز وجل.

هذا أمر في غاية الأهمية، العقيدة هي سبيل النجاة عند الله عز وجل ،لأن من زاغ عن العقيدة الصحيحة بعد أن بلغته فهو هالك مع الفرق الهالكة، الناكبة عن الصراط المستقيم ،وهذه الحقيقة مما لا يجوز أن يجهله مسلم فضلاً عن طلبة العلم، و الدليل على هذا الحديث المعروف ،حديث الافتراق، قال الرسول

ﷺ:" ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة " قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال : " من كان على ما أنا عليه وأصحابي " أي ما كان عليه الرسول ﷺ من العقيدة ومن السنة، فقد أخبر النبي ﷺ ان الافتراق واقع لا محالة في هذه الأمة ، وأخبر أن أكثر الفرق في النار، نعوذ بالله منها، وأخبر أن الفرقة الناجية هي فرقة واحدة، وأخبر أن هذه الفرقة هي من تمسك بعقيدة رسول الله ﷺ وأصحابه و بمنهجهم وبسنتهم وبطريقتهم ، فكان لزاماً على الناصح لنفسه أن ينظر في عقيدته جيداً وأن يعتني بها جيداً وأن يصفيها مما قد يشوبها من شرك أو بدع وخرافات أو زيغ حتى لا يتنكب الصراط، فيضل ثم يهلك والعياذ بالله ،ولا يمكن للمرء أن يستقيم على صراط الله المستقيم - الذي هو سبيل النجاة- إلا بالعلم النافع والعمل الصالح ،إلا بالعلم النافع المثمر للعمل الصالح ،ومما لا شك فيه ان رأس العلوم النافعة هو علم العقيدة.

ولأهمية العقيدة فقد أطلق عليها أهل العلم أسماء متعددة فسمّوها: علم التوحيد، وسموها المنهج، وسموها السنة، والشريعة ، والإيمان ،والاعتقاد ،جميع هذه الأسماء تطلق على العقيدة لأهميتها ،لأن من عادة العرب أن تعدد أسماء الشيءِ الذي تعظمه.

الأهميه الثانية للعقيدة: أن العقيدة يجب أن تسبق العمل.

هذا من شدة أهميتها،لأن العمل لا يصح بلا عقيدة صحيحة، قال تبارك وتعالى :﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ ، ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ : هذا أمر بالتوحيد أولاً ، فأمر الله نبيه بالتوحيد أولاً ، ثم قال :﴿ واستغفر لذنبك ﴾ هذا أمر بالعمل ثانياً ، وهو الاستغفار هنا في الآية ، فلا يصلح أن يكون الإنسان مشركاً ويستغفر الله ، لا يصلح ، لا يقبل منه استغفاره ، ولا تقبل منه صلاته ولا صدقته إذا كان على عقيدة الشرك وإذا كان على عقيدة فاسدة ، فيجب أن تسبق العقيدة العمل.

الأهمية الثالثة للعقيدة: أن العمل المبني على عقيدة صحيحة يُقبل.

أما العمل المبني على عقيدة فاسدة فلا يقبله الله ولو عبده ألف عام به ، فالمصيبة كل المصيبة أن يعقد الإنسان قلبه على عقيدة فاسدة وأن يعيش كل عمره يدافع عنها وقد يموت لأجلها وهي لا شيء ، سراب في سراب ، لأنه بناه على باطل ، مثال هذا عبّاد القبور من هذه الأمة ، عباد القبور من الصوفية و الرافضة الذين يذبحون للأموات و يدعونهم ويستغيثون بهم ، كل هذا لا ينفعهم بل يضرهم والعياذ بالله ، وكذلك الحزبيون الذين يعيشون حياتهم على الولاء والبراء لأجل الحزب لا لأجل الله ورسوله ، يعيشون حياتهم لأجل حزبهم ، فهؤلاء والعياذ بالله بنوا عملهم على معتقد فاسد ، ولذلك ولخطورة هذا الأمر ، خطورة أن يبني الإنسان عمله على معتقد فاسد ، فإن الله سمّى النصارى في سورة الفاتحة بالضالين لأنهم عملوا

بعقيدة فاسدة ،وأيضاً يدخل معهم كل من يشبههم من المسلمين فهو ضال مثلهم ، مثل عباد القبور والحزبيين ، وأيضاً اليهود لم يعملوا بعلمهم ، على النقيض من هؤلاء ، عندهم علم لكنهم لم يعملوا بعلمهم ، فهم مغضوب عليهم ، ويدخل معهم من شابههم من المسلمين من الذين لا يعملون بالشريعة ، أما الصنف الذي زكاه الله عز وجل فهم المنعمُ عليهم الذين تعلموا العلم النافع وعملوا به ، أي اعتقدوا العقيدة الصحيحة وعملوا العمل الصالح ، اعتقدوا المعتقد الصحيح وعملوا العمل الصالح ،فأولئك هم المنعم عليهم ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ ،

فهؤلاء المنعم عليهم هم الذين قال الله عز وجل عنهم : ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾ نسأل الله أن نكون منهم.

الأهمية الرابعة للعقيدة : أن العمل بلا عقيدة سرعان ما يضعف ثم يزول.

لا يداوم الإنسان على عمل اذا لم يكن ناتجاً هذا العمل عن عقيدة صحيحة ، ولكن إن اعتقد الإنسان شيئاً داوم عليه ودافع عنه ومات دونه ، ألا ترى أن المشركين ماتوا في سبيل حجارة عندما اعتقدوا أنها تنفعهم وتضرهم ، هذا مع أنه اعتقاد فاسد فما بالك إن كان الاعتقاد حقاً لا شك فيه وكان مبنياً على نور من الله عز وجل ؟ ولذلك فالعقيدة الصحيحة سبب للثبات على العمل والمداومة عليه ، العقيدة الصحيحة سبب للثبات على العمل ، وأنا أرى كثيراً من الناس في زماننا ينتكسون والعياذ بالله و يصابون بالفتور ويتركون الالتزام بالشريعة ، ذلك ناتج عن جهلهم بالعقيدة ، ولو عرفوا الله عز وجل وعرفوا صفات الله تبارك وتعالى وعرفوا ما أعد الله عز وجل للطائعين وعرفوا ما أعد الله للعصاة لما انتكسوا بهذه السرعة ، ولكن ذلك ناتج عن الجهل بالعقيدة الصحيحة.

ولذلك فإن الله عز وجل أمر بالتوحيد أولاً ثم بالعمل ثانياً فقال سبحانه:﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ :

هذا أمر بالتوحيد أولاً وبالعقيدة عموماً ، قال :﴿ واستغفر لذنبك ﴾ فالعمل يأتي بعد العقيدة ، حينئذ يداوم الإنسان على العمل ولا يتركه حتى يموت.

لهذه الأسباب ولغيرها مما لم نذكره في أهمية العقيدة يجب على المسلم الناصح لنفسه أن يتعلم العقيدة الصحيحة ، ويجب أن يتعلمها بأدلتها ، هذا أمر مهم جداً ، أن تتعلم العقيدة بأدلتها حتى لا تختلط عليك العقيدة الصافية مع الآراء الفاسدة ، ولذلك فإن الرسول صلى الله عليه و سلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم بذلوا دماءهم وأموالهم وبذلوا أعمارهم أفنوا اعمارهم وتركوا أوطانهم وأولادهم في سبيل هذه العقيدة الصافية ، في سبيل تعليمها للأمة كما أرادها الله تبارك وتعالى ،وكذلك شرع الله عز وجل الجهاد

بالمال والنفس ، وشرع الهجرة من الأوطان ، وشرع معاداة الأهل والخلان ،في سبيل حماية جناب العقيدة والتوحيد والسنة.

ولمّا علم أهل العلم أهمية العقيدة فقد اعتنوا بها واهتموا بها اهتماماً بالغاً ، فصنفوا المصنفات الكثيرة في تأسيس العقيدة من جهة، وفي شرحها من جهة ،وفي رد شبهات أهل البدع من جهة ، فألفوا الكتب الكثيرة في ذلك ، ومنهم من عُذّب في سبيل هذه العقيدة ومنهم من سُجن، ومنهم من قُتل ، كل ذلك في سبيل الدفاع عن العقيدة الصحيحة الصافية التي كان عليها الرسول ﷺ وأصحابه لأنها سبيل النجاة كما ذكرنا من قبل ، ولذلك فالواجب على الأمه اليوم عموماً وعلى طلبة العلم والعلماء خصوصاً أن يعتنوا بالاعتقاد الصحيح تعلّماً وتعليماً وبياناً للأمة ، وهذا الوجوب هو واجب كفائي ، أي هو فرض كفاية ، يعني يجب أن يقوم به من يكفي الأمة في هذا الباب وإلا أثم كل من كان قادراً على ذلك ولم يفعل ، كل من كان قادراً على طلب العلم وأعرض عنه أو تعلّم هذا العلم ولم يدع إليه فإنه واقع في هذا الحرج، فلا يمكن محاربة البدع إلا بالعلم النافع ، فإن البدع بدأت تطلّ بقرونها في اواخر عصر الصحابة ، ولكنها ظلت مكبوتة لقوة الحق واشتهاره بين المسلمين ، كان الحق قوياً ظاهراً فلما انقرض عصر الصحابة وضعف الحق بدأت البدع تنتشر ، وصارت الشبهات تقوى وتشتد ، فتصدى لها جند الله البواسل من اهل العلم الناصحين الربانيين الراسخين في دين الله تبارك وتعالى ، فهم بحق ورثة الأنبياء ، فجزاهم الله عنا وعن كل مسلم خيراً ، فإننا اليوم ننعم بالمعتقد الصحيح بفضل الله تبارك وتعالى أولاً ، ثم بفضلهم ، وعلى رأس هؤلاء العلماء الصحابة ، ثم بعد الصحابة علماء الأمة وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل الذي حفظ الله به الملة ، وإلا لكنا اليوم على عقيدة الجهم بن صفوان أو عقيدة شيخه الجعد بن درهم والعياذ بالله ، وهي عقيدة فاسدة ، بل هي الكفر بعينه ، وكذلك عقيدة أفراخهم وأذنابهم من الجهميه والمعتزلة والرافضة والصوفية والمرجئة والمشبهة والمعطلة والحلولية ، كل هؤلاء من الفرق الهالكة نعوذ بالله ، فاللهم لك الحمد كله على جميع النعم بعامة وعلى نعمة الإسلام ونعمة السنة خاصة ، فهذه والله أجل وأفضل النعم ، نعمة السنة من أجل النعم بعد الإسلام.

ثم نبدأ إن شاء الله تعالى بشرح المتن.

قال المؤلف رحمه الله تعالى :(أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والإقتداء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة.....)

قوله :(**أصول السنة عندنا**) أي أركان العقيدة والمنهج عند أهل السنة والجماعة ،هذا معنى هذه الجملة، ثم نقف عند هذه الجملة ونشرحها بالتفصيل إن شاء الله تعالى ﴿ ﴾

لفظ (أصول) هو جمع أصل والأصل ضد الفرع ، الأصل في اللغة هو(الأساس الذي يبنى عليه غيره).كما

قال تعالى :﴿ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾، أصل الشجرة جذرها وأساسها ، وأصول السنة : أساساتها وقواعدها وأركانها التي تقوم عليها ، فالخلاصة أن معنى أصول السنة أي أركانها ، الأصول هنا معناها الأركان ، هذه هي الخلاصة.

لفظ (السنة) المراد به هنا (العقيدة والمنهج) ،هذا معناها هنا وإليك مزيد بيان لمعناها.

السنة في اللغة هي :الطريق.

وأما (السنة) في الاصطلاح فتطلق على عدة اصطلاحات ويختلف معناها في الاصطلاح بحسب الطائفة التي تستعمله ، وسنذكر إن شاء الله تعالى هذه الاصطلاحات كلها وهي:

1- **السنه في الشرع هي :(الشريعة كلها)**.

قال ﷺ :" من رغب عن سنتي فليس مني " أي من رغب عن شريعتي ، أي طريقتي الشرعية التي أنا عليها من عبادات ومعاملات و أخلاق وعقيدة وكل شيء ، فالسنة في الشرع ، يعني في كلام النبي صلى الله عليه و سلم المقصود بها الشريعة كلها.

2- الاصطلاح الثاني: السنة عند الفقهاء.

السنة في كلام الفقهاء معناها (المندوب)، يعني النوافل والمستحبات التي يثاب فاعلها ولا يأثم تاركها ، مثال ذلك :استعمال السواك عند الصلاة ، هذا مندوب ، نقول السواك سنة يعني مستحب ، مَن فعلَه فله أجر ومن لم يفعله فلا إثم عليه.

3- الاصطلاح الثالث: السنة عند المحدثين :

السنة عند المحدثين هي (الخبر المرفوع إلى النبي ﷺ)، هي الحديث النبوي ، قال أهل الحديث : (السنة هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية)، هذا كله من السنة عند المحدثين ، وستعرفون هذا التعريف بالتفصيل في شرح البيقونية إن شاء الله تعالى ،

4- والاصطلاح الرابع : السنة عند الأصوليين :

السنة عند الأصوليين هي (الدليل الشرعي)، لأن الأصوليين يبحثون في أدلة التشريع ، فقالوا : (السنة هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير) وأخرجوا الصفات الخَلقية والخُلُقية ، لأن مرادهم الدليل الشرعي فقط.

5-الاصطلاح الخامس: تطلق السنة أيضاً ويراد بها الاتباع الذي هو ضد البدعة.
وهذا اصطلاح مستعمل عند السلف الصالح، ومستقر عند المتأخرين إلى يومنا هذا ، تقول السنة يعني في مقابل البدعة ، تقول هذا من السنة يعني ليس من البدعة ، هذا أيضاً اصطلاح معتبر ، ولكن الاصطلاح الآتي أشهر وأهم.

6- والاصطلاح السادس والأخير -وهذا هو الذي يهمنا- :
السنة عند السلف الصالح :هي (العقيدة والمنهج)، هذا الذي يهمنا.
العقيدة في اللغة من العقد وهو الربط بقوة ، وفي الاصطلاح هي(ما عقد العبد عليه قلبه)، فإذا اعتقد الإنسان شيئاً يعقد عليه قلبه ولا يحيد عنه.
أما المنهج : فالمنهج في اللغة هو (الطريق الواضح الواسع) ، والمنهج في الاصطلاح هو (الشريعة كلها).
بذلك يتبين لنا ما هو الفرق بين العقيدة والمنهج : فالعقيدة أحد أفراد المنهج فهي خاصة بالمعتقد ، أما المنهج فهو عام ، يشمل الشريعة كلها ، المنهج يشمل العقيدة والفقه والمعاملات والأخلاق وغير ذلك ، قال تبارك وتعالى :﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ﴾، قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره :" اي جعلناك على طريقة وسنة ومنهج " ، فالشريعة في هذه الآية تعني المنهج الذي جاء به محمد صلى الله عليه سلم ، شريعة محمد هي منهجه وسنته وطريقته ، وقال تعالى :﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ أي سبيلاً وسنة ، فالمنهاج هنا السنة ، أي سنة محمد صلى الله عليه و سلم و طريقته.

والخلاصة أن السنة عند السلف تطلق على ما يقابل البدعة أي الاتباع، وتطلق على العقيدة المنهج ، تطلق على عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة ، هذا الذي يجب أن نحفظه ونعرفه جيداً ، أُعيد : أن السنة عند السلف تطلق على العقيدة والمنهج ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، وتطلق على المنهج ، منهج أهل السنة والجماعة ، وتطلق ويراد بها الاتباع أي ضد البدعة.

انتهينا من شرح لفظ السنة، عرفنا أن السنة هي العقيدة والمنهج، وأنها ضد البدعة.

الآن نريد أن ننتقل إلى لفظ المنهج قليلاً، لأن له ارتباط بالسنة :

لفظ المنهج إذا أطلق – يعني إذا ذُكر وحده ولم يقيد بشيء - فإنه يعني(الشريعة كلها).
لكن إذا قيد وقيل(منهج أهل السنة والجماعة): فالمقصود (طريقة أهل السنة والجماعة).
هذا ما استقر عليه الاصطلاح إلى يومنا هذا ، وبذلك نعرف ما معنى قولنا في البداية أن السنة هي(العقيدة والمنهج)،أي عقيدة أهل السنة والجماعة وطريقتهم في فهم الشريعة والعمل بها.

نقف عند هذا الحد ونكتفي بهذا القدر ونكمل إن شاء الله تعالى في شرح هذا المتن في المجلس القادم ، نسأل الله القبول و السداد ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس الثاني من شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل

الدرس رقم (2) التاريخ: الاثنين 1440/3/18 هـ 2018/11/26 م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه،

أما بعد :

فهذا هو المجلس الثاني من شرح أصول السنة للإمام أحمد رحمه الله تعالى ولا نزال في شرح قول المؤلف رحمه الله: **(أصول السنة عندنا).**

لم نفرغ من شرح هذه الجملة في المجلس الماضي لضيق الوقت: وعرفنا بحمد الله تعالى في المجلس السابق عدة تعريفات ومسائل مهمة، أهمُّها:

- أن السنة في اصطلاح السلف الصالح تعني العقيدة والمنهج، وتعني أيضاً الاتباع وهو ضد البدعة، فهذان الاصطلاحان للسنة مستعملان إلى يومنا هذا.
- وعرفنا أن المنهج يطلق ويراد به الشريعة كلها، ويطلق ويردا به طريقة أهل السنة والجماعة، أي طريقتهم في فهم الشريعة والعمل بها، ولا نزال إلى يومنا هذا نقول عن كل من خالف طريقة أهل السنة، نقول: إنه ليس على المنهج.
- وعرفنا أيضاً الفرق بين العقيدة والمنهج، وهو أنّ المنهج أعم.
- وعرفنا أهمية العقيدة في الإسلام.
- وعرفنا أهمية الإخلاص في طلب العلم هذا ملخص المجلس السابق.

ونضيف في هذا المجلس إن شاء الله تعالى مسألة أخرى تتعلق بالسنة، تتعلق بالجملة الأولى، وهذه المسألة هي بيان أهمية السنة عند السلف الصالح، أهمية السنة عند السلف الصالح، فقد أطلقوا على العقيدة والمنهج اسم السنة،

فلماذا عبر السلف الصالح عن العقيدة والمنهج باسم السنة تحديداً، وسموا الفرقة الناجية أهل السنة؟

الجواب: لأن الفرقة الناجية تتميز عن الفرق الهالكة بالتمسك بالسنة، فإن أكثر مسائل الاعتقاد والمنهج التي أنكرها أهل البدع، هي المسائل التي جاءت عن طريق السنة، وليس القرآن، فالقرآن لا خلاف عليه عن جميع أهل القبلة، فهو حجة عند الجميع ومتواتر عن الجميع.

أما السنة فإن الفرق الهالكة رفضوها، رفضوا السنة إذا لم توافق أهواءهم، ورفضوا فهم الصحابة اتباعاً لأهوائهم، وتمسكت الفرقة الناجية بالسنة وبفهم الصحابة رضي الله عنهم، ولذلك سَمّوا العقيدة

والمنهج بالسنة، لأن الخلاف إنما وقع في السنة وليس في القرآن كما قلنا.

ولأهمية العقيدة ولأهمية السنة عند السلف الصالح، فقد اشتهرت كتب العقيدة والمنهج عندهم بهذا الاسم، اشتهرت عندهم باسم السنة،

فَكُتُبُ السنة المراد بها العقيدة والمنهج، مثل:

السنة للبربهاري، والسنة للخلال، والسنة لابن أبي عاصم، والسنة لعبد الله ابن الإمام أحمد، وأيضاً هذا الكتاب الذي بين أيدينا وهو **أصول السنة**، للإمام أحمد، فالمراد بالسنة في جميع هذه الكتب العقيدة والمنهج، أي عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة، التي خالفوا فيها أهل البدع، أو التي خالف فيها أهل البدع، وتنوعت اسماء الكتب التي صُنّفت في العقيدة والمنهج، يعني لم يقتصروا على هذا الاسم السنة، بل تنوعت الاسماء لأهميتها عندهم،

من هذه الكتب التي صُنّفت:

- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي**، والمقصود أصول السنة والمنهج عند أهل السنة والجماعة.
- وأيضاً كتاب **الشريعة للآجري**، الشريعة أي: أصول الشريعة، أي أصول العقيدة والمنهج، وهذان الكتابان أنفس كتابين في العقيدة بعامة، وفي المنهج بخاصة، كما قال شيخنا الرملي حفظه الله تعالى.
- وأيضاً من الكتب كتاب **الإبانة عن عقيدة الفرقة الناجية**، لابن بطة العكبري، أي: الإبانة عن عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة.
- وأيضاً كتاب **الإيمان لأبي عبيد القاسم بن** سلاّم، الإيمان أي: أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة، أي أصول عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة.
- وأيضاً كتاب **التوحيد لابن خزيمة**، أي: أُصول التوحيد عند أهل السنة والجماعة، أي عقيدتهم ومنهجهم.
- وأيضاً كتاب **العقيدة الواسطية لابن تيمية** رحمه الله، قرر فيها عقيدة ومنهج أهل والجماعة.
- وأيضاً **لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي** قرر فيها عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة بإيجاز.
- وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة التي أُلفت في السنة.

بهذا ترى أهمية السنة عند السلف الصالح، وتكمن أهميتها في أن السنة هي أهم ما يميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة، أي تميز أهل السنة بعقيدتهم ومنهجهم التي ثبتت بطريق السنة، العقيدة والمنهج إنما

ثبتت بطريق السنة، هذه هي أهمية السنة عند السلف الصالح،

أما قول المؤلف رحمه الله: (عندنا):

فالمقصود عند أهل السنة والجماعة، وليس مراده عند الحنابلة،

ليس مراده المذهب الفقهي الحنبلي لسببين:

السبب الأول: لأن هذا الكتاب في العقيدة والمنهج وليس في الفروع الفقهية.

والسبب الثاني: لأن اسم الحنابلة هذا اصطلاح جاء بعد الإمام أحمد، فقد حصل تمذهب بعد الأئمة الأربعة وليس في زمنهم.

وبذلك يتبين لنا أن قوله رحمه الله: (أصول السنة عندنا):

معناه أركان العقيدة والمنهج عند أهل السنة والجماعة، هذه هي الخلاصة في هذه الجملة.

الأصل الأول

والآن ننتقل إلى الأصول التي سيذكرها أصلاً تلو أصل في هذا الكتاب،

فما هي هذه الأركان؟ ما هي أصول السنة؟

يقول المؤلف رحمه الله في الأصل الأول منها:

(التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم)، هذا الأصل الأول من أصول السنة، وهذا الأصل يشتمل على أصلين من أصول أهل السنة، كما سيتبين لنا إن شاء الله.

وهذا الكلام من الإمام أحمد كلام متين لأنه من هذا الإمام الراسخ في السنة، فهذا والله كلام متين فهذا الأصل هو الفارق الأعظم بين أهل السنة وبين أهل الأهواء والبدع هذا أعظم فارق بيننا وبينهم ولذلك بدأ الإمام أحمد به وعبر عنه بألفاظ منتقاة، انتقى الألفاظ حتى يُجمل أصلين في هذا الأصل.

فقال رحمه الله: **(التمسك)** أي: الاعتصام.

وقال: **(بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ)** أي: بالكتاب والسنة، لأن الصحابة كانوا على ماذا، كانوا على الكتاب والسنة.

قال: **(والاقتداء بهم)** أي: واتباع منهجهم، أي: اتباع طريقتهم في فهم الشريعة والعمل بها، هذا هو المعنى الإجمالي لهذا الأصل،

فأصبح معنى هذا الأصل عندنا معناه:

الاعتصام بالكتاب والسنة واتباع منهج الصحابة، ولك أن تقول: الاعتصام بالكتاب والسنة وبفهم الصحابة، أليس هذا شعارنا اليوم؟، هذا هو شعار المنهج السلفي الكتاب والسنة بفهم الصحابة، بفهم

سلف الأمة.

ولكن هنا مسألة مهمة:

لماذا عبر الإمام أحمد رحمه الله بتلك الألفاظ بالذات، فقال: (التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم)،

ولم يقل الاعتصام بالكتاب والسنة وبفهم الصحابة مباشرة، عبر عن التمسك بمذهب، عفوا عبر عن الاعتصام بالكتاب والسنة بقوله التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله؟

الجواب: والله أعلم أراد أن يجعل منهج الصحابة أصلاً من أصول السنة، هذا مراده رحمه الله، أراد أن يجعل منهج الصحابة أصلاً من أصول السنة،

كيف ذلك؟ ذلك لأنه عبر عن الكتاب والسنة بقوله: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ولم يقل: التمسك بالكتاب والسنة مباشرة،

بل قال: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله، فأراد بهذا أن يعظم منهج الصحابة وأن يجعله أصلاً من أصول السنة، فاتباع منهج الصحابة هذا أصل عظيم من أصول السنة، وهو أهم ما يميز أهل السنة والجماعة عن غيرها من الفرق، اتباع منهج الصحابة أهم ما يميز أهل السنة والجماعة عن غيرها من الفرق.

وقد يقول قائل قد قررت في الجملة السابقة وهي جملة: (أصول السنة عندنا)، قررت أن أهم ما يميز منهج الصحابة عفواً، قررت أن أهم ما يميز منهج أهل السنة والجماعة هو اتباع السنة،

وأنت الآن تقول أن أهم ما يميز منهج أهل السنة والجماعة هو اتباع منهج الصحابة، فنقول: لا تعارض بين التعبيرين، لا تعارض بين الأمرين، لأن اتباع منهج الصحابة يتضمن اتباع الكتاب والسنة ولذلك عبر الإمام أحمد عنه به.

بل ويزيد بفائدة عظيمة:

التعبير باتباع منهج الصحابة يزيد على التعبير باتباع السنة بفائدة أخرى: وهي أنك تضمن أن تفهم الكتاب والسنة على مراد الله ورسوله، إذا اتبعت منهج الصحابة فإنك تكون متبعاً للسنة، ويزيد على ذلك أنك تضمن أن تفهم الكتاب والسنة على مراد الله ورسوله.

لأن الصحابة فهمهم أقرب لمراد الله من فهم ممن بعدهم، وهذه أعظم فائدة لاتباع منهج الصحابة،

ولذلك جعله الإمام أحمد أصلاً من أصول السنة، يعني جعله ركناً من أركان العقيدة والمنهج عند أهل السنة والجماعة، فعبر عن التمسك بالكتاب والسنة به، فقال: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، هذا لتعظيم منهج الصحابة لتعظيم اتباعهم.

فما معنى هذا الأصل؟ اتباع منهج الصحابة معناه:
أن نفهم الشريعة كما فهموها، وأن نعمل بالشريعة كم عملوا بها،
فما كان ديناً عند الصحابة فهو الدين،
وما لم يكن ديناً فليس بدين، بل بدع ومحدثات.
ولذلك فإن قول الإمام أحمد: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، قلنا إن هذا الأصل هو الأصل الأول، وفي الحقيقة هذا الأصل اشتمل على أصلين من أصول السنة كما قلت في بداية المجلس،
هذان الأصلان هما:
الأول: هو التمسك بالكتاب والسنة، لأن ما كانوا عليه، لأن ما كان عليه الصحابة هو الكتاب والسنة.
والأصل الثاني: **التمسك بمنهج الصحابة.**
ونقف الآن عند هذين الأصلين بشيءٍ من التفصيل:
الأصل الأول من أصول أهل السنة والجماعة: التمسك بالكتاب والسنة، هذا أصل الأصول، وهذا الأصل هو الذي بنيت عليه جميع الأصول،
ومما يجب أن يعلم أن الكتاب والسنة أصل واحد، الكتاب والسنة أصل واحد، يعني لا فرق بينهما في التشريع وإن كان هناك فرق بين القرآن والسنة من حيث أن القرآن متعبد بتلاوته وأنه كلام الله وأنه متواتر، أما السنة فليست كذلك، ولكن الشيء المشترك بين الكتاب والسنة أنهما أصل واحد، أي لا فرق بينهما في التشريع.
وبعبارةٍ أوضح أن كلاً الكتاب والسنة حجة ودليل، فالسنة مثل القرآن في التشريع ومن أنكرها كفر، ذلك لأن كل من الكتاب والسنة وحي منزل من الله، كلاهما من الله تبارك وتعالى، وقد خالف أهل البدع في حجية السنة.
والأدلة على أن الكتاب والسنة أصل واحد، أي أن السنة مثل القرآن في التشريع كثيرة هذه الأدلة، منها:

- قوله تبارك وتعالى هذا الدليل الأول، قوله: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [النساء/59]

فمن أنكر السنة واكتفى بالقرآن فقط، فهو كافر بالسنة وبالقرآن، لأنه لم يؤمن بهذه الآية وغيرها من الآيات التي أمر الله فيها باتباع السنة والعمل بها.
فقوله تعالى: ﴿ فردوه إلى الله ﴾ أي إلى الكتاب، وقوله: ﴿ والرسول ﴾ أي إلى السنة، هذا واضح جداً والحمد لله، فهذا أمر بالتحاكم إلى الكتاب والسنة، ولم يفرق الله عز وجل بينهما، وفي هذا الأمر نهي عن

التحاكم إلى العقل والهوى أيضاً.

ثم قال تعالى: ﴿ ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ أي ذلك التحاكم والرد إلى الكتاب والسنة معاً خير، أي أفضل لكم من غير ذلك، أفضل لكم من اتباع العقل والهوى، أفضل لكم من الاكتفاء بالقرآن وإنكار السنة، ثم قال: (وأحسن تأويلاً) أي أحسن مآلا وعاقبة.

فعاقبة اتباع الكتاب والسنة عاقبة حسنة وطيبة في الدنيا والآخرة، وهذا الدليل وحده والله كاف لمن أراد الحق.

ولكن ثمة أدلة أخرى كثيرة جداً، أهمها:

- وهذا الدليل الثاني قوله تبارك وتعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ [النساء/65]، وهذا أمر بتحكيم السنة وباتباع السنة.

واشتملت الآية على ثلاثة أوامر من الله عز وجل،

اشتملت على ثلاثة أوامر:

الأمر الأول: أمر الله بالتحاكم إلى الرسول، أي إلى سنته، لا إلى العقول ولا إلى الأهواء ولا إلى الأذواق.

الأمر الثاني: أمر الله أن يكون العبد راضياً بأمر الرسول ولو خالف هواه، أمر أن يكون العبد راضياً بحكم الرسول ﷺ ولو خالف هواك،

لقوله تعالى: ﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ﴾ أوجب الرضا بالقلب بحكم الرسول ﷺ.

الأمر الثالث: أمر بالاستلام التام قال: ﴿ ويسلموا تسليماً ﴾ أي تسليماً مطلقاً ظاهراً وباطناً، والمقصود: الانقياد التام وتنفيذ حكم الرسول ﷺ، هذا هو الإسلام، الإسلام الاستسلام التام لأمر الله ورسوله.

- الدليل الثالث على وجوب اتباع السنة وأنها كالقرآن في التشريع، قوله تعالى: ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم/4]: ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ فهذا دليل على أن القرآن والسنة وحي من الله،
- الدليل الرابع نقول: جميع الآيات التي أمر الله فيها بطاعة الرسول، وحذر من معصيته ومخالفة أمره هي أدلة على هذا الأصل،

وهذه الآيات معلومة وكثيرة في كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ تكررت في مواطن

عديدة من القرآن، ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ وكقوله تعالى: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء/80]، وقوله تعالى: ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ [الأعراف/158]، هذه الأدلة كلها من القرآن على وجوب اتباع السنة وأنها كالقرآن في التشريع، وأن الكتاب والسنة أصل واحد.

- أما الأدلة على ذلك من السنة:

قال النبي ﷺ: (ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني) -ألا هل عسى - هذا للتقريب، هذه من ألفاظ التقريب ألا هل عسى أي أوشك، ومراده عليه الصلاة والسلام من هذا التعبير الإشفاق، يعني يخشى وقوع ذلك، هذا معنى هذه العبارة، - ألا هل عسى رجل - أي أوشك رجل أن يفعل ذلك وهذا للإشفاق يخشى عليه السلام وقوع ذلك، (ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكأ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإنما حرم رسول الله – ﷺ – كما حرم الله).

انظر هذا الرجل متكأ على أريكته دلالة على الترف والبعد عن العلم، يقول: بيننا وبنكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حرماً حرمناه،

فَيُعِّقبُ رسول الله ﷺ فيقول: (وإنما حرم رسول الله كما حرم الله)

وفي رواية قال: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) [1] هذا الحديث دليل صريح على أن السنة وحي من الله وأن الإسلام ليس قرآناً فقط، بل الإسلام قرآن وسنة، فالواجب على كل مسلم أن يتمسك بالكتاب والسنة معاً وأن لا يفرق بينهما في التشريع امتثالاً لأمر الله عز وجل حيث قال: **(فردوه إلى الله والرسول)** أي إلى الكتاب والسنة، فالسنة منزلتها عظيمة في الإسلام، فلا يمكن لأحد أن يفهم القرآن بمعزل عن السنة، لأنها مبيّنةٌ للقرآن وشارحة له، كما قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون).

وأنصحكم يا طلبة العلم: أن تقرؤوا رسالة لطيفة للشيخ الألباني رحمه الله في هذا الشأن، اسمها: **منزلة السنة في الإسلام**، أصلها محاضرة للشيخ رحمه الله، ثم طبعها في نحو عشرين صفحة، اقرؤوها وادرسوها وافهموها جيداً، اسمها: منزلة السنة في الإسلام، فإنها نافعة جداً في هذا الباب وتغنينا عن تفصيل هذه المسالة في درسنا هذا لضيق الوقت.

[1] هذا الحديث أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن وصححه الشيخ الألباني.

الأصل الثاني

ننتقل الآن إلى الأصل الثاني من الأصلين المذكورين في كلام الإمام أحمد، أي في قوله: **(والتمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم)**

الأصل الثاني هو: **اتباع منهج الصحابة أخذنا هذا الأصل من قول المؤلف والاقتداء بهم**، أي أن من أصول السنة الاقتداء بالصحابة، أي اتباع منهجهم وهذا أصل عظيم جداً، وهو أهم ما يميز المنهج السلفي كما أسلفت من قبل فلا يكفي الأخذ بالكتاب والسنة بمعزل عن فهم الصحابة، وبمعزل عن عملهم بالشريعة.

الاقتداء بالصحابة معناه: اتباع منهج الصحابة، أي أن نفهم الشريعة كما فهموها، وأهل البدع رفضوا هذا الأصل، وقالوا: هم رجال ونحن رجال، ثم قدموا عقولهم وأهواءهم على منهج الصحابة فضلوا وأضلوا والعياذ بالله، فإن اتباع العقل والهوى ضلال، وسيأتي إن شاء الله تعالى التحذير من هذين الطاغوتين، العقل والهوى، ولكن الآن نريد أن نتطرق إلى مسألتين تتعلقان بهذا الأصل، أي أصل؟ أصل اتّباع منهج الصحابة نحن الآن نتكلم عن هذا الأصل، اتباع منهج الصحابة.

هذا نريد أن نتطرق فيه إلى مسألتين هامتين:

المسألة الأولى: ما معنى اتباع منهج الصحابة، أي كيف يكون ذلك، كيف يكون الاقتداء بهم، كيف أكون متبعاً لمنهج الصحابة هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية: ما هي الأدلة على وجوب اتباع منهج الصحابة، والاقتداء بهم، من الكتاب والسنة، نريد أن نعرف الأدلة على هذا الأَصل، لعلنا نتكلم اليوم عن المسألة الأولى فقط.

أما المسألة الأولى وهي: ما معنى اتباع منهج الصحابة، وكيف أكون متبعاً لمنهجهم ومقتدياً بهم؟

الجواب: مجملاً معناه أن نفهم الشريعة بفهمهم، ولا نتجاوز فهمهم، وبعبارة أوضح لا يجوز لك أن تجتهد في العقيدة والمنهج، لأننا مأمورون باتّباع الصحابة في العقيدة والمنهج، هذا هو الجواب مجملاً، اتباع منهج الصحابة يعني أن نفهم الشريعة كما فهموها ولا نتجاوز ذلك، لأنه لا يجوز لنا أن نجتهد في العقيدة والمنهج، وتفصيل ذلك وشرحه يتبين لك بالقواعد الآتية:

القاعدة الأولى في اتباع منهج الصحابة: أنه إذا أجمع الصحابة على قول فإجماعهم حجة.

القاعدة الثانية: إذا قال أحد الصحابة بقول ولم يعرف له مخالف، فينبغي الأخذ به، وأوجبه بعض أهل العلم لأنه إجماع سكوتي، الإجماع السكوتي سيأتي حجيته إن شاء الله في أصول الفقه وفي حجيته خلاف.

القاعدة الثالثة: إذا اختلف الصحابة على قولين مثلاً، فلا يجوز أن نحدث قولاً ثالثاً، لماذا؟ لأن اختلافهم على قولين فقط دليل على بطلان غيرهما من الأقوال، فهو كالإجماع على بطلان غير ما قالوا، ذلك لأنه لا

يمكن أن يخفى الحق عن الصحابة جميعاً.

القاعدة الرابعة: إذا سكت الصحابة على شيء فالواجب علينا أن نسكت عنه، وأن لا نخوض فيه، وأن يسعنا ما وسعهم فإنهم ما سكتوا عن جهل، بل سكتوا عن علم، سكتوا عن أشياء لأن الواجب فيها هو السكوت، مثل سكوتهم عن الخوض في القدر، وسكوتهم عن الخوض في كيفيات الصفات، وغير ذلك.

هذا هو معنى الاقتداء بالصحابة وهذا كله يعني كما قلت:

أن نفهم الشريعة كما فهموها،

وأن نفسر النصوص كما فسروها،

فنقول بقولهم ونقف عند قولهم ولا نتجاوزه،

لا نتجاوز قول الصحابة باجتهاد من عندنا،

لأن الاجتهاد مقابل قول الصحابة بدعة، ولأن الواجب علينا أن نمشي خلفهم لا أن نمشي أمامهم هذا مقتضى الاتباع، الاتباع: أن تمشي خلف من أمامك، لا أن تمشي أمامه، ذلكم لِأن الاجتهاد في العقيدة والمنهج ممنوع، احفظوا هذا جيداً، الاجتهاد في العقيدة والمنهج ممنوع في دين الله عز وجل، إنما يسوغ الاجتهاد في الفروع الفقهية، التي ليس عليها دليل من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال الصحابة والسلف الصالح عموماً،

فهذان شرطان لإباحة الاجتهاد:

الشرط الأول: أن يكون الاجتهاد في الفروع الفقهية وليس في العقيدة والمنهج، العقيدة والمنهج أنت مأمور بالاتباع، لا يجوز لك أن تجتهد.

الشرط الثاني: لإباحة الاجتهاد أن يكون في حادثة ليس عليها دليل، ليس عليها دليل من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال السلف والصحابة.

حينئذ فقط يجوز الاجتهاد،

وأيضاً: يجب أن يكون الاجتهاد من أهل الاجتهاد الراسخين في العلم، ولك أن تعتبر هذا شرطاً ثالثاً.

فإذا أخطأ المجتهد حينئذ فخطأه مغفور، وهو مأجور على اجتهاده رغم خطأه، أما إذا اجتهد أحد الناس ولو كان من العلماء، إذا اجتهد في العقيدة والمنهج فلا يعذر إذا اخطأ لأنه غير مأذون له بالاجتهاد في العقيدة والمنهج، فيجب علينا التفريق بين المسائل التي يجوز فيها الاجتهاد والمسائل التي لا يجوز فيها الاجتهاد.

فالواجب في مسائل العقيدة والمنهج الاتباع ويحرم الاجتهاد، فالاجتهاد في مسائل العقيدة بدعة ولا يجوز، ولذلك كثرت وصايا السلف بالاتباع كقولهم: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)، والآثار كثيرة جداً بهذا المعنى

(اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم).

فإذا قال السلف الصالح بعلو الله فوق خلقه فالواجب أن نقول بقولهم، فلا يأتي أحد ويخالفهم فيقول: الله في كل مكان، ثم يقال عنه اجتهد وأخطأ، ويقال: هو معذور لا ليس معذور، بل هو عاص لله ورسوله بأنه اجتهد في موطن الاتباع، ولأنه خالف سبيل المؤمنين، خالف سبيل الصحابة فكيف يقال عنه اجتهد فأخطأ هذا باطل، وهذا فتح لباب الابتداع على مصراعيه،

وهكذا جميع مسائل العقيدة والمنهج، الواجب فيها الاتباع،

فإذا قال الصحابة: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله، فنقول: بقولهم ولا نخالفهم،

وإذا قالوا: إن الله يتكلم بحرف وصوت يسمع فنقول به ولا نخالفهم، وإذا قالوا: نرى ربنا يوم القيامة بأبصارنا نقول به،

وإذا قالوا: له يدان ليس كيد أحد من خلقه، وله عينان، وله وجه سبحانه، فنقول بذلك.

ولما سكت الصحابة عن الخوض في كيفية هذه الصفات نسكت عن ذلك، لأن الاجتهاد في العقيدة ممنوع، لا نتكلف الاجتهاد في العقيدة، إنما الاجتهاد يباح فيما ليس فيه نص من الفروع الفقهية، هذا باختصار.

الاجتهاد يباح من عالم متمكن فيما ليس فيه دليل من الفروع الفقهية، ليس عليه دليل من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال السلف، حينئذ تكون هذه حادثة فللعالم الراسخ في العلم أن يجتهد ويقول قوله فيها.

وهكذا نرى أن اتباع الصحابة واجب على كل أحد، نحن مأمور بذلك، كما سيأتي في المسألة الثانية من الأدلة على هذا الأصل، فهذا أصل عظيم وهو الاقتداء بالصحابة، فلا يكفي الادعاء باتباع الكتاب والسنة بمعزل عن فهم الصحابة، لأن الافهام ستتعدد وتكثر، وكل يدلي بدلوه فيجب توحيد الفهم وذلك باتباع الصحابة، هذا الأصل هو الفارق العظيم بيننا وبين أهل البدع.

هذا هو الفارق العظيم بين أهل السنة والجماعة من جهة وبين أهل البدعة والفرقة من جهة، الذين رفضوا هذا الأصل، نعم أهل البدع رفضوا فهم الصحابة، وقالوا: هم رجال ونحن رجال، فأُعجبوا بعقولهم واتبعوا أهوائهم، وهذه مزلة خطيرة ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم.

فإذا أردت أن تعرف سبب ضلال أهل البدع عن سبيل النجاة، فاعلم أن سبب ضلالهم: هو اتباع العقل واتباع الهوى وترك اتباع منهج الصحابة، هذا هو سبب ضلال من ضل، تركوا منهج الصحابة واتبعوا عقولهم وأهواءهم.

والإسلام لا يلغي العقل بالكلية، ولكن العقل له وظيفة، فاجعل العقل في وظيفته فقط، ما هي وظيفة العقل؟ وظيفة العقل فهم الشريعة، وليست وظيفته الحكم على الشريعة، فرق كبير بين الأمرين، المجنون لم يفهم كلام الله ورسوله، العاقل يفهم، هذه هي وظيفة العقل، تفهم النصوص الشرعية

بالعقل، لكن لا يجوز أن تحكم على الشريعة بعقلك.
فإذا تعارض العقل مع الشريعة ماذا نقدم؟ يجب أن تقدم الشريعة وتأخر العقل، لأن الشريعة معصومة عن الخلل، أما عقلي وعقلك وعقول البشر ليست معصومة عن الخلل، فإذا كان ثمة خلل فيجب أن تقدم الشريعة، لأن الخلل في عقل الإنسان وليس في شريعة الله عز وجل.
أما الهوى فمذموم مطلقاً، لا يجوز تقديم الهوى، الهوى مذموم في جميع الأحوال إلا إذا أقره الشرع، وهكذا فإن تقديم العقل على الشرع ضلال، وتقديم الهوى على الشرع ضلال، هذان بابان عظيمان من أبواب الضلالة فاحذرهما أشد الحذر، وهما في الحقيقية مترابطان.
فإن:

- الذي يقدم عقله على الشرع إنما هو متبع لهواه.
- والذي يستحسن عبادة ويقدم ذوقه على الشرع فإنه متبع لهواه.
- والذي يرد الدليل يرد الحق يرد الحديث الصحيح، فإنما هو متبع لهواه.

والعقل له حد يقف عنده، فلا يستطيع العقل أن يدرك ما وراء ذلك، أي ما وراء ذلك الحد، فلا يحق للعبد أن يسأل كيف فعل الله كذا، ولا يحق للعبد أن يسأل لم فعل الله كذا، هذه أسئلة ممنوعة، لا تسأل في الأمور الغيبية كيف ولم، كيف استوى كيف ينزل كيف يتكلم، لِمَ يغني فلاناً ويفقر فلانا؟، لِمَ يضل فلاناً ويهدي فلاناً؟، هذه أمور لا يدركها عقلك، العقل لا يقدر أن يدرك الجواب ولو سمعه، لا يدرك ذلك، فلا يجوز التعمق بالكيفيات، ولا في القدر، ولا حتى في الأمور الفقهية التي تسمى غير معقول المعنى. هناك أمور فقهية لا نعرف الحكمة من ورائها تسلم وتستسلم، فلا يجوز البحث فيما سكت عنه الشرع، لأن الله عز وجل ما حجب عنا شيئاً إلا لمصلحتنا.

فهذه الأمور اتباع العقل واتباع الهوى هي سبب انحراف من انحرف وسبب هلاك من هلك من الثنتين وسبعين فرقة والعياذ بالله، قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: (لو كان الدين بالعقل لكان مسح باطن الخف أولى من ظاهره)، انظر الواجب هو الاتباع، التسليم في المسائل التي لا تعرف حكمتها، المسح على ظاهر الخف من المسائل الغير معقولة المعنى.
وأيضاً عائشة رضي الله عنها قالت لامرأة: (أحرورية أنت؟) حرورية لأن الخوارج أول ما ظهروا ظهروا في منطقة حروراء في العراق، فكل من كان عنده نفس خارجي كان يسمى حرورياً، فالخوارج أخذوا الأمور بعقولهم وأهوائهم، فقالت لها: (أحرورية أنت) لأن المرأة سألت: ما بالنا نقض الصيام ولا نقض الصلاة، - يعني عند الحيض والنفاس -.

والخوارج الذين كانوا في حروراء كانوا يأمرون نساءهم أن تقضي الصلاة، مخالفين أمر رسول الله ﷺ، فأنكرت عائشة عليها سؤالها وقالت لها: (أحرورية أنت) أي أنت من هؤلاء الذين يقدمون عقولهم وأهواءهم على الشريعة، فقالت المرأة: لا ولكني أسأل، المرأة ليست من هؤلاء ولكنها شابهتهم في طريقة السؤال، سألت عن أمراً ينبغي السكوت عنه، فالمرأة تظن أن هذا استفتاء وأنه سؤال جائز، وهي مخطئة لأن هذا سؤال في موطن التسليم.

الواجب التسليم في مثل هذه المسائل، أي التي لا تعرف حكمتها، ولا تدركها عقولنا، فأجابتها عائشة أن تسلم ولا تبحث في ذلك فقالت: (هكذا أمرنا رسول الله ﷺ)، وكان بإمكان عائشة أن تقول لها: هذا رخصة من الله وأن هذا فيه تخفيف على النساء، لأن قضاء الصلاة أصعب من قضاء الصيام، لكنها لم تقل هذا، لم تتكلف هذا الجواب، بل أمرتها بالتسلم والانقياد وزجرتها أن تُعمل عقلها في موطن التسليم.

فيجب على الإنسان في الأمور التي لا يجوز أن يسأل عنها أن يسكت، فهذا الجواب من عائشة رضي الله عنها أحسن وأهم من التفصيل الذي يتكلفه كثير من الناس اليوم.

فما دخل الزيغ والانحراف على المسلمين إلا بعد تحكيم العقل على الله، حكموا عقولهم على الله وعلى شريعة الله، وهو ما يسمى بعلم المنطق، وعلم الكلام، وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله تعالى، فإن من يقدم عقله على الشريعة لسان حاله يقول إن الشريعة خطأ وإن عقله هو الصواب، وهذا هو الضلال المبين، بل الكفر البواح لو أقر به.

والعصمة من هذا الزيغ، العصمة من هذا الانحراف، العصمة من تحكيم العقل ماذا؟ في اتباع منهج الصحابة، إذا قدمت فهم الصحابة على فهمك عصمت من هذا الباب الخطير، لا تقدم فهمك على فهم الصحابة، ولا تعمل عقلك في مسائل العقيدة والمنهج، لا يجوز الاجتهاد في موطن الاتباع وموطن التسليم، فإذا فهمت الشريعة بفهمهم ضمنت أنك فهمت الشريعة على مراد الله ورسوله، هذه أهم فائدة من اتباع منهج الصحابة كما قلت من قبل، وهذا ضمان لك بإذن الله أن لا تزيغ، وأن لا تتبع هواك، وأن لا تتبع عقلك، نكتفي بهذا القدر ونتكلم إن شاء الله تعالى عن المسألة الثانية في المجلس القادم، وهي أدلة هذا الأصل.

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

شرح أصول السنة .

الدرس الثالث .

هذا الدرس يشتمل على:

أ - ذكر الأدلة على وجوب اتباع منهج الصحابة، وشرحها.

ب - شرح الأصل الثاني وهو قول المؤلف: (وترك الابتداع، وكل بدعة فهي ضلالة).

وفيه:

1 -التفريق بين البدعة الدينية والبدعة الدنيوية.

2 -تعريف البدعة في اللغة وفي الشرع.

3 -شرح الأدلة على تحريم البدعة في الدين.

4 -شرح قاعدة: (الأصل في العبادات المنع)، وذكر دليلها.

5 -بيان خطر البدعة على الدين وعلى المبتدع نفسه.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فهذا هو المجلس الثالث من **شرح أصول السنة للإمام أحمد رحمه الله تعالى**

- وكان آخر ما تحدثنا عنه في المجلس الماضي اتباع منهج الصحابة،

لقول المؤلف: **(والاقتداء بهم).**

- وعَلِمنا أن اتّباع منهج الصحابة هو اتباع طريقة الصحابة في فهم الشريعة والعمل بها،
- وعلمنا أن هذا الأصل هو أهم ما يميّز أهل السنة والجماعة عن أهل البدع،

فهذا الأصل عظيم جداً وله منزلة عظيمة عند أهل السنة،

- وذكرنا أيضاً في المجلس الماضي أن هذا الأصل فيه مسألتان:

الأولى: كيف أكون متبعاً لمنهج الصحابة؟ وهذه المسألة فرغنا منها في المجلس السابق والحمد لله.

ونتحدث اليوم عن المسألة **الثانية وهي: ما هي الأدلة على وجوب اتباع منهج الصحابة**؟

هذه الأدلة هي أدلة المنهج السلفي، احفظوها جيداً وافهموها،

ما هي الأدلة على وجوب اتباع منهج الصحابة؟

الجواب:

أما الأدلة من القرآن:

الدليل الأول: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة100)،

والشاهد قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾

فأخبر الله تبارك وتعالى في هذه الآية، الآية المائة من سورة التوبة أنه رضي عن الصحابة وأنه رضي عمّن اتبع الصحابة اتباعاً حسناً، أي اتبعوهم اتباعاً لا إفراط فيه ولا تفريط، توسّطوا في اتباعهم من غير غلو ولا تقصير،

الذي يتّبع الصحابة يفهم الشريعة كما فهموها ويعمل بها كما عملوا بها فيحوز هذه الفضائل العظيمة

التي ذكرها الله عز وجل في الآية: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾، الله تبارك وتعالى يرضى عنك إذا اتبعت منهج الصحابة وفهمت الشريعة بفهمهم لأن فهمهم هو مراد الله ورسوله.

الدليل الثاني -على وجوب اتباع منهج الصحابة من القرآن- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء115)،

والشاهد من الآية قوله تعالى: ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي يتبع منهجاً مغايراً لمنهج المؤمنين الذي أجمعوا عليه واتفقوا عليه، ومَن هم المؤمنون؟ هم الصحابة ثم التابعون ثم أتباع التابعين ثم من سار على منهجهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين،

فهذه الآية فيها أمر باتباع منهج الصحابة لأن الله توعد من يخالف سنة الرسول ﷺ ويخالف منهج الصحابة بالنار، فقال تعالى: ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾ أي نَكِلُه إلى ما اختاره،

وقال: ﴿ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ هذا مصير من خالف منهج الصحابة وشاقّهم، أي كان في شِقّ وهم في شِقّ، كان في جانب وهم في جانب، هذه هي المشاقّة.

الدليل الثالث-على وجوب اتباع منهج الصحابة - قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ (البقرة-137) انظر، مخالفة منهج الرسول ﷺ مشاقّة لله ورسوله، ذكر الشقاق أيضاً هنا، فمن خالف منهج الصحابة اتخذ له شقاً غير شق المؤمنين فليس مع المؤمنين، وهذه الآية نزلت في اليهود والنصارى ولكنها عامّة في كل من لم يؤمن بما آمن به الصحابة.

وتفسيرها باختصار: قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ أي إن صدّق اليهود والنصارى مثل تصديقكم أيها الصحابة من توحيد الله والإيمان والسنة ،

قال: ﴿ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ فالمعنى أن من لم يؤمن مثل إيمان الصحابة فهو ضال غير مهتدٍ،

فجعل الله تبارك وتعالى اتباع الصحابة والاقتداء بهم سبباً للهداية، فدلّت هذه الآية أن منهج الصحابة عصمة من الضلال والزيغ لقوله تعالى: ﴿ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ ،

والهداية: ضد الضلالة وضد الزيغ، وهذه منقبة عظيمة للصحابة ومِيزة ميّزهم الله بها لا تجدها عند

غيرهم، هذه الميزة أنه لا سبيل للهداية إلا باتباع منهج الصحابة كما قال تبارك وتعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾ .

أما الأدلة من السنة على وجوب اتباع منهج الصحابة:

الدليل الأول: قال الرسول ﷺ: [وسَتَفْتَرِقُ أمتي إلى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فرقة كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً] قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: [من كان على ما أنا عليه وأصحابي]

وفي رواية قال: [الْجَمَاعَةَ الْجَمَاعَةَ][2] .

والشاهد منه قوله ﷺ: [وأصحابي] فلم يكْتَفِ عليه الصلاة والسلام بقوله: [ما أنا عليه]، أولم يكن قوله: [من كان على ما أنا عليه] كافياً؟ ألم تكن السنّة كافية؟

بلى، سنة الرسول ﷺ كافية في ذاتها ولكن يقع الخلل والنقص في المتلقّي لأنه لا يستطيع أن يفهم الشريعة بمعزل عن فهم الصحابة، فقوله[ما أنا عليه]: أي على الكتاب والسنة، والكتاب والسنة تامّان ليس فيهما نقص ولكن يقع النقص في فهم الناس لهما فلا يقدرون أن يفهموا الكتاب والسنة كما أراده الله عز وجل إلا إذا نظروا إلى فهم الصحابة وعملهم واتبعوهم على ذلك،

فاحفظوا هذه القاعدة: **(كما أن السنة تبيّن الكتاب فكذلك منهج الصحابة يبيِّن السنة والكتاب)**.

- فلا يمكن لأحد أن يفهم الكتاب بدون السنة،
- ولا يمكن لأحد أن يفهم السنة بدون فهم الصحابة،

فكل من أخطأ فهم الصحابة أصيبت مقاتله،

وكل من تجاهل فهم الصحابة واعتدّ برأيه وعقله ضل وتنكب الصراط وابتدع مهما كان حافظاً ومهما كان ذكياً، فإن رؤوس أهل البدع كانوا من الأذكياء لكنهم لما اعتمدوا على ذكائهم وعقولهم وتركوا منهج الصحابة ضلوا ضلالاً بعيداً، ولذلك فإن الرسول ﷺ اشترط في الفرقة الناجية هذين الشرطين، فقال كما سمعتم في الحديث لما سُئل: من هم يا رسول الله؟ من هؤلاء الناجون؟ قال في الشرط الأول: [ما أنا عليه] وفي الشرط الثاني قال: [وأصحابي]،

[2] هذا الحديث أخرجه أحمد(12208)وأصحاب السنن:ابو داود(4597)عن معاوية، والترمذي(2641)عن عبدالله بن عمرو وحسنه، وابن ماجة (3992) عن عوف بن مالك، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (204)

قوله: [ما أنا عليه] أي اتباع الكتاب والسنة، وقوله: [وأصحابي] أي اتباع فهم الصحابة، فمعنى الحديث **أن سبيل النجاة في اتباع الكتاب والسنة وبفهم الصحابة**،

وهذا هو المنهج السلفي الذي نتّبعه اليوم، نسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه حتى نلقاه سبحانه وتعالى.

وهذا الذي يعبر عنه العلماء قديماً وحديثاً بقولهم: **منهج أهل السنة والجماعة**.

فهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، فهذا الحديث كما رأيتم يفسر الآيات التي تقدّم ذكرها.

فهذا الحديث الذي يسمى **"حديث الافتراق"** دليل واضح كالشمس في وجوب الاقتداء بالصحابة ووجوب اتباع منهجهم وفهم الشريعة بفهمهم وفي تحريم مخالفة سبيلهم.

وقال ﷺ في رواية أخرى في وصف الفرقة الناجية، قال: [الجماعة ، الجماعة]

الجماعة: أي ما أنا عليه وأصحابي، فالمعنى واحد، المعنى أن الفرقة الناجية هي الجماعة، **والجماعة هم الذين اجتمعوا على الحق**، هذا هو تعريف الجماعة،

الجماعة ولو كان إنساناً واحداً إذا كان على الحق فهو الجماعة، و

لو كانوا رجلين وكانوا على الحق فهم الجماعة،

الجماعة هم الذين اجتمعوا على الحق،

وما هو الحق؟ الحق هو الكتاب والسنة ومنهج الصحابة، هذا هو الحق الذي أمر الله الأمة كلها أن تجتمع عليه وأن تتمسك به فقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ وحبل الله هو ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، هو الكتاب والسنة ومنهج الصحابة،

فكل من اقتدى بالصحابة فهو معهم، هو مع الجماعة،

إذاً **الخلاصة** أن الجماعة هم الذين اجتمعوا على الحق وهم من كان على ما كان عليه الرسول وأصحابه فلا فرق بين الروايتين [ما أنا عليه وأصحابي] هم [الجماعة].

الدليل الثاني-من السنة على وجوب اتباع منهج الصحابة -حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وهو حديث مشهور عند أهل العلم، والشاهد منه قول النبي ﷺ: [فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ][3] هذا الحديث صريح في وجوب التمسك بمنهج الصحابة، سيّما عند وقوع الفرقة والاختلاف، فأمر ﷺ عند الاختلاف بالتمسك بأمرين:

1- بسنته،

[3] أخرجه أحمد(17142) وأصحاب السنن، وصححه الألباني في الصحيحة في موضعين برقم (937) ورقم (3007)،

2- وبسنة الخلفاء المهديين الراشدين، أي بسنة أصحابه،

فقال: [فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ]،

قوله[عَلَيْكُمْ]: أي الزموا،

قوله [فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسنة الخلفاء] أي الزموا سنتي وسنة الخلفاء، وهذا أمر من النبي ﷺ،

ثم قال: [تَمَسَّكُوا بِهَا] وهذا أمر ثانٍ،

ثم قال: [وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ] هذا أمر ثالث، هذا لتوكيد التمسك بالسنة، هذا كلّه لتوكيد الأمر باتباع السنة ومنهج الصحابة.

تأمل معي قوله عليه الصلاة والسلام: [تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا] ولم يقل تمسكوا بهما وعضوا عليهما، أعاد الضمير بالإفراد ولم يُعِدْهُ بالتثنية، لماذا؟ الجواب: **لأنها سنةٌ واحدةٌ**، أي: سنة الصحابة هي سنة الرسول ﷺ، هي نفسها، لأن سنة الصحابة كما ذكرنا من قبل تبيّن سنة الرسول وتوضحها ولا تخالفها في شيء ولا تزيد عليها في شيء إنما توضحها وتبيّنها، فلا يمكن فهم سنة الرسول إلا باتباع فهم الصحابة ولذلك فإن الرسول ﷺ لم يقف عند قوله: [فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي] بل زاد وقال: [وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ] مع أن سنته كافية وافية في ذاتها ولكن كما قلنا يقع النقص في فهم من لم يفهم الشريعة على مراد الله ورسوله، فكان واجباً على الجميع أن يفهموا الشريعة كما فهمها الصحابة، وهذا ما نسميه بتوحيد الفهم، حتى نضمن أننا فهمنا الشريعة على مراد الله ورسوله.

والدليل الثالث- على وجوب اتباع منهج الصحابة- قال النبي ﷺ: [النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ] [4]

قوله عليه الصلاة والسلام: [النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ] أي هي سبب لأمانها، أو علامة على أمانها

[فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ] أي إذا انكدرت وانتثرت وانطمست كما جاء في القرآن

[أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ] حينئذ، وهو الانفطار والانشقاق وقيام الساعة.

وقال عليه الصلاة والسلام: [وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي] أي: الرسول ﷺ سبب لأمنهم وأمانهم من الفتن،

قال: [فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ] أي أتاهم ما يوعدون من الفتن وردّة الأعراب التي وقعت بعد موت النبي ﷺ،

---

[4] أخرجه مسلم في صحيحه (2531).

قال: [وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي] وهذا هو الشاهد، أي الصحابة جعلهم الله عز وجل سبباً لأمن الأمة من الفتن والبدع،

قال: [فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ] أي أتى الأمة ما توعد من ظهور البدع والفتن والتفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة.

فدلّ هذا الحديث على أن وجود الرسول ﷺ عصمة من الفتن فإذا ذهب الرسول فسنته باقية فالعصمة في اتباع سنته،

ودل أيضاً على أن وجود الصحابة عصمة من الفتن والتفرق فإذا ذهبوا فمنهجهم باقٍ والعصمة في اتباع منهجهم،

فدل الحديث بوضوح على أن اتباع سنة الرسول ﷺ ومنهج أصحابه عصمة من الزيغ والضلال ومن الوقوع في البدع والتفرق،

وجميع الأدلة التي تقدّمت تؤدي بنا إلى هذه الحقيقة، وهي أن اتباع منهج أصحابه عصمة من الزيغ والضلال.

والأدلة كثيرة جداً في الحث على اتباع سبيل الصحابة والاقتداء بهم،

ودليل واحد مما تقدم ذِكْرُه كافٍ لإثبات أنّ اتباعَ منهج الصحابة واجبٌ، فإن منهج الصحابة هو الفيصل بين أهل السنة وأهل البدع، ولذلك فإن منهج أهل الحق هو اتباع الكتاب والسنة وبفهم السلف الصالح، وعلى رأس السلف الصالح أصحاب محمد ﷺ، **لأن الصحابة تميّزوا بخصالٍ لا توجد في غيرهم منها:**

- أن الصحابة هم الذين نصروا هذا الدين: هذه أكبر ميزة يمتاز بها الصحابة،

ولا شك أن المؤمنين إنما يتفاضلون عند الله بمقدار نصرتهم للدين، فقد فضّل الله من أنفق وقاتل قبل فتح مكة على من أنفق وقاتل بعد الفتح، لأن الأوّلين سبقوا من بعدهم بالنصرة، وهذا لا يتعارض مع قول الله عز وجل: [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ] فإن هذه في تفضيل التقي على غير التقي أو على من هو أقل في التقوى،

ولكن كلامنا هنا في تفضيل: المتقين بعضهم على بعض، فالمتقون يتفاضلون، الصحابة كلهم متّقون لكن أفضل المتقين هو من سارع إلى نصرة الدين، من نصر الدين أكثر من غيره.

- وأيضاً تميّز الصحابة بأنهم تلاميذ الرسول ﷺ: فأخذوا الدين منه مباشرة وبلا واسطة، سمعوا العلم من فمه، فأخذوا عنه اللفظ والمعنى والفهم، فهموا مراده ﷺ، فإن فهم الصحابة مطابق لفهم الرسول ﷺ للشريعة.

- والصحابة قلوبهم طاهرة لم تَرِد عليها الشبهات: هذا من مزاياهم، لم ترد على قلوب الصحابة الشبهات

والشهوات كما وردت على من بعدهم، والله عز وجل هيّأهم وأعد قلوبهم وزكاها حتى تحمل هذا الدين عن رسوله وتنشره في الأرض، فإن الله اصطفاهم لصحبة خير الأنبياء وخاتَمهم عليه الصلاة والسلام.

-**ومن مزايا الصحابة أنهم عاصروا نزول الوحي وعايشوه**: ففقهوا الآيات والأحاديث أولاً بأول وليس من سمع كمن رأى.

- **وأيضاً من مزاياهم أن الصحابة عرب أقحاح**: أصحاب لسان فصيح لم يتلوّثوا بعُجْمة، فكانوا يسمعون ويفقهون، فيتكلمون بعلم، ويسكتون بعلم رضي الله عنهم.

فعندهم من الصفات ما ليس عند غيرهم، عندهم كل الصفات التي تؤهّلهم لفهم الوحي، ويكفيهم أن الله عز وجل زكّاهم وأثنى عليهم في كتابه وأن الرسول ﷺ زكاهم وأثنى عليهم وأمرنا الله ورسوله باتباعهم كما تقدم ذكره.

وهكذا نكون قد فرغنا من شرح الأصل الأول من أصول السنة وهو:

(التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم)

وهذا الأصل يشتمل على ركنين:

- الركن الأول هو اتباع الكتاب والسنة،
- والركن الثاني هو اتباع منهج الصحابة.

وبعبارة موجزة نقول: إن هذا الأصل معناه اتباع الكتاب والسنة وبفهم سلف الأمة، وهذا هو منهجنا، هذا هو المنهج السلفي.

* * * * *

الأصل الثاني

قال الإمام أحمد رحمه الله: **(وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة)**

قوله رحمه الله: **(وترك البدع)** أي هجرها كلها، هذا من لوازم الاقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه، فبعد أن ذكر الأصل الأول ثنّى بالنهي عمّا يناقضه، بعد أن أمرك بالاتباع نهاك عن الابتداع،

الاتباع والابتداع ضدّان لا يجتمعان في قلب المسلم،

إما أن تكون متّبعاً

أو تكون مبتدعاً،

يعني في المسألة الواحدة، فإن من لم يتّبع ابتدعَ شاء أم أبى.

والمقصود بقوله: **(ترك البدع)**

أي: ترك البدع الدينية، هذه أول مسألة نتعرض لها في هذه الجملة،

فالمقصود ترك **البدع الدينية**،

أما البدع الدنيوية فأمرها واسع، الابتداع في الدنيا مباح في الأصل ما لم تكن البدعة الدنيوية محرّمة في ذاتها أو تفضي إلى محرّم أو تعين عليه أو تصدّ عن واجب؛ لأن البدع الدنيوية ليست عبادات، هذا هو الفرق بين البدع الدينية والبدع الدنيوية، البدع الدنيوية ليست عبادات، مثل الاختراعات والصناعات كالزراعة والصناعة والطب والهندسة وما شابه،

والأصل فيها كلها قوله عليه الصلاة والسلام: [أنتم أعلم بأمور دنياكم] يعني لم يرد فيها أمر ولا نهي إلا ما خُصَّ بأمر ونهي لذاته،

وبعض الناس يخلط بين البدعة الدينية المحرمة وبين البدعة الدنيوية المباحة، لهذا طرقت هذه المسألة، حتى لا نخلط بين الأمرين، فبعض الناس يعترض على كلمة بدعة فيقول: كيف تحرّمون البدع؟ فالطائرة إذاً محرّمة والسيارة محرّمة والنظارات الطبية والحاسوب وغير ذلك، يقول لأن هذه الأشياء لم تكن موجودة في زمن الرسول ﷺ، ثم يخرج بنتيجة واحدة في النهاية، يريد أن يقول أن جميع البدع مباحة وأنه لا يوجد بدعة محرّمة، وهذا خطأ فاحش لا يقوله إلا جاهل بالشريعة وسمعناه كثيراً من بعض من يتصدر للدعوة خصوصاً من جماعة التبليغ.

وجوابهم: أن نقول إن المقصود بالبدعة المحرمة هي البدعة الدينية وليست البدعة الدنيوية، فعندما عندما نقول هذه بدعة، فالمقصود بدعة في الدين وليس المقصود بدعة في الصناعات والاختراعات والزراعة وما شابه.

لماذا البدعة الدينية محرمة؟ لأن البدعة في الدين شرع جديد لم يأذن به الله، هذا هو الفرق بين البدع الدينية والبدع الدنيوية.

فما هي البدعة؟:

ندخل الآن إلى الموضوع الذي يهمنا، ما هي البدعة؟

البدعة في اللغة هي (الاختراع على غير مثال سابق)، هذه هي البدعة في اللغة أصلاً، هي **"الاختراع على غير مثال سابق"**، فيقال: أبدعتُ الشيء، أي أوجدته على غير مثال سابق، يعني لا مثيل له، فالشيء الذي لا مثيل له يقال عنه: شيء بديع.

ومثاله في كتاب الله، مثال على استعمال البدعة بالمعنى اللغوي قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة 117)و(الأنعام101)، أي أبدعها، أي أوجدها متقنة ولا مثيل لها من قبل.

مثال ثانٍ على استعمال البدعة في القرآن بالمعنى اللغوي، قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ

الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف9)، أي: ما كنت أول الرسل.

مثال ثالث على استعمال البدعة بالمعنى اللغوي قول عمر رضي الله عنه: [نعمت البدعة هذه] عن الاجتماع في صلاة التراويح وليست صلاة التراويح نفسها،

فقوله [نعمت البدعة هذه] أي عن الاجتماع، فقصده أنها شيء بديع، يصف اجتماع الناس على إمام واحد ومواظبتهم عليها كل ليلة من ليالي رمضان هذا شيء بديع، فهذه بدعة لغوية وليست بدعة دينية، عمر رضي الله عنه حاشاه أن يبتدع، وكيف تكون بدعة والنبي ﷺ صلّاها جماعة في المسجد مدة ثلاث ليال ثم تركها خشية أن تُفرَض على أمته،

فقول عمر: [نعمت البدعة هذه] يقصد اجتماع الناس، لا يقصد الصلاة، الصلاة ليست بدعة، لكن ما هو الشيء البديع؟ هو الاجتماع، جماعة الناس على إمام واحد، لأن الناس لم يكونوا يفعلون ذلك في زمن أبي بكر وشطراً من خلافة عمر، بل لم يواظب النبي ﷺ عليها جماعة، فصلاها جماعة في المسجد ثلاث ليال فقط.

فأصل الفعل سنة ثابتة عن النبي ﷺ وليس بدعة دينية إنما هو بدعة من الجهة اللغوية،

فهذا من البدعة اللغوية التي هي اختراع على غير مثال سابق، أي الشيء الجديد البديع، هذا معناها.

فرغنا الآن من تعريف البدعة في اللغة، ننتقل الآن إلى تعريفها في الشرع.

<u>البدعة في الشرع هي: (التعبد بما لم يكن عليه النبي ﷺ وأصحابه).</u>

هذه هي البدعة في الدين، المحرمة، أن تتعبد إلى الله عز وجل بعبادة لم يكن عليها النبي ﷺ وأصحابه سواء كان التعبد بقول أو بفعل أو باعتقاد، فيجب على المسلم أن يتابع الرسول ﷺ وأن يتابع الصحابة، بأقواله وأفعاله واعتقاداته.

وقد تبيّن لك معنى الاتباع في الأصل الأول، فاعلم أن كل عبادة لم يكن عليها الرسول ﷺ وأصحابه فهي بدعة، هذه هي البدعة، كل عبادة لم يكن عليها الرسول ﷺ وأصحابه،

مثال ذلك، **مثال على البدعة الدينية:**

التعبد لله بترك الزواج،

أو التعبد لله بترك النوم بالكلية لقيام الليل

أو التعبد لله بصيام الدهر يصوم طيلة حياته،

هذه الأمثلة التي ذكرتها لكم جاءت في حديث الثلاثة نفر الذين أرادوا أن يعبدوا الله أكثر من عبادة النبي

ﷺ فكأنهم تقالّوا عبادة النبي عليه السلام ، أي ظنوا أن عبادة الرسول قليلة لأنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،أما هم فلم يغفر لهم ماتقدم من ذنبهم وما تأخر،لذلك اجتهدوا وأرادوا أن يزيدوا في عبادتهم ، فنهاهم الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك.

هذا الحديث أخرجه الشيخان عن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: (جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا - أي اعتبروها قليلة - فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» [5]

انظر: [فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي] أي: من أعرض عن طريقتي وشريعتي فليس مني، تبرأ الرسول ﷺ من المبتدع ومن عبادته لأنها بدعة ولم يأذن بها الله عز وجل ولم يفعلها رسول الله ﷺ،

شدّد الرسول عليه الصلاة والسلام في البدعة وحرّم عليهم التعبد لله بما يخالف سنته، فالابتداع في الدين من أكبر الكبائر، وقد تؤول البدعة بصاحبها إلى الكفر والردة، والعياذ بالله؛ انظروا إلى ما وصل إليه عُبّاد القبور من غلاة الصوفية والرافضة وانظروا إلى الخوارج، الصوفية غلوا في محبة الرسول وتعظيمه ومحبة الصالحين حتى عبدوهم مع الله، بدعتهم كانت في الغلو في تعظيم الرسول والصالحين لكنهم، ليست البدعة في محبة الرسول إنما البدعة في الغلو في محبة الرسول، أن ترفعه فوق منزلته، فصاروا يستغيثون به ويعبدونه مع الله،

الرافضة غلوا في حبّ علي رضي الله عنه وآل البيت حتى عبدوهم مع الله،

والخوارج غلوا في إنكار المنكر حتى كفّروا بالمعصية ثم استحلوا دماء المسلمين فأخبر الرسول ﷺ أنهم كلاب أهل النار،

ما آفة هؤلاء الطوائف الثلاثة [الصوفية والرافضة والخوارج]؟

آفتهم الغلو ومجاوزة الحد، الغلو بدعة منكرة، لا يجوز أن تزيد على عبادة النبي ﷺ، وأولئك الثلاثة النفر ماذا أرادوا؟ أرادوا أن يزيدوا على عبادة النبي وهذا هو الغلو.

قال الإمام أحمد: (وكل بدعة فهي ضلالة)،

---

[5] (البخاري 5063، مسلم 1401).

فالبدعة باب ضلالة لأنها تؤدي إلى الكفر، أخذ هذا القول من قول النبي ﷺ في حديث العرباض بن سارية في آخر الحديث قال: [وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة]،

وكما في خطبة الحاجة عند مسلم أيضاً(867)، قال: [وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة] وزاد النسائي في حديث صحيح، قال: [وكل ضلالة في النار]،

إذاً مصير المبتدع إلى النار، نسأل الله العافية،

لذلك قال السلف: [البدعة بريد الكفر]

يعني تؤدي إليه في النهاية، فإن كانت البدعة مكفرة فإنه لا يخرج من النار [وكل ضلالة في النار] يعني صاحب الضلالة يعني المبتدع يدخل النار، إن كانت بدعته مكفرة فلن يخرج من النار، وإن كانت غير مكفرة فهي من الكبائر وهو تحت مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه، نسأل الله العافية،

ولذلك أغلق الرسول ﷺ هذا الباب، أغلق باب الابتداع فقال ﷺ: [من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد] [6]

هذا كله الذي أذكره أدلة على تحريم البدعة [من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد] أي مردود لا يقبله الله، هذا الحديث جاء في تحريم **البدعة الأصلية**، هذا الحديث عند مسلم في تحريم **البدعة الأصلية هي (التعبد بعبادة ليس لها أصل الدين)** ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ولا مِن فِعل السلف الصالح، مثل ماذا؟

مثل بدعة الطواف حول القبور والسجود لها والذبح لها وبدعة الرهبانية ؛ ترك الزواج، وبدعة الاحتفال بالميلاد النبوي.

وفي الحديث الآخر الذي في الصحيحين، قال ﷺ:

[من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد] [7]

هذا في تحريم البدعة الإضافية، **البدعة الإضافية هي: (التعبد بعبادة مشروعة في أصلها ممنوعة في وصفها)**، يعني مثال، نذكر مثالاً: مثل ذكر الله عز وجل، ذكر الله مشروع في أصله ولكنه إذا صاحبه الضرب بالدف والتمايل والرقص وكان بصوت موحد وبشكل جماعي فهذه كلها بدع أضيفت على الذكر، فالذكر؛ ذكر الله مشروع في أصله لكن أضيفت البدعة عليه فسميت بدعة إضافية، لذلك قال ﷺ: [من أحدث في أمرنا هذا] أي أضاف إلى العبادة شيئاً مخالفاً لسنتنا وطريقتنا ولو كان مشروعاً في أصله فهو رد، لا يقبله الله عز وجل.

فالخلاصة أن:

---

[6] (مسلم 1718)
[7] متفق عليه: (البخاري 2697)، (مسلم 1718)

- **البدعة الأصلية هي التي ليس لها أصل في الشريعة**

مثل الرهبانية وعبادة القبور والاحتفال بالمولد،

- **أما البدعة الإضافية هي المشروعة في أصلها، الممنوعة في وصفها،**

يعني زاد عليها شيئا إضافيا، مثل الذكر الجماعي، مثل قراءة الفاتحة على المقابر وعند الزواج، الفاتحة مشروعة بلا شك بل هي أفضل سورة في كتاب الله ولا تصح الصلاة إلا بها ولكن لم يقرأها الرسول ﷺ على الأموات ولا عند الزواج بل علّمنا أن ندعو بدعاء عند دخول المقابر وبدعاء عند الزواج...... وهكذا، فقراءة الفاتحة على المقابر وعلى الأموات وعند الزواج هذه بدعة إضافية، وأكثر البدع من هذا النوع، أي من البدع الإضافية، لأنها تُشْكلُ على الجاهل، تشكل على الناس،

العبادة مشروعة لكنه لا يلاحظ أن الزيادة على السنة ومخالفة السنة، لا يلاحظ أنها بدعة، مثلاً: إخراج زكاة الفطر، إخراج زكاة الفطر يجب أن تخرج طعاماً والجاهل يقول: ما المانع من إخراجها نقوداً؟ لأن إخراج النقود أصلاً مشروع، صدقة، ولكن في هذا الموطن في هذا الوقت إخراج زكاة الفطر في رمضان أخرجها الرسول ﷺ طعاماً، فإخراجها نقوداً تكون من باب ماذا؟ من باب البدعة الإضافية التي هي مشروعة في أصلها ولكنها صارت ممنوعة في وصفها،

ولذلك فإن أهل العلم رحمهم الله قعّدوا القاعدة الآتية، قالوا أن **(الأصل في العبادات المنع إلا ما دل عليه الدليل)**، هذه قاعدة عظيمة وصحيحة وعليها أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، أهم هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ (الشورى21)،

قال الإمام الطبري رحمه الله: [ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه]

انتهى كلام الإمام الطبري،

فلا يجوز لأحد أن يتعبد لله بعبادة من عنده، هذا تحريف للدين وتبديل للدين، وتأملوا كيف ابتدع المشركون واليهود والنصارى والصوفية والرافضة بدعاً حتى خرجوا من الدين وصار لهم دين جديد لم يأت به محمد ﷺ ولم ينزل به القرآن،

فالواجب على كل أحد الاتباع، **فالاتباع هو أن تعبد الله بما شرع، الاتباع هو أن تعبد الله بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وبما أجمع عليه السلف الصالح**،

أما الابتداع فضدّه، **الابتداع هو التعبد لله بما لم يكن عليه الرسول ﷺ وأصحابه**، هذه هي البدعة.

والبدعة خطيرة جداً على الدين وعلى الفرد، والبدعة أشد خطورة من المعصية:

أما خطرها على الدين فلأنها تحريف للدين لأن البدعة تحل مكان السنة حتى يتبدل الدين شيئاً فشيئاً،

فإن كل كفر منشؤه بدعة، كل كفر في الأرض منشؤه بدعة،
أما خطرها على الفرد فلأن المبتدع لا يتوب من بدعته فيكون في سخط الله وهو يتقرب إلى الله ببدعته، لكن العاصي يعلم أنه في سخط الله فيوشك أن يتوب،
فالبدعة أشد خطراً من المعصية، العاصي يعلم ؛ شارب الخمر والزاني والقاتل - نسأل الله العافية - يعرف أنه في سخط الله فيوشك أن يتوب، أما هذا المبتدع الذي يعبد الله عز وجل ببدعته متى يتوب؟
لذلك ولهذه الخطورة فإن التحذير من البدع أصل من أصول السنة.
وأخيراً وأذكر هذه المسألة من غير تفصيل، نذكرها إن شاء الله في المستويات القادمة، أنه ليس في الدين بدعة حسنة بل كل البدع ممنوعة وخطيرة، لأن الرسول ﷺ قال: [كل بدعة ضلالة] فهذا لفظ عام باق على عمومه وليس فيه استثناء، ليس هناك بدعة حسنة لأن النبي ﷺ عمّم وشمل كل البدع فقال: [كل بدعة ضلالة].

نكتفي بهذا القدر

وسبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت،

أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس رقم (4)

التاريخ: الاثنين 03/ربيع الثاني/1440 هـ 10/ديسمبر/2018 م

الدرس الرابع من شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فهذا هو المجلس الرابع من مجالس شرح أصول السنة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وتركُ الخصوماتِ والجلوسِ مع أصحابِ الأهواءِ، وتركُ المراءِ والجدلِ والخصوماتِ في الدين)**.

هذا هو الأصل الثالث وهو في تحريم الخصومات والمناظرات في الدين سواء أكان ذلك مع مبتدع أو مع سنّيّ،

الخصومات محرّمة مطلقاً؛ لأن مفاسد الخصومات والمناظرات وخيمة فإنها تؤدي إلى الشكّ في الدين وقد تؤدي إلى الكفر والعياذ بالله ولا فائدة منها أبداً.

وهذا الأصل أصلٌ منهجيٌّ، فإنه يبيّن لك كيفية التعامل مع أهل البدع؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبين لك كيفية الجدال مع أخيك السني، فسوف تعرف يا طالب العلم بعد دراسة هذا الأصل عدة أمور:

- ستعرف هل تجوز مناظرة أهل البدع؟
- وهل تجوز مجالستهم؟
- وهل يجوز السماع لهم وأخذ العلم عنهم؟
- هل تجوز مصاحبتهم وموادّتهم؟
- وستعرف أيضاً هل تجوز مناظرة السني بحجة إظهار الحق ونُصرته؟
- وما هو الفرق بين المناظرة والجدال بالتي هي أحسن؟

هذه الأسئلة كلها ستعرف جوابها إن شاء الله تعالى بعد دراسة هذا الأصل الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة، فهذا أصل منهجي عظيم، هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، فلا يجوز لطالب العلم أن يجهله، لأن طالب العلم سيتصدى للدعوة إلى دين الله، فإذا جَهِلَ هذا الأصل فإنّه سيصدّ عن الدين وهو لا يشعر.

وهذا الأصل يتألف من شِقّين:

1- الشق الأول: تحريم الخصومات في الدين مع أهل البدع وتحريم مجالستهم والسماع لهم مطلقاً.

2- الشق الثاني: تحريم الخصومات في الدين مع السني ولو كان ذلك بحجة دعوته إلى الحق.

أما الشق الأول وهو تحريم الخصومات في الدين مع المبتدع وتحريم مجالسته والسماع له هو قول المؤلف:**(وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء):**

أصحاب الأهواء هم أهل البدع، وسماهم أهلُ السنة أصحابَ الأهواء تحذيراً من طريقتهم لأنهم يتّبعون الهوى،

والهوى هو ***"ميل النفس إلى ما تحب"*** ،

وأصحاب الأهواء يميلون مع أهوائهم حيث مالت، فيميلون إلى ما تحبه نفوسهم في تقرير العقيدة والمنهج لا إلى ما يحبه الله ورسوله، يميلون إلى "الهوى" ويسمونه "العقل" فهم في الحقيقة عابدون لأهوائهم، المبتدع اتخذ إلهه هواه، والنصوص كثيرة جداً في الكتاب والسنة في ذم الهوى.

أما الخصومات فالمقصود بها هنا **"الخصومات في الدين"** وليس المقصود الخصومات في الدنيا،

والخصومات في الدين هي التي نسميها اليوم المناظرات، الخصومات هي المناظرات،

الخصومات في الدين: هي ***(الجدل على وجه المغالبة)***، هذا تعريفها، فهذه محرّمة مطلقاً سواء كانت مع مبتدع أو مع سني،

أما إذا كان الجدال على وجه المناصحة مع سني، فيجوز ذلك وسنبين هذا النوع الجائز في الشق الثاني إن شاء الله تعالى.

نقف الآن عند **الخصومات في الدين** وهي: **(الجدل للمغالبة والمغاضبة)**،

يعني أن كل طرف همّه أن يخصم صاحبه لذلك سميت خصومات،

يخصمه: أي ينازعُه ليَغلبَه ويفُحِمَه، كل طرف همّه أن يهزم نظيره، لذلك سميت مناظرات، فالخصومات والمناظرات شيء واحد، وهي محرمة إذا كانت في الدين، أي أنّ مجادلة أهل البدع ومناظرتَهم محرمة ولو كان قصدُك إظهارَ السنة والدفاعَ عنها، لماذا؟

لأن هذا المبتدع الذي يجادلك لا يجادلك بحثاً عن الحق إنما يجادلك ليجرك إلى بدعته،

هذه حقيقة يجب أن نعلمها جيداً،

المبتدع لا يجادلك لإظهار الحق إنما يجادلك ليجرك إلى بدعته، فإذا جادلته مكّنته من نفسك، فيضلّك، يجرك إلى بدعته، فتصير مثله والعياذ بالله،

ولذلك فلا خير في مجادلة مبتدع، وفي أحسن الأحوال أنك تبقى على ما أنت عليه ويبقى هو على وما هو عليه، فلا تتوقع منه أن يرجع عن بدعته، هذا بعيد جداً،

فما الفائدة في جداله إذاً؟ لا فائدة ترجى من مجادلة مبتدعٍ أبداً، لأنه زائغ القلب، ويُخشى عليك أن

تنغمس في بدعته، يخشى عليك إذا جادلته وناظرته أن تنغمس في بدعته، لأن **الشُّبَه خطّافة والقلوب ضعيفة** كما قال أهل العلم،

وانظر إلى حال السلف الصالح في هذه المسألة:

قال أبو قلابة الجرمي وهو تابعي كبير أدرك سبعين من الصحابة وسمع منهم، قال رحمه الله: [لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون]

انظر! هذا هو خطر مناظرة المبتدع:

- إما أن تخرج من السنة وتصير مبتدعاً مثله،
- وإما أن تشكّ في السنة،

وهذه مصيبة عظيمة، هذه مصيبة في الدين، فحافظ على دينك وحافظ على قلبك من الشبهات، وسلامة دينك لا يعدلها شيء، كما كان يقول السلف: السلامة في الدين لا يعدلها شيء، أنت تريد هداية هذا المبتدع وتريد الثواب من الله على ذلك ولكنك بالمقابل تخاطر بدينك، قد تخسر دينك، ودينك هو رأس مالك، وهل مِن تاجرٍ عاقلٍ يدخل في تجارة يُحتمل أن يخسر فيها كل ما يملك؟!، لا عاقل يفعل ذلك، ولو فعل فخسارة المال يمكن أن تعوّض ولكن خسارة الدين لا تعوّض، فلا يجوز لك أن تخاطر بدينك بحجة أن تنقذ مبتدعاً من بدعته لأنك ستعرض قلبك لسهام الشبهات،

والرسول ﷺ قال: [فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يرتع فيه][8] فدل هذا الحديث على وجوب الابتعاد عن الشبهات خصوصاً إذا كانت في العقيدة والمنهج، فلا يجوز لك أن تخاطر بدينك سيّما إذا كنت مبتدئاً في طلب العلم أو كنت متوسطاً فيه، فإن كثيراً من المبتدئين في الطلب أو المتوسطين في الطلب عندهم ثقة زائدة بأنفسهم، تجد الواحد منهم يحسن الظن بنفسه ويزكي نفسه بنفسه، لم يزكّه أهل العلم، إنما هو يزكّي نفسه ويزعم أنه يريد أن ينصح هؤلاء المبتدعة فيخالطهم ويجالسهم ويجادلهم أو ينظر في كتبهم أو يدخل إلى مواقعهم في الإنترنت، وهذا في الحقيقة من ضعف العقل، لا يفعل ذلك إلا ضعيف عقل، فإنه إذا فعل ذلك سيجد عندهم شبهاتٍ أكبرَ منه، لن يستطيع ردّها، فلا يلبث أن يصير منهم ومثلهم، يقول بقولهم ويعتقد معتقدهم فيضل بعد الهدى والعياذ بالله، وهذه مفسدة عظيمة جداً، وقد سمعنا من مثل هذا الشيء الكثير، الكثير من الناس قد ضلوا وزلوا بسبب سماعهم لأهل البدع ودخولهم على مواقع أهل البدع، وحدث هذا قديماً وحديثاً،

---

[8] (متفق عليه البخاري 2051 مسلم 1599)

وبعض الإخوة يظن نفسه على علم، يحسن الظن في نفسه فيقول أنا قادر على التمييز بين الحق والباطل، هذه كلمة تُسمَع كثيراً من باب الاعتداد بالنفس ومن باب إحسان الظن بالنفس، يقول: أنا قادر على التمييز بين الحق والباطل، فيذهب ليتعلم عند مبتدع أو يدخل على مواقعهم ويقرأ كلامهم ويسمع شبهاتهم، فنقول له: لو كنت قادرا على التمييز بين الحق والباطل فأنت عالم، والعالم لا حاجة له أن يتعلم لا عند مبتدع ولا عند سني، العالم يعلِّم، نعم يطلب العلم ولكن حقُّه أن يعلم، فإن اعترفت أنك لست عالماً فأنت جاهل فلا يحل لك إذاً أن تتعلم عند مبتدع لأن الجاهل لا يقدر أن يميّز بين الحق والباطل، فأنت على خطر عظيم، وليس عيباً على الإنسان أن يكون جاهلاً، ولكن العيب كل العيب أن يجهل أنه جاهل وأن يكابر، فلن يتعلم حينئذ لأنه يظن نفسه على علم وهو في الحقيقة جاهل.

ولا حجة لأحد اليوم في طلب علوم الآلة أو أي علم من علوم الشريعة عند مبتدع لأن أهل السنة متوافرون والحمد لله ويعلّمون السنة للناس سيّما مع انتشار الإنترنت،

فإنك تستطيع وأنت في أقاصي الأرض أن تطلب العلم عند أهل السنة، وهذا المعهد المبارك - معهد الدين القيم - خير مثال على ذلك، فقد اشترك فيه العدد الكبير من الطلاب والحمد لله اشترك فيه آلاف الطلبة، هذا دليل على أن الكل قادر اليوم على طلب العلم عند أهل السنة الذين زكاهم أهل السنة، فالعلم الذي عند أهل السنة أكثر وأنقى وأسلم لقلبك من العلم الذي عند مبتدع، وها هي الآثار كثيرة جداً عن علماء السلف التي تمنع سماع العلم من مبتدع، علماء السلف كانوا راسخين في العلم كالجبال الرواسي ومع ذلك لم يكونوا يناظرون أهل البدع ولا يجالسونهم ولا يسمعون لهم، لماذا؟ لأنهم علموا - رحمهم الله - أن ذلك خطرٌ على دينهم رغم رسوخهم في العلم، أقول: رغم رسوخهم في العلم، فماذا نقول نحن اليوم؟!

تأمل معي هذه المواقف،

الموقف الأول: " دَخَلَ رَجُلَانِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فَقَالَا : يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قَالَ : «لَا». قَالَا : «فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»؟ قَالَ : «لَا». قَالَ : «تَقُومَانِ عَنِّي ، وَإِلَّا قُمْتُ». فَقَامَ الرَّجُلَانِ فَخَرَجَا ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : " مَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْرَأَ آيَةً؟ قَالَ : إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ يَقْرَأَا آيَةً فَيُحَرِّفَاهَا فَيَقِرَّ ذَلِكَ فِي قَلْبِي "[9]

تأمل شدة خوفهم على قلوبهم وعلى سلامتها من الشبهات، ذلك لأنهم يعلمون أن الخصومات مع أهل البدع لا خير فيها بل فيها كل شر لأنها تفضي إلى الشك في الدين، تفضي إلى الشك في السنة، إلى الشك في العقيدة والمنهج، وأي شر بعد هذا؟!، هذه هي المفسدة، هذا هو الكسر الذي لا ينجبر الناتج عن مناظرة ومخاصمة أهل البدع.

---

[9] (انظر السنة لعبد الله بن الإمام أحمد100، واللالكائي في أصول الاعتقاد242، و غيرهم)

الموقف الثاني: أخرج اللالكائي بسنده عن مَعْمَرٌ ، قَالَ: " كَانَ ابْنُ طَاوُسٍ جَالِسًا ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، قَالَ: «فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ» ، قَالَ: فَأَدْخَلَ ابْنُ طَاوُسٍ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ. قَالَ: وَقَالَ لِابْنِهِ: أَيْ بُنَيَّ ، أَدْخِلْ أُصْبُعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ وَاشْدُدْ لَا تَسْمَعْ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا ". قَالَ مَعْمَرٌ: «يَعْنِي أَنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ»[10]

الله أكبر ! ما أشد حرصهم على سلامة قلوبهم مع أنهم راسخون في السنة،

وأما شباب اليوم ليس عنده شيء في الحقيقة ومع ذلك يذهب إلى مبتدعة بل إلى زنادقة،

يدخل على مواقعهم ويختلط معهم فلا يلبث إلا يسيراً حتى يصير مثلهم وقد حصل هذا غيرَ مرة.

الموقف الثالث: وخذ هذه الحكمة من عمر بن عبدالعزيز رحمه الله واحفظها جيداً وافهمها جيداً، عمر بن عبدالعزيز الإمام العادل وهو من أئمة التابعين رحمه الله، قال رحمه الله: [من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل]،

من جعل دينه غرضاً: أي هدفاً،

للخصومات: أي للخصومات في الدين،

أكثر التنقل: سينتقل من دين إلى دين أي سيقع الشك في قلبه،

وقد بيّن معنى هذا الكلام الإمام مالك رحمه الله،

قال معن بن عيسى: [انْصَرَفَ مَالِكٌ بن أنس يوماً مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى يَدَيَّ فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالَ لَهُ أَبُو الْجُوَيْرِيَّةِ وكَان يُتَّهَمُ بالْإرْجَاءِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمُكَ بِهِ، وَأُحَاجُّكَ وَأُخْبِرُكَ برأْيي، قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي؟ قَالَ: إن غلبتك اتَّبِعْتنِي، قَالَ: فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ فَكَلَّمنَا فغَلَبَنَا؟ قَالَ: نتّبعه، قَالَ مالك رحمه الله: يَا عَبْدَ اللَّهِ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينٍ وَاحِدٍ وَأَرَاكَ تَتَنَقَّلُ من دين إلى دين قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ][11]

فالمعنى أن من جعل دينه هدفاً للخصومات يخاصم عليه هذا ويخاصم عليه ذاك فإنه سينتقل من دين إلى دين، كلما غلبه أحد انتقل إلى دينه، إذا كان على السنة تركها، فهو اليوم سني وغداً مرجئ وبعد غد معتزلي ثم جهمي وقد يرتد والعياذ بالله، هذا هو التنقل في الدين يؤدي الى الشك في الدين، وكما قال الإمام مالك: بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينٍ وَاحِدٍ، فكيف يتنقل الإنسان في كل يوم إلى دين؟

ذلك ناتج عن مخاصمة أهل البدع ومناظرتهم،

فلا تجوز مخاصمة أهل البدع أبداً ولا تجوز مناظرتهم ولا مجادلتهم ولكن يبيَّن الحق من غير جدال، هذا هو الواجب.

---

[10] (أصول الاعتقاد248)

[11] ذكر هذا الأثر الآجري في (الشريعة117) وغيره من رواة الآثار عن السلف

وتبيين الحق لأهل البدع من غير جدال له شرطان:

- الشرط الأول: أن تكون راسخاً في العلم، الجاهل لا يحل له أن يتكلم، إنما الراسخ في العلم هو الذي يبين الحق.
- الشرط الثاني: إن كنت راسخاً في العلم وغلب على ظنك أن هذا المبتدع جاء مسترشداً مستوضحاً طالباً للحق لأنه التبس عليه الأمر ويريد النصيحة- وهذا نادر جداً من أهل البدع- فحينئذ يجوز للعالم أن يبين له الحق، بل يجب أن يبين له الحق، لأن هذا من النصيحة الواجبة وليس من المناظرة والمخاصمة في الدين المحرمة،

فالفرق كبير جداً بين الجدال لبيان الحق وللمناصحة؛ وبين الجدل للمخاصمة والمغالبة. فالجدل للمخاصمة والمغالبة محرّم، والجدال لبيان الحق من النصيحة؛ هذا إذا كان المبتدع حريصا على إظهار الحق وعلى تحصيل الفائدة، وهذا نادر جدا كما قلنا.

والآثار كثيرة عن السلف الصالح في النهي عن الخصومات في الدين وفيما ذكرنا كفاية ومن أراد الاستزادة يجد ذلك في كتب المنهج، يجد ذلك خاصة في كتاب الشريعة للآجري وأصول الاعتقاد للالكائي وكتاب الإبانة لابن بطة.

والآن ننتقل إلى **<u>حكم مجالسة أهل البدع والسماع لهم</u>**:

بعد أن بيّنّا حكم الخصومات والمناظرات معهم فما حكم المجالسة والمؤانسة والمخالطة مع أهل البدع؟ مجرّد المجالسة لا تجوز، فاعلم -رحمك الله -أن في مجالسة المبتدع خطراً عظيماً على دينك، وأن في احترامه وتوقيره خطراً على دينك، بل وعلى دين غيرك أيضاً ممن قد يقلدك، ذلك أن الجلوس مع المبتدع يؤدي إلى مفسدتين كبيرتين:

1- المفسدة الأولى: تعود عليك أنت وهي أنك ستعرض قلبك للشبهات التي عنده مما يؤدي بك إلى <u>الشك في الدين</u> والشك في السنة كما تقدم ذكره آنفاً.

2- المفسدة الثانية: تعود على غيرك من المسلمين لأنك ستغرر بغيرك وذلك أنه عندما يراك الناس تجالس هذا المبتدع أو توقّره فإنهم سوف يحسنون الظن بك،

جلوسك معه وتوقيره هذه تزكية له ولو لم تتكلم، فسيأخذون عنه بعض شبهاته <u>فتكون أنت سبباً في ضلالهم</u>،

وقد حصل مثل هذا مع أبي ذر الهروي،

كان الهروي يسير مع شيخه أبي الحسن الدارقطني فلقيهم الباقِلّاني، أبو بكر الباقلاني هذا من رؤوس

الأشاعرة،

فماذا فعل الدارقطني غفر الله له؟ التزمه الدارقطني - أي عانقه - وقبّل رأسه وعينيه،

فسأله تلميذه الهروي: من هذا؟

فقال: هذا أبو بكر الباقلاني وأثنى عليه لأن للباقلاني مواقف جيدة في الرد على المعتزلة، ولكن لا يجوز توقيره واحترامه ولو كان يجادل بعض فرق أهل البدع ويرد عليهم،

فمنذ ذلك الوقت صار الهروي يتردد على الباقلاني حتى صار أشعرياً مثله بل صار الهروي من رؤوس الأشاعرة ونشر الأشعرية في المشرق والمغرب،

ولذلك فمن كان ممن يُقتدى به وكان متبوعاً فلا يجوز له أن يثني على مبتدع ولا أن يجالسه ولا أن يوقره، الواجب عليه أن يهجر أهل البدع وإلا فإنه سيكون سبباً في إضلال غيره عن السنة.

المثال الآخر في خطورة المجالسة مع المبتدع ما حصل مع عبد الرزاق الصنعاني،

عبد الرزاق الصنعاني حافظ، إمام، محدث، كبير، صاحب المصنف المعروف وهو مصنف عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق المليء بالأحاديث والآثار عن السلف الصالح وعن الصحابة، حدث عنه الإمام أحمد ورحل إليه وسمع منه،

ولكن عبد الرزاق الصنعاني كان يجالس جعفر بن سليمان الضَّبعي،

جعفر بن سليمان الضَّبعي كان حسن السمت وحسن الخُلُق ولكنه كان شيعياً، فجالسه عبدالرزاق فاغتر بسمته وحسن خلقه وأخذ عنه التشيع، وعندما نقول التشيع فالتشيع عندهم كان في تقديم علي على عثمان في الفضل فقط، أو في تقديم علي على أبي بكر وعمر في الفضل فقط وليس في الخلافة، هذا هو التشيع عندهم، لم يكن التشيع كما هو الحال اليوم، لم يكونوا يسبّون الصحابة والعياذ بالله، لم يكونوا يشكّكون في القرآن، بل كانت بدعة التشيع هي تفضيل علي على عثمان أو أبي بكر وعمر، وهذه بدعة مخالِفة لإجماع أهل السنة والجماعة،

الخلاصة أن عبدالرزاق أخذ بدعة التشيع عن جعفر بن سليمان الضبعي وصار شيعياً، وهذا في الحقيقة شيء طبيعي فإن الإنسان يتأثر بجلسائه ويتأثر بأصدقائه، لذلك قال النبي ﷺ: [الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل] [12]،

وقال ﷺ: [لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي] [13]،

---

[12] أخرجه أحمد 8417 وأبو داود4833 والترمذي2497وصححه الألباني في الصحيحة927

[13] (أخرجه الترمذي 2395وحسنه الشيخ الألباني)

وهكذا فلا يجوز لك أيها السلفي أن تستمع لأهل البدع ولا أن تجالسهم ولا أن تدخل على مواقعهم ولا أن تجادلهم ولا أن تناظرهم ولا أن تثني عليهم ولا أن تذكر حسناتهم ولو وجدت، فإن ذلك كله يفتح عليك أبواب الشبهات وأبواب الشك في السنة، في العقيدة والمنهج،

فإذا كنت ممن يقتدى به فلسوف تضلل غيرك من المسلمين عن السنة فتحمل أوزارهم والعياذ بالله.

والمميعة خالفوا أهل السنة والجماعة في هذا الأصل، المميعة لا مانع عندهم أن يجالسوا أهل البدع، لا مانع عندهم أن يأخذوا العلم عنهم بل يذكرون حسناتهم ويثنون عليهم كلما ذكروهم فوقعوا في موالاة أهل البدع ومعاداة أهل السنة، هذه هي بدعة المميعة، وقعوا في موالاة أهل البدع، وتجدهم في المقابل يعادون أهل السنة ويهاجمون علماء السنة، ويشمئزون من ذكرهم، وهذا الأصل الذي نتحدث عنه وهو تحريم مجالسة أهل البدع والسماع لهم يتفرع عن أصل الولاء والبراء على السنة، الولاء والبراء على السنة هذا هو الأصل العظيم، فكلما عظَّم المسلم السنة فإنه يوالي ويعادي عليها، فيتبرأ من أهل البدع ويهجرهم ولا يجالسهم ولا يسمع لهم ويوالي أهل السنة، والمميعة ضعف عندهم الولاء والبراء على السنة، ضعف عندهم هذا الأصل، فصار ولاؤهم وبراؤهم على حزبهم وعلى شيوخهم المزعومين، فكل من دخل في حزبهم فهو حبيبهم وهو سلفي، فوسّعوا دائرة السلفية وأدخلوا فيها أهل البدع وأدخلوا فيها المجروحين الذين حذّر منهم أهل العلم فانهدم عندهم هذا الأصل وهو وجوب هجر أهل البدع ووجوب ترك مجالستهم والسماع لهم، والله المستعان،

ولعل كثيراً منهم صار يوالي أهل البدع بسبب مجالستهم أصلاً، جاءهم هذا الشر بسبب المجالسة ثم انتقل الأمر إلى الموالاة لأهل البدع،

ثم انتقل إلى معاداة أهل السنة، نسأل الله العافية،

هكذا هي البدعة تبدأ صغيرة ثم تصير كبيرة، في البداية بدأت بالجلوس معهم وملاطفتهم وموادتهم ومخالطتهم ثم سمعوا شبهاتهم فصاروا يدافعون عنهم ثم صاروا يعادون أهل السنة.

ننتقل الآن إلى **<u>الأدلة على تحريم الخصومات في الدين</u>** مع أهل البدع وتحريم مجالستهم، والأدلة على تحريم الخصومات في الدين كثيرة جداً في الكتاب والسنة، وأقتصر منها على دليلين:

- الدليل الأول: من حديث الرسول ﷺ وهو الأصل في هذا الباب وهو حديث الدجّال، حديث الدجال هو الأصل في هذا الأصل، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال ﷺ: [من سَمِعَ بالدَّجَال فلينأ عنهُ، فوالله إن الرَّجُل ليأتيهِ وهو يحسِبُ أنه مؤمنٌ فيتَّبِعُهُ مما يُبعثُ به من الشُّبهاتِ] [14]

[14] - هذا الحديث أخرجه أحمد 19875وأبو داود 4319.

هذا الحديث هو الأصل في هذا الأصل كما قلنا، فإن الرسول ﷺ أمر بالفرار عن الدجال والبعد عنه لماذا؟ لما معه من الشبهات،

وكذلك أهل البدع عندهم شبهات فيجب معاملتهم كما نعامل الدجال،

فكما أن المؤمن القوي في إيمانه لا يقوى على الصمود أمام شبهات الدجال كما أخبر النبي ﷺ؛ فكذلك لا يقوى على الصمود أمام شبهات أهل الزيغ والضلال، لأن هذا عنده شبهات وهؤلاء عندهم شبهات، لا فرق، لا فرق، ونحن لا نشبه أهل البدع بالدجال، فهناك من أهل البدع من هم في دائرة الإسلام، والدجال كافر، لكن نشبه الشبهات بالشبهات، فكما أن الدجال عنده شبهات لا يقوى المؤمن القوي في إيمانه على ردها فكذلك أهل البدع عندهم شبهات لا يقوى المؤمن القوي في إيمانه على ردّها،

ولذلك كما سمعتم فإن الراسخين من أهل العلم كانوا يخافون على قلوبهم وكانوا لا يستمعون لأهل البدع ولا يجالسونهم ولا يناظرونهم، فهذا هو منهج السلف الصالح في التعامل مع أهل البدع كما تقدم بيانه.

- الدليل الثاني: هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام 68)

والشاهد قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ : قال مجاهد رحمه الله في تفسيرها: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرَ الْحَقِّ)، وقوله هذا عام يشمل الكفار وأهل البدع، فإن الكفار الذين نزلت فيهم الآية كانوا يخوضون في القرآن بتكذيبه والاستهزاء به فنهى الله نبيّه أن يقعد معهم وأمره بهجرهم والإعراض عنهم، انظر ! مع أن النبي ﷺ مأمور بتبليغ الشريعة، فهو رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك أمره الله عز وجل أن يعرض عمن يكذب بالقرآن ويستهزئ به ولا يؤمن به، وكذلك تتناول الآية أهل البدع الذين يحرفون القرآن عن مواضعه، قال الطبري في تفسيره: (عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال:[لا تجالسوا أهل الخصومات فإنهم الذين يخوضون في آيات الله] انظر، أهل الخصومات هم الذين يخوضون في آيات الله، الخوض الذي ذكره الله عز وجل في آية الأنعام هذه.

فهذه الآية الثامنة والستون من سورة الأنعام وهذا الحديث؛ حديث الدجال دليلان على وجوب هجر أهل البدع والبعد عنهم والإعراض عنهم وترك مناظرتهم ومجالستهم بل وتحريم السماع لهم، وكما قلنا فقد أجمع أهل السنة والجماعة على هذا الأصل وقد نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم، انتهى بحمد الله الحديث عن الشق الأول من هذا الأصل.

أما الشق الثاني: وهو تحريم الخصومات مطلقاً حتى مع السني، وهو قول المؤلف:

(وتركُ المراءِ والجدلِ والخصوماتِ في الدين): هذا كلام مطلق يعني سواء كان المراء والجدل والخصومات في الدين مع المبتدع أو مع السني.

ما هو المراء؟ ***المراء: هو الجدل للتشكيك***، هذا هو المراء، لأن المراء مأخوذ من "المِرْيَة"، والمرية: هي الشك، فالمراء والمماراة: هي الجدل على وجه التشكيك،

يعني أن يجادل الرجل أخاه ليشكك في قوله، وهو نوع من الخصومة لكنه يتميز بالتشكيك في قول الآخر، فإذا تمارى رجلان في القرآن - وهذا أخطر أنواع المراء - فإنّ كل واحد منهما يشكك في القرآن الذي مع الآخر وهذا كفر، وهذه طريقة باطلة في فهم القرآن، فمن جهل من القرآن شيئاً أو حصل عنده شك في شيء، الواجب أن يرد الأمر إلى أهل العلم امتثالاً لأمر الله عز وجل بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وامتثالاً لأمر النبي ﷺ: [أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ][15]، أي شفاء الجهل السؤال، العلماء يزيلون الشك ويوضحون الحق، وقد قال ﷺ:[المراء في القرآن كفر][16]

في كثير من الأحيان هذا جاهل وهذا جاهل يجلسان، هذا يأتي بآية وهذا يرد عليه بآية، كيف تضرب القرآن بعضه ببعض؟

لذلك قال ﷺ:[المراء في القرآن كفر] والمعنى؛ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: [المراء في القرآن كفر]أن المراء في القرآن يؤدي إلى الشك في القرآن وهذا كفر،

وأيضاً المراء في القرآن يؤدي إلى رد القرآن وهذا كفر، ولو لم يؤدي إلى الكفر الأكبر فهو كفر أصغر على كل الأحوال، لأن حقيقة المراء أن كل واحد يبطل قول صاحبه ويشكك فيه بشبهات يلقيها، هذه هي حقيقة المراء، كل واحد يشكك في قول الآخر فلا يجوز أن تضرب القرآن بعضه ببعض، وهذا يبيّن لك حكم المخاصمة في الدين أي مع أخيك السني،

فالمخاصمة في الدين حتى مع أخيك السني محرّمة،

المناظرة في الدين والمغالبة والمراء والخصومة كلها لها حكم واحد وهو التحريم،

فيجب عليك إذا سئلت عن مسألة أن تذكر حكمها وأن تذكر دليلها إن كنت تعلم ذلك ثم تسكت، لا تزد على ذلك إلا بتوضيح شيء غامض، لأن الجدال بعد ذلك يصبح انتصاراً للنفس لا للحق، فلا يجوز أن تسترسل في الجدل بل (ألق كلمتك وامض) كما قال الشيخ الألباني رحمه الله، والمخاصمة اليوم كثيرة جداً سيّما على مواقع الإنترنت، وفي مجالس الناس، وهذه آفة عظيمة.

---

15 (سنن أبي داود336)

16 (أخرجه الإمام أحمد7499وقال الشيخ أحمد شاكر:إسناده صحيح، وأخرجه أبو داود في سننه 4603 وقال الشيخ الألباني:حسن صحيح)

ودليل تحريم المراء في الدين أن رسول الله ﷺ: خرج يوماً على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان من الغضب وقال: [بهذا أُمِرتم ! أو لهذا خُلِقتم ! تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم][17] .

ما هو سبب هلاكهم؟ أن هذا الأسلوب في الجدال يؤدي إلى الشك في الدين، وإلى التفرق في الدين، وفعلاً افترقت أمة محمد عليه الصلاة والسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة بسبب هذا النوع من الجدال، وزاد ابن أبي عاصم في كتاب السنة وحسنها الشيخ الألباني في ظلال الجنة(405)، قال ﷺ: [ألهذا خلقتم أم بهذا أمرتم، لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، انظروا ما أمركم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه] هذا هو الواجب على المسلم مع القرآن أن يأتمر بأوامره وأن ينتهي عن نواهيه.

فالخلاصة أن الجدل للمراء والمغالبة حرام، لكن يجوز الجدال مع السني على وجه المناصحة وذلك بالشروط الآتية، يجوز لك أن تجادل أخاك السني بالشروط الآتية:

- الشرط الأول: **إخلاص النية لله**: أي أن تنوي أن تنصح أخاك وأن تظهر الحق وأن تنصر الحق فإن تبين لك أن الحق معه يجب عليك أن تتبعه لأن الحق ضالة المؤمن.
- الشرط الثاني: **العلم**، فلا يحل للجاهل أن يجادل، إنما يجادل صاحب العلم، صاحب الدليل، يجادل للمناصحة لا للمغالبة.
- الشرط الثالث: **الحِلم**، لا تغضب ولا تحتدّ ولا ترفع صوتك عندما تناقش في مسألة شرعية، فذلك يحملك على رد الحق، الغضب يحملك على أن ترد الحق وعلى أن تنتصر لنفسك ولو كنت على باطل وإن كان الحق معك يحملك الغضب أن تدافع عن قولك لأنه قولك لا لأنه حق.
- الشرط الرابع: **التواضع**، يجب أن يكون المسلم خلال مناصحته لإخوانه متواضعاً لهم، فهذا أدعى لقبول الحق منك، وهذا يحملك على التراجع عن قولك إن علمت أنه خطأ، أما الكبر فإنه يحملك على رد الحق وازدراء الخلق،

والواجب على المسلم أن يتواضع للحق لأن الحق أكبر منك مهما كنت كبيراً في العلم ومهما كنت كبيراً في السن أو في المكانة أو في السُّلطة، الحق أكبر من ذلك كله لأن الحق هو حكم الله جل وعز.

فمن قامت في قلبه هذه الخصال أثناء الجدال فإن الله يؤيده ويوفقه ويسدده لأنه اتخذ أسباب السلامة، وهذا النوع من الجدال جائز بل مطلوب وقد يكون واجباً عينياً في بعض الأحيان لقول الله

[17] (أخرجه الترمذي2133 وحسنه الألباني

تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل125) هذه الآية دلت على أن مِنَ الجدال ما هو حسن، ومنه ما هو قبيح،

- والجدال الحسن أن تجادل للمناصحة ولبيان الحق وإظهاره،
- والجدل القبيح هو المخاصمة والمغالبة والمراء كما تقدم تفصيله،

وأهل البدع لا يجادلون إلى للمخاصمة والمغالبة والمراء والتشكيك في السنة لذلك يحرم السماع لهم وتحرم مناظرتهم ومخاصمتهم، والله تعالى أعلم،

والحمد لله رب العالمين.

التاريخ: الاثنين 10/ربيع الثاني/1440 هـ 17/ديسمبر/2018 م

عنوان هذا الدرس:

(الرد على العقلانيين والقرآنيين والمميعة)

وهذا ملخص الدرس:

اشتمل هذا الدرس على:

1- شرح قول المؤلف: **"وَالسّنة تفسر الْقُرْآن وَهِي دَلَائِل الْقُرْآن وَلَيْسَ فِي السّنة قِيَاس وَلَا تضرب لَهَا الْأَمْثَال وَلَا تدْرك بالعقول وَلَا الْأَهْوَاء إِنَّمَا هُوَ الإتباع وَترك الْهوى"**

وفيه خمس جمل وخلاصتها:

أ- ان العقائد والأحكام تثبت بالحديث الصحيح سواء كان الحديث من المتواتر او من الآحاد.

وهذا فيه رد على العقلانيين:

وهم (الذين يقدمون العقل على النقل في تقرير العقائد، ويقدمون الرأي على الحديث في تقرير الأحكام الفقهية).

ب- أن السنة الصحيحة مثل القرآن في التشريع.

وهذا فيه رد على القرآنيين:

وهم (الذين ينكرون أن السنة مثل القرآن في التشريع).

فهذا الأصل فيه رد على هاتين الطائفتين الضالتين وهم: العقلانيون والقرآنيون، وعلى من تشبه بهم.

2- شرح قول المؤلف: **"وَمن السّنة اللَّازِمَة الَّتِي من ترك مِنْهَا خصْلَة لم يقبلهَا ويؤمن بهَا لم يكن من أَهلهَا..."**

وخلاصته: أن الشخص يخرج من السنة إذا ترك منها خصلة واحدة.

أي بخطأ واحد؛ إذا كان هذا الخطأ في العقيدة والمنهج، وقامت عليه الحجة.

وهذا فيه رد على بعض شبهات المميعة وهي:

- قولهم عن المبتدع: (أخطأ! ومن هذا الذي لا يخطئ؟!)

- قولهم: (لا يبدع الشخص بخطأ أو خطأين).

- قولهم عن الذي ينصحهم من علماء السنة ويحذر منهم: (هؤلاء غلاة التجريح).

●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الدرس الخامس من شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد:

فهذا هو الدرس الخامس من دروس شرح أصول السنة،

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، وَالسّنة تفسر الْقُرْآن وَهِي دَلَائِل الْقُرْآن وَلَيْسَ فِي السّنة قِيَاس وَلَا تضرب لَهَا الْأَمْثَال وَلَا تدْرك بالعقول وَلَا الْأَهْوَاء إِنَّمَا هُوَ الاتباع وَترك الْهوى).**

هذا هو **الأصل الرابع** من أصول السنة التي ذكرها الإمام أحمد رحمه الله وهو أصل منهجي مهم جداً، وذكره المؤلف ليقرر: **(أن السنة مثل القرآن في التشريع)**، أي أن السنة مثل القرآن في إثبات العقائد والأحكام.

وهذا الأصل فيه رد على طائفتين ضالّتين هما:

- **الطائفة الأولى العقلانيون**: وهم الذين يقررون العقيدة بالعقل، الذين يقدّمون العقل على النقل،

فبيّن الإمام أحمد رحمه الله في هذا الأصل أن العقيدة تَثبُت بالحديث الصحيح سواء كان الحديث من المتواتر أو من الآحاد، والعقلانيون لا يقبلون حديث الآحاد في تقرير العقيدة.

- **الطائفة الثانية: القرآنيون**، وهم الذين يقولون إن الشريعة قرآن فقط وينكرون السنة.

فبين الإمام أحمد رحمه الله أن الشريعة قرآن وسنة وليست قرآناً فقط.

- واشتمل هذا الأصل على خمس جمل:

1- الجملة الأولى قال: **(والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ):**

بيّن لك من أين تؤخذ العقيدة، فقال: **(والسنة عندنا)** أي عند أهل الحديث.

(آثار رسول الله) وآثاره هي: **(ما ثبت عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية).**

اي أن العقيدة والمنهج عند أهل الحديث تؤخذ من آثار الرسول عليه السلام كما تؤخذ من القرآن.

لأن الشريعة كتاب وسنة، والعقلانيون وأهل البدع لا ينكرون الكتاب، ولذلك ركّز الإمام أحمد على ذكر السنة حتى يبيّن أن العقيدة والمنهج تؤخذ من السنة كما تؤخذ من الكتاب، كما قال ﷺ: [ألا وإني أوتيت

الكتاب ومثله معه][18]

وحتى يبيّن أيضاً أنه لا فرق بين الحديث المتواتر وحديث الآحاد في تقرير العقيدة.

- والمتواتر يراد به الحديث الذي رواه جمع كثير من الرواة،
- والآحاد يراد به الحديث الذي رواه جمع قليل من الرواة،

وتفصيل القول في هذا الأمر في كتب المصطلح.

وأهل البدع نظروا إلى المسائل الغيبية - وهي مسائل العقيدة -نظروا إليها بعقولهم ولم ينظروا إليها من خلال الوحي، فلما نظروا إليها من خلال عقولهم لم يقتنعوا بها؛ فأنكروها، ولذلك اخترعوا هذه القاعدة الباطلة وقالوا: "لا تؤخذ العقيدة من حديث الآحاد"! وهذا قول باطل مبتدع ردوا به السنة الصحيحة، وقد دلّت الأدلة من الكتاب والسنة على بطلانه، وبناء على هذه القاعدة المخترعة أنكروا كثيراً من الأسماء والصفات والعقائد، فأنكروا مثلاً عذاب القبر، وأنكروا الحوض، والميزان، وأنكروا أسماء الله عز وجل وصفاته، ولذلك فإن الإمام أحمد يقرر هنا أن "**السنة عندنا آثاررسول الله**"، أي أن العقيدة والشريعة كلها، عند أهل الحديث تؤخذ من آثار رسول الله، أي أقواله وأفعاله وتقريراته، سواء كانت من المتواتر أو من الآحاد.

قوله **(عندنا)** المراد أهل الحديث، وسموا أهل الحديث لأنهم تمسّكوا بالحديث الصحيح، المتواتر والآحاد في تقرير العقيدة، خلافاً لأهل البدع الذين تمسكوا بعقولهم.

فخلاصة المعنى: أن العقائد والأحكام تثبت بالحديث الصحيح سواء كان الحديث من المتواتر أو من الآحاد، لا فرق بينهما أبداً، وأن السنة الصحيحة مثل القرآن في التشريع، هذه هي خلاصة هذه الجملة.

ويزيدها بياناً: الجملة الثانية:

قال رحمه الله: **(وَالسّنة تفسر الْقُرْآن وَهِي دَلَائِل الْقُرْآن):**

هذا رد على القرآنيين الذين ينكرون السنة.

في هذه الجملة بين وظيفة السنة ومنزلتها من القرآن، فإن قيل لك: ما هي وظيفة السنة؟ أو ما هي أهمية السنة؟

فقل: السنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن، فهاتان وظيفتان للسنة:

- الأولى: تفسر القرآن أي تبين معانيه.
- الثانية: وهي دلائل القرآن أي أن السنة فيها أدلة على أحكام القرآن.

[18] أخرجه أحمد ١٧١٧٤ وأبو داود ٤٦٠٤ وصححه الألباني.

وشرح ذلك:

أن الرسول ﷺ بلّغ وبيّن، هذه هي وظيفة الرسول عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [التغابن: 12]

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 44]

فالرسول ﷺ بلغ وبيّن، بيّنَ ماذا؟ بين معاني القرآن أي فسّره، وبيّن أحكام القرآن يعني بيّن دلائله.

أما تفسيره: فالرسول ﷺ فسّر القرآن وبيّن معانيه، فتجد في كتب المحدّثين "كتاب التفسير"، تجد مثلاً في صحيح البخاري أو صحيح مسلم تجد "كتاب التفسير"، ذكر المحدثون فيها أحاديث مسندة عن الرسول تفسّر القرآن، ففسّر الرسول ﷺ القرآن بأقواله وأفعاله وتقريراته وأخلاقه وهديه عليه السلام، هذا معنى **(السنة تفسر القرآن)**.

أما بيان أحكام القرآن: أي بين أدلته، فإن السنة فيها أدلة على أحكام القرآن، هذا هو المراد بقوله **(وهي دلائل القرآن)** أي أن السنة فيها أدلة على أحكام القرآن، يعني أن السنة فيها:

- تخصيص للعام من القرآن
- وفيها تقييد للمطلق
- وبيان للمجمل
- وقد تنسخ السنة بعض الآيات،

وهذه المسائل تفصيلها في علم أصول الفقه، فهذه تسمى الأدلة الإجمالية، فهذه أدلة على أحكام القرآن فمَن جهلها لا يفهم القرآن.

ومن أمثلة ذلك -نزيد الأمر توضيحاً بالأمثلة:

الصلاة - مثلا- جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾

والصلاة في اللغة: هي الدعاء، ولم يرد في القرآن عدد الركعات ولا صفة الصلاة ولا المواقيت، كل ذلك جاء مجملاً في القرآن فبيّنته السنة. فالسنة فيها أدلة على أحكام القرآن، أي فيها تفصيل وتوضيح للصلاة.

والزكاة أيضاً جاء الأمر مجملاً في القرآن، فقال تعالى: ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ،

والزكاة معناها في اللغة: النماء والطهارة، ولم يرد في القرآن أنصبة الزكاة ولا شروطها ولا الأموال التي تجب فيها الزكاة ولا مقدار الزكاة، جاء هذا كله عن طريق السنة.

وهكذا الصيام وهكذا الحج وهكذا الحدود كالقطع مثلاً، قطع يد السارق لم يبيَّن في القرآن موضع القطع

ولا المبلغ الذي يجب فيه القطع إذا سرقه السارق، تفاصيل هذا كله جاء في السنة النبوية، هذا معنى قوله رحمه الله: **(وهي دلائل القرآن)** أي في السنة أدلة على أحكام القرآن، وهذه الجملة فيها رد على القرآنيين الذين ينكرون السنة، والذي ينكر السنة كافر بالقرآن والسنة، لأن الله أمر في القرآن باتباع السنة، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر7]

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء59].

- الجملة الثالثة: قال رحمه الله: **(وليس في السنّة قياس):**

أي لا اجتهاد مع وجود نصٍّ من السنّة، هذا معنى هذه الجملة، ليس في السنة قياس، أي لا يجوز الاجتهاد مع وجود نص من السنة،

المقصود بالقياس هنا: الاجتهاد العقلي،

القياس: هو اجتهاد في مسألة لا دليل عليها فَتُرَدّ الفروع إلى أشباهها من الأصول بجامع العلة بينهما،

وهذا قياس جائز يجوز العمل به عند الضرورة أي عند فقد النص والإجماع، إذا لم نجد دليلاً من الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع ولا من أقوال السلف فحينئذ نقيس ونجتهد.

أما القياس مقابل النص مع وجود النص فهذا يسمّيه العلماء: القياس الفاسد،

القياس الفاسد: هو القياس في مقابل النص، وهذا المقصود بقول الإمام أحمد: **(وليس في السنة قياس)** يعني لا يجوز أن تقيس مع وجود السنة، مع وجود نصٍّ من السنّة، وسبق الكلام عن مسألة الاجتهاد وشروط الاجتهاد، والمراد من هذه الجملة الرد على العقلانيين الذين يقرّرون العقيدة بالعقل ويردّون السنّة الصحيحة بقياسات فاسدة بحجة ماذا؟ بحجة أن الحديث غير متواتر، فيقولون: إن حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة، وهذا قول باطل، ولذلك قعّد الإمام أحمد رحمه الله هذه القاعدة فقال: **(وليس في السنة قياس)**: هذا لإبطال قاعدة العقلانيين الذين ينكرون الآحاد ويقررون العقيدة بالعقل، بالاجتهاد العقلي وهو القياس الفاسد، أهل السنة لا ينكرون القياس، ولا ينكرون الاجتهاد مطلقاً، لكن ينكرون القياس مع وجود السنة، هذا هو المراد.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: [إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلّوا وأضلّوا] [19]

[19] أخرجه اللالكائي (٢٠١) في أصول الاعتقاد.

فقد كان أصحاب الرأي يفتون بخلاف السنة، قال الإمام الأوزاعي رحمه الله: [إنا لا ننقم على أبي حنيفة أنه رأى، كلنا يرى، إنما ننقم عليه أنه يُذكَرُ له الحديث عن رسول الله ﷺ فيفتي بخلافه][20].

وقول الإمام أحمد: **(وليس في السنة قياس)** أي لا يجوز الاجتهاد ولا يجوز القياس بما يخالف الحديث سواء كان ذلك في الفروع الفقهية أو في العقيدة، فإذا وردت السنة بطل الرأي،

ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: [أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ][21]

انظر! فالواجب الأخذ بالسنة والتمسك بها وترك كل قول مخالف للسنة إذا صحت وثبتت ولو كان قول أبي بكر وعمر - أي إذا تبين انهم أخطأوا - مع أن أبي بكر وعمر أفضل الناس بعد الرسل، فقولهم يترك إذا خالف السنة، فما بالك بقول غيرهم؟! قول غيرهم أولى بالترك، قال ذلك عبد الله بن عباس في مسألة فقهية معه فيها أثر عن النبي ﷺ.

- الجملة الرابعة: قال: **(ولا تضرب لها الأمثال)**

أي لا تعترض على السنة الصحيحة بعقلك، وعليك بالتسليم ولو لم يدركها عقلك **"أن تضرب لها الأمثال"**: يعني أن تعترض على السنة برأيك وفهمك وعقلك وهذا منافٍ للتسليم؛ الواجب على كل أحد، التسليم واجب على كل أحد، لأن الله تبارك وتعالى قال: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء٦٥]، لا بد من التسليم خصوصا في الأمور التي لا يدركها عقلك، وقد تقدم إنكار عائشة رضي الله عنها على المرأة التي قالت: [ما بالنا نقضي الصيام ولا نقضي الصلاة][22] ، هذا من ضرب الأمثال للسنة، هذا من الاعتراض على السنة بالعقل والرأي، فقالت عائشة: [أحرورية أنت؟] لأن الحرورية وهم الخوارج قدموا عقولهم على السنة، فإذا بلغك حديث الرسول ﷺ لك أن تسأل هل هو صحيح أم ضعيف فقط، هذا الذي تسأل عنه، فإذا علمت أنه صحيح فسلّم به ولا تعترض عليه بعقلك وهواك ولا تضرب له الأمثال ولو لم تفهمه.

فهذا الأصل من الإمام أحمد فيه ردٌّ على العقلانيين، ولذلك قال رحمه الله في الجملة الأخيرة:

(ولا تُدرَك بالعقول ولا بالأهواء، إنما هو الاتّباع وترك الهوى)

---

[20] انظر السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (٣٢٦)
[21] (أخرجه أحمد ٣١٢١)
[22])
البخاري 321 ومسلم 335)

أي لا تدرك السنة بالعقول ولا بالأهواء أي: لن تكون من أهل السنة ولن تفهمها إلا بالاتباع، لن تفهم السنة إلا بالاتباع،

أما من حكّم عقله على السّنّة فلن يفهم العقيدة، فالعقل والهوى طاغوتان كما قلنا من قبل، وقد تقدم ذكر وظيفة العقل، قلنا في مجالس سابقة ما هي وظيفة العقل، وظيفة العقل هي أن يفهم الحديث وأن يفهم معناه، أن تعرف هل هو صحيح أم ضعيف فقط، وليست وظيفة العقل أن يحكم على الحديث وأن يردّه إذا لم يقتنع به ويردّه بحسب هواه، الحديث إذا كان صحيحاً يجب قَبوله، فإذا لم تفهمه فرُدَّه إلى العلماء واسألهم عنه، ولو كان العقل وحده كافياً لفهم القرآن لما كان هناك حاجة إلى إرسال الرسل، لَمَا أرسل الله رسولاً إلى الأمم، ولكن لا يمكن إدراك المعنى الصحيح للكتاب والسنة إلا ببيان الرسول ﷺ لها ثم بيان الصحابة لها، وقد تقدم أن من تكلم في الدين بعقله فقد ابتدع وقال على الله بغير علم، ولذلك قعّد الإمام أحمد رحمه الله هذه القاعدة وقعّدها غيره من أئمة أهل السنة والجماعة وهي أن **السنة لا تدرك بالعقول ولا الأهواء**، قعدوا هذه القاعدة تحذيراً من شطحات العقل،

العقول لها شطحات ولا ضابط لها إلا بالسنة وبفهم السلف الصالح كما تقدم شرحه من قبل، ولذلك لما حذّر الإمام أحمد من هذا الداء وهو (العقل والهوى) بيّن لك الدواء بعدها فقال: **(إنما هو الاتباع وترك الهوى)** هذا هو الشفاء من الهوى، اتباع السنة والصحابة فيه شفاء من الهوى، والاتباع فيه عصمة من الزيغ والضلال عن سبيل النجاة كما أخبر الرسول ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية قال: [هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي][23]

هذا هو الاتباع، الاتّباع هو أن تكون على ما كان عليه الرسول وأصحابه، أي اتباع الكتاب والسنة وبفهم السلف الصالح، وقد تقدم بيان هذا والحمد لله.

أما من اتبع هواه وحكّم عقله على الشريعة فهذا ليس متبعاً بل مبتدع ضال، قال تعالى ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 3]

هذه آية من كتاب الله، الآية الثالثة من سورة الأعراف فيها أمر بالاتباع، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي لا تتبع الهوى، ولا تتبع العقل، ولا تتبع كلام المشركين، بل اتبع الكتاب والسنة، وقال ﷺ: [عليكم بسنتي وسنة

[23] (سنن الترمذي ٢٦٤١)

الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي][24] هذا حديث العرباض بن سارية دليل صحيح صريح في الأمر بالاتباع، هذا حديث فيه أمر بالاتباع.

ومن أقوال الصحابة قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: [اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم]، وقال عبدالله بن عمر: [كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة] فهذه آثار الصحابة فيها أمر بالاتباع وأمر بترك الهوى.

واعلم أن كل من لم يتبع الرسول ﷺ والصحابة فهو متبع لهواه والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص50]، إما أن تكون متبعاً للرسول وإما أن تكون متبعاً لهواك، لا محالة.

والمعطلة عقلانيون، فِرَق المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية كل هذه الفرق فرق عقلانية لأنهم قدموا العقل على النقل، ولأنهم يقررون العقيدة بطريق العقل بحجة ماذا؟ بحجة" أن العقل دلالته يقينية"، وكذبوا، فالعقل دلالته ليست يقينية والدليل على ذلك قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: [لو كان الدين بالعقل لكان مسح باطن الخف أولى من أعلاه]، والدليل أيضاً على أن العقل دلالته ليست يقينية أن العقلانيين أنفسهم اختلفوا بينهم فالمعتزلي يضلل الأشعري والأشعري يضلل المعتزلي وكلاهما يضللون الجهمي مع أنهم كلهم يقولون: العقل دلالته يقينية، فلو كان العقل دلالته يقينية فلماذا اختلفتم فيما بينكم؟ لماذا لم تتفقوا على هذا العقل اليقيني؟!

اختلافهم الشديد هذا دليل على أن العقل دلالته ظنية، وهذا أمر لا ينكره عاقل، فإن عقول الناس تختلف فكيف تكون دلالتها يقينية! وقد أخبر الله تبارك وتعالى أنهم سيختلفون فقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ ولكن استثنى منهم أهل الحق فقال: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ ، ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ (هود119، 118) فالاختلاف من طبيعة البشر، فما هو المخرج من هذا الاختلاف؟

المخرج هو أن نلتزم بفهم السلف الصالح، هكذا يتوحد الفهم، وقد تقدمت الأدلة في مجالس مضت على وجوب اتباع فهم السلف الصالح، وأهمية ذلك.

وهكذا نجد أن هذا الأصل فيه أمران مهمان:

- الأمر الأول: التحذير من إنكار السنة: فهذا كفر أكبر مخرج من الملة والعياذ بالله، وفي هذا تحذير من القرآنيين الذين ينكرون السنة.

---

[24] أخرجه أحمد ١٧١٤٤ وأبو داود ٤٦٠٧ والترمذي ٢٦٧٦

- الأمر الثاني: التحذير من تقديم العقل على النقل: والأمر بالاتباع، أي اتباع الكتاب والسنة وبفهم السلف الصالح، فهذا تحذير من العقلانيين الذين يقررون العقيدة بالعقل والذين يردون السنة الصحيحة بالعقل في العقائد والأحكام.

هذه هي خلاصة هذا الأصل أي الأصل الرابع.

أما **الأصل الخامس**

فقال المؤلف رحمه الله: **(ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها)**

فالمعنى: أن من ترك أصلاً واحداً فقط من أصول السنة هذه التي ذكرها والتي سيذكرها فهو مبتدع وليس من أهل السنة، هذا معنى هذا الأصل.

من ترك أصلاً واحداً من أصول السنة، من أصول العقيدة والمنهج فهو مبتدع وليس من أهل السنة، وهذه قاعدة مهمة جداً في حماية السنة من البدع، وهذه القاعدة أصل من أصول السنة، أصل منهجي من أصول السنة فمن تركه فهو مبتدع.

والدليل على هذا الأصل حديث الخوارج، نكتفي بهذا الدليل لأنه صريح في تبديع الخوارج لما تركوا أصلاً واحداً من أصول العقيدة والمنهج، بماذا صار الخوارج من أهل البدع وخرجوا من السنة؟ بكم خطأ؟ هل أخطأوا مائة خطأ؟

الجواب: خرجوا من السنة بخطأ واحد، ولذلك العبرة بنوع الخطأ وليس بعدد الأخطاء، هذه هي القاعدة المهمة في التبديع،

ما هو خطأ الخوارج؟ قال النبي ﷺ: [يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان] [25]

هذا هو خطأ الخوارج، هذا الخطأ الذي وقعوا فيه هو "استحلال الدماء المعصومة".

يقتلون من؟ يقتلون أهل الإسلام، هذا فيه استحلال للدماء المعصومة وهو خطأ واحد، فصاروا من أهل البدع وصاروا كلاب أهل النار وقال ﷺ: [يمرقون من الدين] وقال ﷺ: [لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد] وأمر بقتلهم فقال: [طوبى لمن قتلهم أو قتلوه] مع أنهم كانوا مجتهدين فلم يعذرهم، لأن الاجتهاد مع النص ممنوع.

فهذا دليل واضح على هذا الأصل وهو: "من ترك خصلة واحدة من خصال السنة فهو مبتدع".

ومن ترك خصلتين أو أكثر فهو مبتدع من باب أولى، والمميعة فارقوا أهل السنة في هذا الأصل، المميعة تركوا هذا الأصل لا يقبلونه ولا يؤمنون به وذلك أنهم لا يبدعون من وقع في بدعة أو بدعتين أو ثلاثة.... ويعددون، ولا يضعون ضابطاً لذلك،

---

[25] متفق عليه.

ولو سألتهم: بكم بدعة يخرج الإنسان من السنة؟ ما هو العدد للتبديع؟ لما استطاعوا أن يعطوك جوابا، ولو أجابوك بغير الواحد لكان خطأً، لأنه لا دليل إلا على الواحد كما سمعتم من حديث الخوارج.

وكلمتهم المائعة المعروفة أنهم يقولون عن المبتدع: "أخطأ؛ ومن هذا الذي لا يخطئ؟! " هذه كلمتهم يقولون: " أخطأ يا أخي ومن هذا الذي لا يخطئ".

وهذا تمييع لهذا الأصل الذي قرره الإمام أحمد وقرره ابن المديني أيضاً وغيرهم،

وهذا تلبيس على الجهال من الناس، وذلك أن هذه الكلمة - أي قولهم: أخطأ ومن هذا الذي لا يخطئ - هذه الكلمة تصدق على من أخطأ في المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الخطأ ويجوز فيها الاجتهاد، ولكنها كلمة باطلة إذا كان الخطأ في العقيدة، والمميعة يلبسون على الناس ويخلطون بين الخطأ الاجتهادي الذي يعذر صاحبه، وبين الخطأ في العقيدة والمنهج الذي لا يعذر صاحبه، فيلقون على الناس هذه الشبهة التي هي حق من وجه وباطل من وجه، وقد تقدّم شرح هذا الأصل وهي أن الخطأ في العقيدة والمنهج لا يُعذَر صاحبه، لا يجوز الاجتهاد في العقيدة والمنهج، الواجب في العقيدة والمنهج هو الاتباع، وبيّنّا هذا والحمد لله في مجالس مضت.

والسلف الصالح على هذا الأصل سائرون والآثار عنهم كثيرة جداً في وجوب الاتباع في مسائل العقيدة والمنهج خاصة، وفي المسائل الفقهية التي جاء فيها أدلة صحيحة.

فمن اجتهد في الفروع الفقهية التي لا دليل عليها وأخطأ فلا يُبدَّع، لماذا؟ يُعذَر لعدم الدليل، فالأمور الحادثة يجوز للعالم أن يجتهد فيها، لما ثبت في الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: [إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ] هذا في الفروع الفقهية التي ليس عليها دليل، فالمخطئ فيها معذور، أما من اجتهد في العقيدة فأخطأ فلا يُعذَر، والمميعة يعذرونه ويلتمسون لأهل البدع الأعذار، ولا يبدعونهم، فتجد من يقع في بدعتين وثلاثة وأربعة وهم يقولون أخطأ!

والحق أن هذا المبتدع ليس معذورا، لماذا؟ لأنه اجتهد في موطن الاتباع، من اجتهد في العقيدة لا يعذر لأنه اجتهد في موطن الاتباع، الدليل موجود وترَكه وذهب يجتهد، لماذا تجتهد؟ لماذا تجتهد وعندك نص من الكتاب والسنة أو من إجماع السلف أو من أقوال السلف؟ لا يجوز الاجتهاد في مسائل العقيدة.

إذاً الخطأ في العقيدة والمنهج ليس كالخطأ في الفروع الفقهية الاجتهادية التي ليس فيها دليل.

ولذلك الصواب أن العبرة بنوع الخطأ وليس بعدد الأخطاء كما تزعم المميعة، يذهبون يعدّدون: ويقولون الخطأ والخطآن والثلاثة لا تُخرِج من السنة، بكم يخرج الإنسان من السنة؟ ما هو الرقم الذي تحدّدونه لنا؟ لا جواب عندهم أبدا.

فنقول لهم: الحق أن العبرة بنوع الخطأ وليس بعدد الأخطاء، هذه قاعدة مهمة جداً في هذا الشأن والأمثلة عليها كثيرة جداً من منهج السلف الصالح.

الآن أريد أن أذكر بعض الأمثلة من منهج السلف الصالح وقد تقدم الدليل على ذلك: وهو حديث الخوارج، الخوارج خرجوا من السنة بمخالفة واحدة لكنها كانت مخالفة في العقيدة، في المنهج، استحلوا الدماء المحرّمة، أما أقوال السلف فقد كان السلف الصالح رحمهم الله يبدّعون الشخص بخطأ واحد إذا كان في العقيدة والمنهج، إذا كان في أصول السنة، خذ أمثلة على ذلك:

- المثال الأول: مَعبَد الجُهَني الذي نفى القدر وخرج ببدعته في آخر أيام الصحابة وقال:

الأمر أُنُف، معناها أن الله لا يعلم القدر إلا بعد وقوعه والعياذ بالله، فأنكر العلم، أنكر علم الله عز وجل، قوله" الأمر أنف" معناه علم الله مستأنف غير مكتوب ولا معلوم عنده قبل وجوده، فبدّعه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بهذه الكلمة، كلمة واحدة، خطأ واحد، بدّعه عليه، بل ظاهر كلام ابن عمر أنه كفّره عليه، وتفصيل هذا سيأتي إن شاء الله في مسائل القدر، لماذا بدعه ابن عمر ولماذا كفره؟ لأنه أخطأ في العقيدة، نفى علم الله عز وجل، وهذا خطأ واحد

- المثال الثاني: الجَعد بن دِرهَم: الجعد بن درهم كفره أهل العلم وأقيم عليه حد الردة لأنه قال: " ما كلم الله موسى"، أنكر الكلام فكذّب بالقرآن، وهذا خطأ واحد.
- المثال الثالث: الجهم بن صفوان والجهمية كلهم أيضاً كفّرهم أهل السنة لأنهم قالوا: "القرآن مخلوق"، وهذا خطأ واحد.
- المثال الرابع: المرجئة بدعهم أهل السنة لأنهم قالوا: أعمال الجوارح ليست من الإيمان، وهذا خطأ واحد.
- المثال الخامس: الخوارج وقد ذكرناهم، بدعهم أهل السنة ومنهم من كفرهم لأنهم استحلوا الدماء المعصومة بغير حق وهذا خطأ واحد مع أن الخوارج كانوا أكثر الناس تعبداً لله فصاروا كلاب أهل النار ببدعة واحدة فلا عبرة بكثرة العبادة مع البدعة ولم تُذكر حسناتهم إلا حتى لا يُغتَرَّ بهم،

لم يَذكر النبي ﷺ حسناتهم على وجه المديح، بل قال «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» [26]

فذكر النبي حسناتهم حتى لا يغتر الناس بهم، ذكرها على وجه التحذير وليس على وجه المدح كما يفعل المميعة وأصحاب الموازنات.

[26] متفق عليه البخاري ٥٠٥٨ ومسلم ١٠٦٤

- المثال السادس: الشيعة، الشيعة قالوا إن علياً أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان فبدّعهم أهل السنة، وهذا خطأ واحد، ثم تشعّبت بدعهم بعد ذلك وزادت، لكن أصل البدعة بدعة واحدة.
- المثال السابع: الصوفية، عندهم بدع كثيرة نعم، لكن بداية بدعتهم كانت أنهم غلوا في محبة الأنبياء والصالحين فبدّعهم أهل السنة على هذا، وهذا خطأ واحد.
- المثال الثامن: الأشاعرة، حرّفوا الصفات وقالوا عن التحريف هو تأويل، فبدّعهم أهل السنة ولم يعذروهم، بدعوهم لأنهم أخطأوا في العقيدة.

وهكذا الأمثلة على هذا الأصل كثيرة وهو أن العبرة بنوع الخطأ وليس بعدد الأخطاء، والمميعة خلطوا الأمور وضيّعوا معالم السنة، فلا يبدّعون أهل البدع لأنهم يوالونهم ويحبونهم، فأشربوا في قلوبهم حب أهل البدع والعياذ بالله، وهذه مصيبة عظيمة والله، فجعلوا من أنفسهم محامين ومدافعين عن أهل البدع، ووضعوا قواعد فاسدة لحماية أهل البدع منها؛ قولهم: " نصحح ولا نجرّح"، ومنها: "منهج الموازنات"، ومنها: "المنهج الأفيَح".

وحاولوا أيضاً أن يشككوا في قواعد الجرح والتعديل، وصنفوا كتباً في ذلك، صنعوا كل هذا دفاعاً عن أهل البدع، ولا حول ولا قوة إلا بالله، مع أن الواجب هجر أهل البدع، الواجب بغض أهل البدع وترك موادّتهم ومجالستهم كما تقدم في المجلس السابق، وفي المقابل تجد المميعة يطعنون في أهل السنة، وهذا من عجائبهم أنهم يتلطفون بأهل البدع ويطعنون في أهل السنة ويحذرون الناس من علماء أهل السنة، وهذه بحد ذاتها بدعة، لأن السلف الصالح كانوا يقولون: (من علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر)، نعم، من علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، لأن الذي يقع في أهل الأثر يريد أن يسقط علماء السنة، وإسقاط علماء السنة حربٌ على الدين، إسقاط علماء السنة حرب على السنة، ولذلك لا يهاجم علماء أهل السنة وعلماء الأثر إلا مبتدع والعياذ بالله، والمميعة يعذرون أهل البدع ويهاجمون علماء السنة ولا يعذرونهم بل ويسمون أهل السنة "غلاة التجريح" وهذا باطل والله، فالغلو في التجريح هو "الجرح بغير دليل"، إذا جرحوك بغير دليل فقل هذا غلو في الجرح، أما من حذّر من مبتدع وجرحه وجاء بالدليل على جرحه فهذا ليس من الغلو في شيء، بل هذا هو العدل، لأن الرسول ﷺ جرح الخوارج وحذر منهم بخطأ واحد، وهو استحلال الدم المعصوم، فهل الرسول ﷺ عندكم من غلاة التجريح؟!، نسأل الله العافية.

ولكن القوم متبعون لأهوائهم فالأصل الذي يسيرون عليه هو أن كل من وافقهم فهو سلفي ولو كان محارباً للسنة، وأن كل من خالفهم فهو من غلاة التجريح ولو كان من علماء أهل السنة وأعلامها الذي زكاه عشرات العلماء، فالمميعة يبدعون من ينصحهم، يبدعون من يبين خطأهم ويكرهون الجرح، ورحم الله الإمام الوادعي فقد قال: [يكرهون الجرح لأنهم مجروحون]، نعم، لا يحبون الجرح، يريدون أن يهدموا هذا

الأصل عند أهل السنة والجماعة ويضعون له قواعد مخترعة حتى يهوّنوا من أمر البدع التي هم عليها فهم أصلاً أصحاب بدع ليسوا من أهل السنة وهم مجروحون لذلك يكرهون الجرح،

نسأل الله العافية،

نكتفي بهذا القدر

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك.

●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

التاريخ: الاثنين 17/ربيع الثاني/1440 هـ 24/ديسمبر/2018 م

عنوان هذا الدرس:

(الإيمان بالقدر، وترك التعمق فيه بالعقل، وترك الخصومات فيه)

ملخص الدرس:

اشتمل هذا الدرس على أصلين:

الأصل السادس:

وهو "الإيمان بالقدر خيره وشره".

- وهو أصل من أصول العقيدة. وقد أجمع عليه أهل السنة والجماعة.

وفيه:

- شرح أركان القدر، وهي أربع مراتب، وذكر الدليل على كل مرتبة.
- أن القدرية هم: نفاة القدر.

وهم قسمان:

1- غلاة القدر: نفوا العلم.

2- غير غلاة: نفوا الخلق.

- واشتمل هذا الأصل على أصل مهم من أصول أهل السنة والجماعة وهو: "تحريم التعمق في القدر"، أي وجوب التسليم والتصديق بالقدر، ولا نتجاوز مراتبه الأربعة،

فلا نسأل: (لم؟)، ولا (كيف؟).

الأصل السابع:

واشتمل على أصلين منهجيين:

- وجوب التسليم والتصديق بالأحاديث الصحيحة، وتحريم الاعتراض عليها بالعقل.
- شدة تحريم الخصومات خصوصا في مسائل الغيب؛ كالقدر والرؤية والقرآن.

وأنه من خاصم في مسائل الغيب لا يكون من أهل السنة والجماعة؛ ولو كان محقا؛ حتى يدعها.

●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فهذا هو المجلس السادس من مجالس شرح أصول السنة،

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(الْإِيمَان بِالْقدرِ خَيره وشره والتصديق بالأحاديث فِيهِ وَالْإِيمَان بهَا، لَا يُقَال لم وَلَا كَيفَ إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيق بهَا وَالْإِيمَان بهَا).**

هذا هو **الأصل السادس** وسنتكلم إن شاء الله تعالى أيضاً عن الأصل السابع في هذا الدرس.

قوله رحمه الله: **(الإيمان بالقدر خيره وشره)** هذا متعلق بما قبله.

قال قبل ذلك: **(وَمن السّنة اللَّازِمَة الَّتِي من ترك مِنْهَا خصْلَة لم يقبلهَا ويؤمن بهَا لم يكن من أَهلهَا: الإيمان بالقدر خيره وشره)**

فالمعنى أن من السنة اللازمة: الإيمان بالقدر خيره وشره، فالذي لا يؤمن بالقدر لا يكون من أهل السنة، هذا هو المراد من الجملة السابقة من الدرس الماضي مع هذه الجملة في هذا الدرس.

فالإيمان بالقدر خيره وشره أصل من أصول العقيدة، وهو أحد أركان الإيمان الستة، وعليه أدلة من الكتاب والسنة والإجماع:

- أجمع أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشرّه.

- ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان 2).

- ودليله من السنة حديث جبريل عليه السلام، وجاء فيه أن جبريل عليه السلام قال: [أخبرني عن الإيمان] فقال النبي ﷺ: [أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره] [27]، فكرّر عليه الصلاة والسلام لفظ [تؤمن] عند ذكر القدر، هذا لتوكيده ولتوكيد الإيمان به، وأيضاً قال: [خيره وشره] لأن القدرية ضلّوا في القدر إذا كان في الشر فنفَوه كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

هذه الستة هي أركان الإيمان، من جحد واحداً منها فهو كافر.

وهذه الستة كلها أمور غيبية فإن الإيمان بالغيب من أعظم خصال المؤمنين الصادقين، لأن الإيمان بالغيب يحتاج إلى قوة في الإيمان، فمن كان إيمانه ضعيفاً فإنه لا يؤمن بالغيب، والإيمان بالغيب مبني على التصديق والتسليم، وليس على المجادلة والاقتناع، لأن العقول تتفاوت في الفهم فمن لم يقتنع ولم يفهم، فعليه أن يسلم ويصدّق ولو لم يفهم،

---

[27] (صحيح مسلم 8)

والإمام أحمد رحمه الله ذكر هنا من أصول الإيمان: الإيمان بالقدر لأن أهل البدع خالفوا فيه، أهل البدع - القدرية والمعتزلة المعتزلة؛ ومنهم الرافضة أيضاً- هؤلاء جميعا أنكروا القدر لأنهم خاضوا فيه بعقولهم، فاحذر أيها السني من هذا الباب، احذر أن تخوض في أمور الغيب بعقلك، فهذا باب شيطاني، احذر أن تظن أن الإيمان مبني على الاقتناع بل الإيمان مبني على الاستسلام والتسليم والتصديق وهذا هو معنى الإسلام، الإسلام يعني "الاستسلام"، أن تسلم وتصدق ولو لم يبلغه عقلك، هذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع أن النبي ﷺ عرج به إلى السماء وأسري به إلى بيت المقدس قال: [صدق] على الفور، ما قاس الأمر بعقله، لأنه موقن أن الله على كل شيء قدير.

فلا بد أن نعلم أن المسائل الغيبية إنما تدرك بالوحي وليس بالعقل، العقل يفهم النص، ينظر في النص ويفهمه، لكنك لن تستطيع أن تعرف مسائل الغيب بمجرد النظر وبمجرد العقل، فإذا بلغك الخبر الصحيح فسلّم به ولا تعترض عليه بعقلك، الاعتراض على الأخبار الصحيحة بالعقل سبب ضلال أهل البدع، حكّموا عقولهم على الشريعة فضلّوا، وسبق شرح هذا الأصل، سبق وتكلمنا عن وجوب تقديم النقل على العقل.

فما معنى الإيمان بالقدر؟

وبعبارة أخرى ما هو المطلوب منك حتى تكون مؤمناً بالقدر؟

الجواب:

يجب أن تؤمن أن كل ما يجري في هذا الكون من خير أو شر مُقَدَّرٌ من الله، بمعنى أن تكون مؤمناً أن ما أصابك أو أصاب غيرك من خير فهذا الخير من الله وحده، وأن ما أصابك من شر ومصائب أيضاً هو من الله وحده وبسبب ذنوبك.

كل شيء مقدر من الله عز وجل، الخير من فضل الله، والشر من عدل الله عز وجل، وما ربك بظلام للعبيد.

فما معنى قولنا: مقدر من الله؟

نقول: كل شيء مقدر من الله، ما معنى مقدر من الله؟

الجواب: معناه أن الله علمه، ثم كتبه ثم شاءه، ثم خلقه.

فهذه أربعة أركان للقدر في أربع مراتب، وهي أركان القدر، من آمن بها فهو مؤمن بالقدر ومن أنكر إحداها فلا يكون مؤمناً بالقدر ولا يكون من أهل السنة والجماعة بل يكون مبتدعاً ضالاً.

فما هي هذه المراتب؛ أي مراتب القدر وأركانه؟

المرتبة الأولى: العلم: وهو علم الله بكل شيء أزلاً وأبداً.

أزلاً: أي في الأزل، في الماضي، أي ليس له بداية.

وأبداً: في المستقبل أي ليس له نهاية.

فالله هو الأول الذي ليس قبله شيء وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، وعلمه كذلك، والأدلة على أن الله يعلم كل شيء كثيرة جداً، منها: قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب40، الفتح26). والآيات كثيرة جدا بهذا المعنى.

فإن علم الله عامٌّ تامٌّ فلا يخفى عليه شيء سبحانه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (آل عمران5).

والله عز وجل يعلم ما كان، وما يكون الآن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ومن أنكر علم الله فهو كافر، هذه المرتبة الأولى

المرتبة الثانية: الكتابة: وهي أن الله كتب علمه في اللوح المحفوظ.

هذه مرتبة الكتابة، أمرَ الله القلم أن يكتب القدر فجرى القلم بمقادير الخلائق قبل أن يخلق الله الخلق بخمسين ألف سنة.

ودليل كتابة القدر قول النبي ﷺ: [كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ] [28].

أما دليله من القرآن فآيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (يس12).

في إمام مبين: أي في كتاب مبين، وهذا الكتاب هو اللوح المحفوظ.

وغلاة القدرية أنكروا العلم والكتابة،

ولكن نقول باختصار: أنكروا العلم؛ لأن الكتابة مرتبطة بالعلم، كتب الله علمه فلما أنكروا العلم أنكروا الكتابة، وقالوا: " **الأمر أنف** "، فكفّرهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بل أجمع أهل العلم على كفرهم.

ما معنى "الأمر أنف؟ "

---

[28] أخرجه مسلم (2653)

" أُنُف" بضم الألف والنون، أي مستأنف، أي قالوا علم الله مستأنف وليس قديماً ولا مكتوباً، مستأنف أي جديد.

والمعنى أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد أن يخلقها. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فوصفوه بالجهل هذا كفر أكبر مخرج من الملة.

وأيضا قولهم هذا فيه تناقض وغباء إذ كيف يخلق الله شيئاً وهو لا يعلمه؟!، والله عز وجل يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ (الملك 14)، فالعلم مقترن بالخلق، لا ينفكّان أبداً، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ هذا دليل عقلي من القرآن على أن العلم مقترن بالخلق.

وقولهم هذا كفر أكبر مخرج من الملة كما قلنا، لماذا؟

لأنهم كذّبوا بالقرآن الذي فيه آيات كثيرة تخبر أن الله بكل شيء عليم، وأيضاً لأنهم وصفوا الله بالجهل.

وقد انقرض هؤلاء الغلاة ولم يبقَ منهم أحد والحمد لله، ورأسهم معبد الجهني البصري يقال أنه أخذ مقالته هذه من رجل نصراني،

معبد الجهني هو الذي قال: **الأمر أنف**، أي مستأنف وليس قديماً ولا مكتوباً، قال مقالته الكافرة هذه في أواخر عهد الصحابة فلما سمع عبد الله بن عمر بمقالته ومقالة جماعته كفّرهم وتبرأ منهم وقال للذي أخبره عنهم: [فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ – أقسَمَ بالله – لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ] [29]

فظاهر كلام ابن عمر أنه كفّرهم؛ لأن قوله (ما قبل الله منه. . .) دليل على كفره، لأنه لا يقبل الله من الكافر صدقة.

ثم جاء بالدليل على كفرهم وذكر حديث جبريل، والشاهد منه قوله:

فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» [30]

وتفصيل القصة تجده في صحيح مسلم في الحديث الثامن وهو أول حديث بعد المقدمة.

المرتبة الثالثة: المشيئة: وهي الإرادة الكونية النافذة بـ "كن".

---

[29] (صحيح مسلم ٨)
[30] (صحيح مسلم ٨)

هذه هي المشيئة، المشيئة هي الإرادة الكونية التي لا رادّ لها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس82)، فلا يقع في الكون شيء إلا بإذنه ومشيئته وإرادته سبحانه وتعالى.

والدليل على أنه لا يقع شيء إلا بإذنه وإرادته قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ (الأنعام 37) دلت هذه الآية على أنه لو شاء الله ألا يفعلوه ما فعلوه، يعني: كفر الكافر وقع بمشيئة الله الكونية، ولكنه لا يرضاه له، لأنه نهاه شرعاً عن الكفر.

فدلت هذه الآية أن كل شيء مرتبط بمشيئته سبحانه: الكفر والإيمان، الطاعة والعصيان، الهدى والضلال، الخير والشر، كل ذلك لا يقع إلا بإذنه ومشيئته وهي إرادته الكونية النافذة التي لا راد لها، تقع ولو لم يكن هذا الذي وقع مما يرضي الله عز وجل، هذه تختلف عن الإرادة الشرعية؛ **الإرادة الشرعية**: يحبها الله ويرضاها وقد تقع وقد لا تقع، أمر الله بالصلاة وأمر الله بالإيمان وكثير من الخلق لا يصلون ولا يؤمنون، لكن **الإرادة الكونية** تقع وهي المشيئة، وقد تكون مما لا يرضي الله عز وجل فهي غير مرتبطة برضا الله عز وجل.

فلفظ "المشيئة " إذا رأيته في القرآن فإنه يدل على" الإرادة الكونية " أي النافذة بـ"كن".

فمعنى هذه المرتبة -مرتبة المشيئة - أنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاء سواء كان خيراً أو شراً، وسواء كان مما يرضيه أو مما لا يرضيه، كل شيء من خلقه وبمشيئته.

وأهل البدع ضلّوا في "مسألة خلق الشر" كما سيأتي، وقالوا: (يقع في ملكه ما لا يشاء) والعياذ بالله، أرادوا أن ينزّهوا الله عز وجل عن الشر فقالوا: إن الشر يقع بغير مشيئة الله والله لا يخلق الشر، وهذا باطل، يوضحه:

- المرتبة الرابعة: الخلق: وهي أن الله خلق كل ما كتبه في اللوح المحفوظ مما يتعلق بالعباد وأفعال العباد.

أما أفعاله سبحانه فغير مخلوقة، وكذلك القرآن فإنه غير مخلوق لأنه كلامه وليس خلقه، كما سيأتي.

فلما شاء الله خلق الخلق وأفعالهم، خلق الله الخير وخلق الشر كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر٦٢).

والقدرية نفوا الخلق، هؤلاء القدرية الذين نفوا خلق أفعال العباد، وقالوا: (يخلق العبد فعل نفسه).

إذاً القدرية النفاة قسمان:

1- **غلاة القدرية: هم الذين نفوا العلم**، هؤلاء كفروا وتقدم ذكرهم آنفاً.

2- والقسم الثاني **نفاة الخلق: وهؤلاء غير غلاة**، واختلف أهل العلم في تكفيرهم لأنهم تأولوا النصوص وأرادوا تنزيه الله لكنهم ضلوا ضلالاً بعيداً.

هؤلاء نفاة الخلق أنكروا هذه المرتبة وقالوا: الله لا يخلق الشر، من الذي يخلق الشر؟

قالوا: العبد هو الذي يخلق فعل نفسه،

فماذا أرادوا بذلك؟ أرادوا تنزيه الله عن الشر، فقالوا: الله لا يخلق معصية العاصي ولا كفر الكافر،

فوقعوا في أسوأ مما هربوا منه، هربوا من التشبيه وأرادوا التنزيه فوقعوا في:

1- مخالفة القرآن: خالفوا نص القرآن، الله عز وجل يقول: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ وهم يقولون: لا، الله لم يخلق الشر.

2- وأيضا خالفوا الإجماع: إجماع أهل السنة والجماعة من الصحابة ومن بعدهم، بل أجمعت الأمة كلها على أن الله خالق كل شيء.

3- وأيضاً وقعوا في شرك الربوبية لأنهم أثبتوا خالقاً آخر مع الله وهو الإنسان، جعلوا الإنسان خالقاً مع الله، فشابهوا المجوس عُبّاد النار القائلين بوجود إلهين النور والظلمة،

قالوا - أي المجوس - النور يخلق الخير والظلمة تخلق الشر، فالقدرية مجوس هذه الأمة، والقدرية هم المعتزلة وهم الرافضة، والرافضة مخلَّطين منهم جهمية ومنهم معتزلة.

والحق أن الله خالق كل شيء، خلق الخير وخلق الشر لأجل الخير، هذا يجب أن ننتبه له جيداً حتى لا نقع فيما وقع فيه القدرية، الله عز وجل خلق الخير، هذا لا خلاف عليه، ولكن الإشكال يقع في خلق الشر،

هل خلق الله الشر؟ نعم خلق الشر، لكن خلقه لأجل الخير،

فإن الله يخلق الشر ولكنه لا يفعل شراً، فِعلُ الله خير،

الشر عندما يخلقه الله فإنه بالنسبة لله خير، أراد به خيراً،

خذ مثلا الطبيب الذي يشق بطن المريض، ولله المثل الأعلى، نأخذ مثلاً للتوضيح،

الطبيب الذي يشق بطن المريض ظاهر فعله شر، لكنه لا يفعل شراً ولا يريد بالمريض إلا خيراً ولكنه بالنسبة للمريض - شق البطن هذا - شر من وجه، وخير من وجه، ويؤول إلى خير، ولله المثل الأعلى، الله عز وجل يخلق الشر لأجل الخير ولأجل العدل.

إذاً نخرج من هذا بأن العقيدة الصحيحة هي:

- أن تؤمن أن الله خلق العباد وخلق أفعالهم، والدليل: قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات96)، أي أن الله خلقكم وخلق أعمالكم التي تعملونها، خلق أفعالكم سواء أكانت خيراً أو شراً، كفراً أو إيماناً. . . إلى آخره.

انتهينا الآن من المراتب الأربع،

الآن نريد أن ننتقل إلى موضوع آخر في موضوع القدر، وهو:

"تحريم التعمق في القدر"

القدرية تعمّقوا في القدر بعقولهم فضلّوا وأضلّوا،

التعمق في القدر يؤدي إلى الكفر، أراد القدرية أن ينزّهوا الله عن الظلم فنزهوه بعقولهم،

أرادوا أن يفرّوا من أن الله يقدّر المعاصي ويعذّب عليها، هذا هو الظلم الذي توهّموه، قالوا: الله إذا قدّر المعاصي على العبد وعذّبه عليها فهذا ظلم، هذه الشبهة هي التي وقعوا فيها، ونسوا أو جهلوا أن تقدير المعصية على العبد ليس فيه إجبار له،

الله تبارك وتعالى لا يجبر العباد على المعاصي ولا يجبرهم على الطاعات، لأن معنى قولنا "قدّر عليهم المعاصي" معناه: علمها وكتبها، ثم إذا شاء أن يخلقها خلقها وأوجدها، على المراتب الأربعة.

علم الله ما سيفعل العباد، وكتب ذلك ثم إذا شاء أن يخلقه خلقه وأوجده،

وليس في ذلك إجبار، **فالقدر عِلْم الله الأزلي**، عَلِم الله عز وجل ما العباد فاعلون وكتب ذلك، **فالعبد قادر مختار**، العبد قادر على أن يفعل أو لا يفعل، قادر أن يكفر أو يؤمن، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف٢٩)، ولكنه مأمور بالإيمان، فالآية ليست للتخيير إنما هي للتهديد لأنه قال بعدها: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ (الكهف٢٩)،

المهم أن الله خلق للعبد مشيئة فالعبد قادر على اختيار ما يريد.

مَن فهم هذا التفصيل فالحمد لله، ومن لم يفهم فليصدق وليسلّم ولا يعترض على الله لمجرد أنه لم يفهم، ولا يرد صريح القرآن، صريح القرآن يقول أن الله خالق كل شيء، فجاء القدرية لأنهم لم يفهموا وقالوا: الله لم يخلق الشر، فلا تتعمّق في القدر،

التعمق في القدر محرّم، لماذا؟ لأنه يؤدي إلى الكفر، يؤدي إلى إنكار القرآن كما ذكرنا الآن، ويؤدي إلى إنكار السنة، فالمتعمق في القدر إما أن يصير مبتدعاً أو أن يكفر والعياذ بالله،

ولذلك قال الإمام أحمد بعدها، بعد أن قال: **(الإيمان بالقدر خيره وشره)**،

قال: **(والتصديق بالأحاديث فيه)** يعني في القدر

(والإيمان بها) يعني بالأحاديث

(لا يقال لِمَ) أي في أفعال الله

(ولا كيف) أي في الصفات، وأيضاً في كيفية الأفعال

(إنما هو التصديق بها) بهذه الأحاديث يعني من غير تعمق، تصدق من غير تعمق

(والإيمان بها) لأن إنكارها كفر أو بدعة كما ذكرنا.

هذه نصيحة غالية نفيسة من الإمام أحمد فتمسّك بها جيداً، وتحريم التعمق في القدر أصل منهجي في فهم القدر والإيمان به، هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، هو: تحريم التعمق في القدر، وهذا سبيل السلف الصالح، السلف الصالح رضي الله عنهم لم يكونوا يتعمقون في القدر، الإيمان بالقدر مبني على الانقياد والتسليم وليس على العقل والنظر كما قلنا، إياك أن تعترض على قدر الله لمجرد أنك لم تفهم، وساوس يثيرها الشيطان في عقل الإنسان فيعترض على الأحاديث وعلى الآيات بعقله فيردّها فيكفر والعياذ بالله، لا يجوز التعمق في القدر لأنه يؤدي إلى الكفر، هذا السبب الأول لتحريم التعمق في القدر.
وأيضاً - السبب الثاني - لأن القدر من الغيب، والإيمان بالغيب مبني على التسليم والتصديق، انظر إلى أركان الإيمان:
الإيمان بالله، آمنا بالله من غير أن نراه، وآمنا بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذا كله من الغيب، فكذلك آمِنْ بالقدر، لذلك أعاد النبي ﷺ الفعل للتوكيد، قال: [وتؤمن بالقدر خيره وشره]،
عقولنا لا يمكنها أن تحيط بالقدر، تدرون لماذا؟ لأن القدر هو علم الله وهو حكمة الله في الأشياء، وهذه أمور يعجز عقلنا عن إدراكها فضلا عن الإحاطة بها كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة256)، قال "بشيء من علمه"، فكيف تريد أن تحيط بعلم الله وحكمته في الكون؛ تريد ان تحيط بالقدر! هذا محال.
ثم حذّرك الإمام أحمد بعدها من أبواب الاعتراض وأسبابه، فذكر لك الأبواب التي تفتح عليك الاعتراض على الله والاعتراض على القدر فلا تفتح هذه الأبواب، هذه الأبواب هما بابان:

- باب **"لِمَ؟"**
- وباب **"كيف؟"**.

لا تقل " لم؟ " أي في أفعال الله عز وجل، لِم فعل كذا؟، ولِم لَمْ يفعل كذا؟، لم أفقر فلانا؟ ولم أغنى فلانا؟ لم فلان كافر؟، ولم فلان مؤمن؟.....

الله عز وجل لا يُسأَل عما يفعل، تذكّر قول الله هذا، ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:23].

الباب الثاني من أبواب الاعتراض: باب "كيف؟" وهذا أكثر ما يكون في الصفات وأيضاً في كيفية الأفعال، كيف اليد؟، كيف الوجه؟، كيف استوى؟، كيف ينزل؟، كيف يضحك؟....

لا تسأل هذه الأسئلة لأن الله عز وجل لم يخبرنا بها، وتذكر قول الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

(الشورى11)،

هذه أمور لم نكلَّف بها، بل حجبها الله عنا، ومهما سألت فلن يجيبك أحد، لأن الله لم يخبر بها أحداً من خلقه، ولذلك لم يسألها السلف الصالح، فاتبعهم، وليسعك ما وسعهم،

وكما قال أهل العلم: (أشغل نفسك بما أراده الله منك ولا تشغل نفسك بما أراد الله بك)،

أي أشغل نفسك بما أراد الله منك من الأوامر والنواهي، حقق أركان الإيمان وأركان الإسلام، وانظر ما أمرك الله به فافعله، وانظر ما نهاك الله عنه فاجتنبه.

"ولا تشغل نفسك بما أراد الله بك" يعني لا تشغل نفسك بالقدر، لا تشغل نفسك بما لم يكلفك الله به، وكن موقناً مؤمناً أن الله لا يظلم أحداً لكمال عدله سبحانه، تذكر هذا، كل منا يؤمن بهذه الحقيقة أن الله لا يظلم أحداً لكن عندما يوسوس له الشيطان في مسائل القدر لا يتذكر هذه الآية.

دائماً تذكر أن الله لا يظلم أحدا، تذكر قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

[يونس: 44]، وتذكر قوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت 46)، حرم الظلم على نفسه سبحانه وحرمه على عباده لكمال عدله، وأفعاله مبنية على الحكمة التامة، فهو حكيم في أفعاله، أغنى هذا لحكمة وأفقر هذا لحكمة، هدى هذا لحكمة وأضل ذاك لحكمة، ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ (التين:8)،

والله عز وجل لن يسألك عن التعمق في القدر، لا تسأل إلا عن المراتب الأربعة التي ذكرها أهل العلم ودلت عليها الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وما وراء ذلك فهو سر الله في خلقه،

سر الله في خلقه: يعني لم يخبر به أحداً، وقد دلّك الإمام أحمد رحمه الله على سبيل النجاة في القدر، قال: **(إنما هو التصديق بها والإيمان بها)** أي سلِّم بها وصدّق بها ولو لم تفهم ولا تعترض على قدر الله بعقلك.

ثم ننتقل إلى **الأصل السابع** في درس هذه الليلة وهو قوله رحمه الله: **(ومن لم يعرف تفسير الحديث**

ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأُحكم له، فعليه الإيمان به والتسليم له مثل حديث الصادق المصدوق وما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نبَتْ عن الأسماع واستوحش منها المستمع، فإنما عليه الإيمان بها وأن لا يرد منها حرفاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات، لا يخاصم أحداً ولا يناظره ولا يتعلم الجدل، فإن الكلام في القدروالرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه منهي عنه، ولا يكون صاحبه إن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدال ويسلّم ويؤمن بالآثار).

قوله رحمه الله:

(ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأُحكم له).

أي إذا أشكل عليك حديث ولم تعرف معناه فقد علمه غيرك، علمه الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، السلف الصالح كفونا ذلك فانظر ماذا قالوا فيه وقل بقولهم وإذا سكتوا عنه فاسكت عنه ولا تخالفهم، لا تسأل عن أمور لم يسألوا عنها، بهذا تزول الشبهة ويصير الحديث محكماً، لماذا يصير محكماً؟ بالاتباع، اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، هذا معنى قوله: **(فقد كفي ذلك وأحكم له)** أي كفاك السلف الصالح هذا الحديث وأحكموه لك، وما عليك إلا اتباعهم، فاتبع ولا تبتدع من عندك شيئاً، ولذلك قال بعدها: **(فعليه الإيمان به والتسليم له)** أي يجب عليك أن تصدق بهذا الحديث وأن تسلم به ولا تعترض عليه بعقلك.

ثم قال: **(مثل حديث الصادق المصدوق وما كان مثله في القدر).**

هذا **"حديث الصادق المصدوق"** جاء في القدر، وأحاديث القدر الواجب فيها التصديق والتسليم، و**"حديث الصادق المصدوق"** منها، وهو حديث عبدالله بن مسعود في الصحيحين ويُعرَف عند أهل العلم بهذا الاسم ب**"حديث الصادق المصدوق"** لأن ابن مسعود سماه كذلك،

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: [حَدَّثَنَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ] الصادق المصدوق أي ما كَذَبَ وما كُذِبَ، فهو صادق في قوله مصدوق فيما أوحي إليه، قال عليه الصلاة والسلام: [إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ تُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ] متفق عليه:[31]

والشاهد لنا منه قوله عليه الصلاة والسلام:

---

[31] البخاري ٣٢٠٨ ومسلم ٢٦٤٣

هذا الحديث تجدون شرحه بالتفصيل في دروس شرح الأربعين النووية، وهو الحديث الرابع منها،

[وَيُقَالُ لَهُ: - أي للملك - اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ]

هذا قدر، يسميه العلماء "القدر العمري" وهو علم الله، علم وكتب، والقدرية الغلاة أنكروا هذا.

والشاهد منه أيضاً قوله عليه السلام: [حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ]

والقدرية الغلاة أنكروا هذا أيضا، أنكروا أن الله علم ذلك وكتبه وهؤلاء هم غلاة القدرية كما تقدم.

والحديث واضح والحمد لله، فدلّ على أن الله علم رزقه الذي قسمه له وكتبه، وعلم كم سيعيش في هذه الدنيا فكتبه، علم ماذا سيعمل هذا الإنسان من خير أو شر فكتب عمله، وعلم منزلته في الآخرة هل هو من أهل الجنة أو من أهل النار وكتبه، كتب ذلك في اللوح المحفوظ وأمر الملك أن يكتب ذلك أيضاً في الكتاب الذي معه، وهذا المكتوب في اللوح المحفوظ وفي كتب الملائكة هو علم الله الغيبي الأزلي وهو مشيئة الله النافذة ولذلك نؤمن بقوله ﷺ كما جاء في رواية عند مسلم من نفس الحديث، قال: [فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ] [32]

وقال في رواية أخرى صحيحة، قال: [أي فيما يبدو للناس] أي يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس فهو مُراءٍ كذاب، فيرائي الله به عقوبة له، أي يفضحه قبل موته بقليل،

قال: [حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ] يعني بينه وبين الجنة

[فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ] الكتاب أي الذي كتبه الملك سيقع لأنه مطابق للمكتوب في اللوح المحفوظ، ما هو المكتوب فيه؟ هو أنه شقي وأنه سيعمل بعمل أهل النار فيعمل بعمل أهل النار ويختم له بذلك فيدخل النار والعياذ بالله، والأعمال بالخواتيم، نسأل الله السلامة.

وهكذا في الذي كان يعمل بعمل أهل النار لكنه قبل موته يتوب باختياره وبتوفيق الله له وبهداية الله له، فيُختَم له بخير، يختم له بعمل أهل الجنة فيعمله، عَلِم الله ذلك كله، علم أن هذا سيختم له بعمل أهل النار فكتب ذلك في كتاب، وعلم أن هذا سيختم له بعمل أهل الجنة فكتب ذلك في كتاب، كما قال محمد بن سيرين رحمه الله: [ما ينكر هؤلاء؟ أن يكون الله علم علماً فجعله كتاباً؟] أي ماذا يستنكر هؤلاء القدرية، ماذا تنكرون؟ أن يكون الله علم علماً فجعله كتاباً؟

فكلامه رحمه الله يزيل كل إشكال وهكذا هو كلام السلف قليل الألفاظ كثير البركات.

فيجب التسليم بهذه الأحاديث ولو لم يدركها عقلك، هذا مراد الإمام أحمد من سوق هذا الحديث مع أنها واضحة عند أهل السنة والحمد لله، ولكن إن عجزت عن فهمها فاتهم عقلك ولا تعترض وتذكر دائماً أن

---
32 مسلم (٢٦٤٣)

الله لا يظلم أحداً، وأنه لا يجبر أحداً على الطاعة ولا على العصيان، فالإنسان له مشيئة، وله قدرة على الفعل، وقدرة على الترك، وقدرة على الاختيار.

ثم قال رحمه الله: **(ومثل أحاديث الرؤية كلها)**

أي مثل الأحاديث التي فيها رؤية الله عز وجل في الآخرة بالأبصار،

وقال: **(كلها)** لأنها كثيرة وقد أجمع أهل السنة والجماعة على رؤية الله بالأبصار في الآخرة وسيأتي شرح هذا الموضوع في أصل مستقل، ولكن ذكره المؤلف هنا من باب المثال على المسائل الغيبية التي يجب التسليم بها وإن لم يدركها عقلك،

فقال: **(وإن نبت عن الأسماع)** أي وإن تجافت عن السمع، أي فعليه أن يؤمن بهذه الأحاديث وأن يسلم لها وإن نفرت نفسك من سماعها واقشعرّ جلدك عند سماعها، فهذا ليس مقياساً معتبراً في ردّ الحديث وليس دليلاً على ذلك، بل المقياس المعتبر هو صحة الحديث أو ضعفه، لك أن تسأل وتبحث هل الحديث ثابت صحيح أم ضعيف؟

فإن تبين لك أنه صحيح؛ بعد ذلك يجب أن تسلم بالحديث وترجع إلى فهم السلف الصالح له، هذا هو المقياس الصحيح.

قال: **(واستوحش منها السمع)** أي واستنكرها السمع، أي فيجب الإيمان بهذه الأحاديث والتسليم بها ولو بدت غريبة للوهلة الأولى واستنكرها السمع.

وهذه النفرة والوحشة من الأحاديث الصحيحة في أمور الغيب إنما تجدها عند أهل البدع، عند الجهمية والمعتزلة وغيرهم لأنهم لا يتبعون السلف الصالح في فهمها ولكن يتبعون أهواءهم وعقولهم، فإذا نفرت قلوبهم من حديث ردّوه وأنكروه ولو كان من أصح الأحاديث، ومَن ردَّ الحديث الصحيح لمجرد أن نفسه نفرت منه فقد ردّ السنة بهواه، وحكّم هواه على السنة، والواجب عليه أن ينهى النفس عن الهوى كما أمر الله، وان يسلم بالحديث الصحيح،

لذلك قال الإمام أحمد بعدها: **(فإنما عليه الإيمان بها)**

أي ولو لم يفهمها لأن الخلل في (العقل) وليس في كلام الرسول ﷺ.

ثم قال: **(وأن لا يرد منها حرفاً واحداً)**

أي لا يردها بالجحد أو بالتحريف، الجهمية والمعتزلة جحدوا والأشعرية حرّفوا وسموا تحريفهم تأويلاً، فلا يجوز أن يرد حرفاً واحداً من هذه الأحاديث التي أجمعت الأمة على صحتها لأن إنكار حرف واحد كفر بالله، فإن إنكار الحديث الصحيح بمجرد العقل هو تكذيب للرسول ﷺ لذلك هو كفر. والرسول ﷺ قوله حق

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (النجم:3).

هذه هي طريقة العقلانيين من الجهمية والمعتزلة والأشعرية وغيرهم فإنهم يردّون الأحاديث الصحيحة بآرائهم وبعقولهم وبأوهامهم.

ثم قال رحمه الله: **(وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات)**

أي وغير ما مثل به من الأحاديث المأثورات عن الثقات، إذا جاءك الحديث عن الثقات فهو صحيح، هذا هو الضابط في قبول الحديث أو رده، صحة الحديث أو ضعفه، هذا هو الضابط، لذلك قال: **(الأحاديث المأثورات عن الثقات)** فإذا جاءك الحديث عن الثقات فهو صحيح، يعني نطق به الرسول ﷺ فيجب قبوله، أكنت تردُّ الحديث لو سمعته من الرسول ﷺ مباشرة؟ فكيف ترده إذاً لمجرد أنك لم تفهم معناه أو لمجرد نفرة تجدها في قلبك؟، ربما تكون هذه النفرة من الشيطان، بل هي من الشيطان، فإن أهل البدع ينفرون عند سماع أحاديث الصفات وأحاديث الغيب، لا يقبلون أن نقول: الله له عينان، وله وجه، وله يدان، وغير ذلك من الصفات الثابتة بالأدلة الصحيحة، يجحدون ذلك أو يحرّفونه،

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك وعلى طريقة السلف الصالح ومنهجهم، وطريقتهم هي أنهم يؤمنون بالمعنى ولا يخوضون في الكيفية.

ثم قال رحمه الله: **(لا يخاصم أحداً ولا يناظره ولا يتعلم الجدل)**

هذا أحد أسباب إنكار أحاديث الغيب وهو **"الخصومات في الدين"**، وتقدم شرح هذا الأصل،

والخصومات في أمور الغيب أشد تحريماً وأشد ضرراً على الدين، لأن الخصومات في أحاديث الغيب سرعان ما تؤدي إلى الشك فيها مما يؤدي إلى إنكارها،

ولذلك قال رحمه الله: **(فإن الكلام في القدروالرؤية والقرآن وغيرها من السنة مكروه منهي عنه)** الكلام أي الخصومات والجدل في القدر والرؤية أي رؤية الله في الآخرة.

والخصومات في القرآن: يعني هل هو مخلوق أم غير مخلوق، وغير ذلك من أصول السنة،

قال: **(مكروه)** أي محرّم، فإن السلف الصالح كانوا يتورّعون عن قول حرام عن الشيء المحرم ويقولون عنه مكروه، فالمكروه عندهم هو المحرم ولذلك قال بعده: **(منهي عنه)** والنهي للتحريم، **فالمكروه في اصطلاح السلف الصالح هو المحرم**، هذا يختلف عن المكروه في اصطلاح الأصوليين والفقهاء الذي ستدرسونه أو درستموه في شرح الورقات.

ثم شدّد رحمه الله في النهي عن الخصومات في أحاديث الغيب،

فقال: **(ولا يكون صاحبه إن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدال ويسلم ويؤمن بالآثار)**

انظر، هذا هو منهج السلف الصالح، لا تناظر، لا تخاصم في الدين، بيِّن الحق فقط، بيّنه بالأدلة ثم اسكت،

فقال: **(ولا يكون صاحبه)** أي صاحب الجدل والخصومة

(إن أصاب بكلامه السنة) يعني ولو كان محقاً وصاحب سنة

(من أهل السنة) يعني لا يكون من أهل السنة إذا خاصم ابتدع، إذا خاصم ابتدع، انظر، مجرد أن تخاصم ابتدعت

(حتى يدع الجدال ويسلم ويؤمن بالآثار) حينئذ يكون من أهل السنة.

فهذا **الأصل السابع أصل مهم من أصول السنة وخلاصته:**

أن تؤمن بالأحاديث الصحيحة سيّما إن كانت في أمور الغيب كالقدر والرؤية والقرآن وغيرها، وأن تسلّم بها فلا تعترض عليها برأيك، وأن تترك الخصومات عليها مع أهل البدع، لأن الخصومات فيها تؤدي إلى الشك في الغيب وهذا يؤدي إلى الكفر.

وخلاصة ما تقدم في هذا الدرس:

أنه اشتمل على أصلين:

- **الأصل الأول**: أن الإيمان بالقدر خيره وشره أصل من أصول السنة، وهو أصل من أصول العقيدة، فمن أنكر القدر فليس من أهل السنة.

ونفاة القدر قسمان: 1- غلاة نفوا العلم، 2- وغير غلاة نفوا الخلق؛ خلق أفعال العباد.

- **الأصل الثاني**: حذّرك الإمام أحمد رحمه الله مما يؤدي إلى إنكار القدر وغيره من أحاديث الغيب، فحذّرك من أمور:

- أولاً: **حذرك من التعمق في القدرومسائل الغيب** وذلك يكون بإعمال العقل فيما لم نؤمر به، إعمال العقل فيما لم نؤمر به يؤدي إلى إنكار الغيب من القدر والرؤية والاستواء وغير ذلك وهذا كفر، فلا تسأل "لم؟" ولا "كيف؟"
- ثانياً: **حذرك من رد الأحاديث الصحيحة الواردة في الغيب لمجرد أنك لم تفهمها**، وهذه طريقة

العقلانيين من أهل البدع، فإياك أن تعارض الحديث الصحيح بعقلك فديننا مبني على التسليم والانقياد.

- وثالثاً وأخيراً: **حذرك من الخصومات في أمور الغيب**، وقد سبق التحذير من الخصومات في الدين عموماً ولكن الخصومات في الغيب أشد خطراً.

هكذا نكون قد فرغنا من الأصلين السادس والسابع،

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

○●○●○●○●○●○●○●○

الدرس رقم (7) التاريخ: الاثنين 24/ربيع الثاني/1440 هـ 31/كانون الأول/2018 م

عنوان هذا الدرس

(الإيمان بصفة الكلام لله، وبأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وبالرؤية) .

ملخص الدرس السابع :

اشتمل هذا الدرس على أصلين:

- الأصل الثامن: نؤمن أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وهذا مرتبط بإثبات صفة الكلام لله عزوجل، وهو أن الله يتكلم بكلام حقيقي بحرف وصوت يسمعه من يشاء من خلقه.

- الأصل التاسع: ونؤمن أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد..

فهذا هو المجلس السابع من مجالس شرح أصول السنة للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله: **"والقرآن كلام الله وليس بمخلوق".**

هذا أصل من أصول العقيدة، وهو الأصل الثامن من هذه الرسالة، وهو أصل عظيم يترتب عليه الكفر والإيمان، أو البدعة والسنة.

وكان السلف الصالح رضي الله عنهم على هذه العقيدة ليس بينهم خلاف في ذلك إلى أن ظهرت الجهمية، فأنكروا صفة الكلام لله تبارك وتعالى ووصفوه بأنه لا يتكلم، فوصفوه بالبكم، وشبهوه بالجمادات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

أنكر المعطلة أن الله يتكلم، وبما أن القرآن كلام، قالوا إن القرآن ليس كلام الله! كلام من إذن؟ قالوا القرآن كلام جبريل، ومنهم من قال إن القرآن كلام محمد عليهما الصلاة والسلام، وبما أنه من كلام جبريل عليه السلام أو كلام محمد عليه السلام فهو مخلوق عندهم، هذه هي عقيدة المعطلة من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة.

ولا شك أن هذا تكذيب بالقرآن الذي صرّح في آيات كثيرة لا تكاد تحصى أن الله يتكلم، وأن القرآن منزل غير مخلوق، فعقيدة المعطلة من أبطل الباطل، والسلف الصالح رضي الله عنهم متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، لم يكن يخالف في هذا أحد، ولما قال الجعد بن درهم أن القرآن مخلوق قتلوه، ولما قال بعده الجهم بن صفوان القرآن مخلوق قتلوه، قتلهم ولي الأمر من أهل السنة في زمانهم، لأن من قال القرآن مخلوق فإنه يكفر بهذه المقالة.

ولذلك كان السلف الصالح يقولون "**القرآن كلام الله**"، لا تجد من يخالف في هذا، ولا يحتاجون أن يقولوا "غير مخلوق"، إلى أن جاء أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي وبشر بن غياث المريسي المعتزلي بهذه المقالة، وكانا مقرّبين من المأمون بن هارون الرشيد وكان المأمون خليفة المسلمين، فأجبروا الناس بقوة السلطان على أن يقولوا القرآن مخلوق،

وكانت فتنة عظيمة لأهل الحديث استمرت أكثر من خمس عشرة سنة، وافتتن خلق كثير فيها كما تعلمون، وقُتِل من قُتِل وعُذِّب من عُذِّب وسُجِن من سُجِن، وصمد الإمام أحمد رحمه الله وهزمهم وحده، وصار يقرر عقيدة أهل السنة والجماعة ويقول فيها - كما هو في هذه الأصول التي ندرسها -: **"والقرآن كلام**

الله وليس بمخلوق"، لا بد أن تقول: **"وليس بمخلوق"**، فلا يكفي أن تقول: **"القرآن كلام الله"** وتسكت، بل يجب أن تقول: "**غير مخلوق**". لماذا؟

حتى تخالف قول المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فإن هؤلاء المعطلة يقولون: **"القرآن كلام الله"**، ولكن مرادهم بقولهم القرآن كلام الله؛ أي مخلوق من الله، وجعلوا الإضافة لله للتشريف، قالوا هذه إضافة تشريف، مثل : "ناقة الله" أُضيفت الى الله لتشريفها،

ومثل: "بيت الله" أُضيف إلى الله لتشريفه وتعظيمه، والناقة والبيت مخلوقان، هذا هو مرادهم بقولهم" القرآن كلام الله" ويسكتون، مرادهم أنه مخلوق.

فمن سكت ولم يقل "غير مخلوق" فإنه لم يبين لنا حقيقة عقيدته، فهو جهمي حتى يقول: "غير مخلوق"، لابد من التصريح بهذا.

فمن صرح وقال "القرآن كلام الله غير مخلوق"، فيقصد أن الكلام صفته وقوله، أما من قال القرآن كلام الله وسكت، فيقصد أن الكلام خَلْقُه، وأضافه إلى الله إضافة تشريف وتعظيم، فيكون معنى قوله "القرآن كلام الله" أي القرآن كلام الله وهو مخلوق من الله، وهذا كفر، ولذلك قال الإمام أحمد : **"والقرآن كلام الله وليس بمخلوق"**.

ثم قال بعدها: ولا تضعُف أن تقول: "ليس بمخلوق"، لأنه لا يجوز لك أن تضعُف عن قول ذلك، لأنك إذا ضعفت عن التصريح بذلك حكمنا عليك أنك جهمي أو معتزلي أو أشعري، لأن هؤلاء يقولون القرآن كلام الله، وقصدهم: خلَقَه الله، والإضافة للتشريف عندهم كما تقدم بيانه.

فلابد من التصريح بالحق وأن تقول: **"القرآن كلام الله غير مخلوق"**، هذا هو قول أهل السنة والجماعة قاطبة بعد فتنة ابن أبي دؤاد وإلى يومنا هذا، ولذلك قررها الإمام أحمد وغيره من أهل العلم أنها من عقيدة أهل السنة والجماعة.

ثم قال رحمه الله: **"فإن كلام الله منه ليس ببائن منه وليس منه شيء مخلوقاً"..**

هذا برهان على أنه ليس بمخلوق، وهذا الكلام فيه ردّ على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين قالوا "خلق اللهُ كلامَه في غيره" كما قلنا من قبل. فمنهم من قال خلقه في جبريل عليه السلام ومنهم من قال خلقه في محمد عليه السلام، ومنهم من قال خلقه في الشجرة التي سمع موسى عليه السلام منها كلام الله.

فيقول الإمام أحمد **"فإن كلام الله منه"**؛ ما معنى هذه الجملة؟

معناها: أن الكلام صفته وقوله، أي صفة قائمة بذات الله، وهو قوله بحرف وصوت.

وقال **"ليس ببائن منه"**؛ أي كلامه ليس منفصلاً عنه كما تزعم المعطلة، ليس مخلوقا في غيره، لأن كل ما

كان منفصلاً عن الله فإنه مخلوق، هذا لا ينكره أحد، كل ما سوى الله مخلوق.

فالخلاصة: أن كلام الله صفة ذاتية وفعلية، صفة ذاتية باعتبار أصله، وصفة فعلية باعتبار آحاده. فيتكلم الله بحرف وصوت متى شاء.

فكلامه صفته وقوله وليس منفصلاً عنه، فالله عز وجل متصف بالقدرة على الكلام، وبأنه يتكلم بحرف وصوت، فمن ادعى بعد ذلك أن القرآن مخلوق فقد ادعى أن شيئاً من الله مخلوق وهذا كفر.

ثم قال رحمه الله: **"وإياك ومناظرة من أَحدثَ فيه"..**

أي: احذر أن تناظر أهل البدع، وتقدمَت هذه المسألة، احذر من مناظرة المبتدع الذي يقول القرآن مخلوق، وقد سبق التحذير من الخصومات في الدين، سواءً كانت مع سني أو مع مبتدع، الخصومة في الدين محرمة مطلقاً، والخصومة في الدين مع المبتدع أشد تحريماً لأنه سيجرك إلى بدعته، فإذا كانت الخصومة في هذه البدعة وهي بدعة خلق القرآن فسوف يجرك إلى الكفر والعياذ بالله، ولذلك نصحك الإمام أحمد رحمه الله أن لا تناظره، وسبقَت هذه النصيحة من قبل وسيكررها لأهميتها.

الإمام أحمد رحمه الله يحذر من مناظرة أهل البدع والسماع لهم والقراءة في كتبهم تحذيراً شديداً، وهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة كما تقدم.

ثم قال رحمه الله: **"ومن قال باللفظ وغيره":**

أي: وإياك ومناظرة من أَحدثَ فيه، وإياك ومناظرة من قال باللفظ وغيره، هذا تقدير الكلام.

فالمقصود: احذر مناظرة من قال باللفظ.

ما معنى **"من قال باللفظ"**؟

هم اللفظية، والإمام أحمد بدّع اللفظية.

من هم اللفظية؟ هم الذين يقولون "لفظي بالقرآن مخلوق".

لماذا بدّعهم؟

الجواب لسببين:

- السبب الأول: لأن قولهم هذا؛ وفي زمن انتشرت فيه بدعة القول بخلق القرآن؛ يدل على أن القائل بهذا القول شاكٌّ في السنة، في قلبه شك، ولو كان مستيقناً أن القرآن غير مخلوق لصرّح بذلك ولما حاد هذه الحيدة،

لماذا يحيد هذه الحيدة؟ ما الذي يمنعه من الصدع بالحق إلا وفي قلبه شك؟ نعم؛ لا أحد ينكر أن أفعال العباد وألفاظهم وأقوالهم مخلوقة، أقوالنا التي نقولها وألفاظنا التي تخرج من فمنا هذه مخلوقة، ولكن

هذا الجواب منه عندما يقول لفظي بالقرآن مخلوق؛ هذه حيدة عن الحق، هذا الذي يقول لفظي بالقرآن مخلوق حاد عن الجواب الصحيح وأراد أن يُلَبِّس على السائل وأن يطمس الحق، فهو لا يجرؤ أن يقول مخلوق، هذه عقيدته لكنه لا يجرؤ أن يقول ذلك، ولا يريد أن يقول غير مخلوق، فقال لفظي مخلوق، فهذه حيدة للتضليل والتلبيس، ولذلك بدّعه الإمام أحمد وقطع عليه الطريق.

- السبب الثاني لتبديعه: أن قوله لفظي بالقرآن مخلوق محتمِل:

- يحتمل أنه يقصد بقوله "لفظي"أي؛ نطقي مخلوق، فهذه حيدة عن الجواب الصحيح، كما تقدم. وما حاد إلا وفي قلبه شك أو أنه متستر خلف هذه الكلمة.
- والاحتمال الثاني: يحتمل أن يقصد بقوله "لفظي" أي: الملفوظ به، وهو المنطوق به وهو القرآن نفسه.

أنت عندما تقرأ القرآن تتلفظ بالقرآن تنطق بالقرآن، فيكون لفظك هنا القرآن نفسه، فيكون معنى قوله: "لفظي مخلوق"؛ أي "الملفوظ مخلوق"

أي "المنطوق به مخلوق"،

يعني "القرآن نفسه مخلوق"، فإن قصد هذا فهو جهمي كافر والعياذ بالله، ولذلك قال الإمام أحمد: "اللفظية جهمية".

فالخلاصة:

أن قول القائل "لفظي بالقرآن مخلوق" جواب مبتدَع لأنه حيدة عن الحق لشكٍّ في قلبه، ويُحتمَل أنه جهمي وأراد بـ"اللفظ" الملفوظ نفسه، أي القرآن نفسه، وهو يعتقد أن القرآن مخلوق، فلا تُقبَل هذه العبارة منه.

ثم قال رحمه الله: **"ومن وقف فيه فقال لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق؛ هؤلاء الواقفة".**.

أي؛ إياك ومناظرة الواقفة.

من هم الواقفة؟ هم الذين توقفوا فلم يقولوا هو مخلوق أو غير مخلوق، بدّعهم الإمام أحمد وحذّرك من مناظرتهم ومجالستهم. فالواقفة من أهل البدع لأنهم ما توقفوا إلا وفي نفوسهم شك، وهذه المسألة- مسألة خلق القرآن- من أصول العقيدة ينبني عليها كفر وإيمان، فلا يجوز التوقف فيها، فالواقف فيها عنده شك في الحق الذي يجب أن يدين اللهَ به. أين الاتباع؟

لماذا لا تتبع إجماع السلف؟

لماذا تتوقف والحق واضح؟

هذا الواقف يوشك أن يجنح إلى أن يقول بقول الجهمية، فلا نرضى به ولا نجالسه حتى يصرّح بالحق، فحذر الإمام أحمد من مجالسته ومناظرته وبَدّعه وصرّح بتبديعه فقال رحمه الله في الجملة التي بعدها:

"وإنما هو كلام الله، فهو صاحب بدعة مثل من قال هو مخلوق".

يعني هذا الواقف مبتدع، فألحَقَه بالجهمية والمعتزلة والأشعرية، لأنه شاكٌّ في دينه، غير متبع لطريق السلف الصالح، خالَف سبيل المؤمنين، خالَف الإجماع، ألا يسَعك ما وسِعَهم فلماذا تتوقف؟ لماذا لا تصَرّح بالحق؟ فأنت منهم.

ثم ختم كلامه بخلاصة القول فقال رحمه الله: **"وإنما هو كلام الله وليس بمخلوق"..**

هذا هو الحق الذي لا يُقبَل منك غيره، لا يُقبَل منك أي كلام، لا تقل لفظي مخلوق، ولا تقل لا أدري مخلوق وغير مخلوق، لا يُقبَل منك هذا، ولا تكون من أهل السنة حتى تصَرّح بهذا القول: **"إنما هو كلام الله وليس بمخلوق".**

فانقسم الناس في هذه العقيدة إلى عدة طوائف:

- **الطائفة الأولى: هم أهل السنة والجماعة**، الذين قالوا "القرآن كلام الله غير مخلوق"، وأجمَعوا على هذا القول، أي أن الله يتكلم بحرف وصوت، والقرآن من كلامه، فالقرآن غير مخلوق.
- **الطائفة الثانية: المعطلة**، وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم مما تفرع عنهم، ولكن هذه الطوائف الثلاث أكبرهم وأبرزهم، هؤلاء قالوا "القرآن مخلوق" واختلفوا في بعض التفاصيل، ولكنهم متفقون على أن الله لا يتكلم - والعياذ بالله - ومتفقون على أن القرآن ليس كلام الله، بل هو كلام جبريل أو كلام محمد أو غير ذلك، فهو مخلوق عندهم، هؤلاء المعطلة.
- **الطائفة الثالثة: اللفظية**؛ وهم الذين قالوا "لفظي بالقرآن مخلوق"، وهؤلاء مثل الجهمية، لأنهم قصدوا بـ"اللفظ": القرآن نفسه، أو هم مبتدعة عندهم شك، فحادوا عن الجواب لشك في نفوسهم وأرادوا التلبيس على الناس، فبدّعهم الإمام أحمد وحذّر منهم.
- **الطائفة الرابعة: الواقفة**: هم الذين توقفوا، لم يقولوا مخلوق ولا غير مخلوق، وهؤلاء عندهم شك في دينهم، عندهم شك في هذه العقيدة التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة، فخالفوا سبيل السلف الصالح، فبدّعهم الإمام أحمد وحذّر من مناظرتهم ومجالستهم.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الكلام - كلام الله عز وجل - هي:

(أن الله يتكلم، بكلام حقيقي، يليق بجلاله، بحرف، وصوت، يُسمِعه من شاء من خلْقِه، وأنه صفة له غير مخلوق)، أجمَعوا على هذا.

فكلام الله عز وجل:

- (كلام حقيقي): ولا يُقال إنه أُضيف اليه مجازاً، ولا يُقال إنه أُضيف إليه للتشريف كما تقول الجهمية واللفظية، ولا نقول هو كلام نفسي كما تقول الأشعرية، بل هو كلام حقيقي يليق بجلاله سبحانه وتعالى لأنه ليس كمثله شيء.
- (بحرف): ودليل أنه بحرف قول النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ». [33]
- وأيضاً(بصوت): والدليل أن كلام الله بصوت؛ قوله ﷺ : "يَحْشُرُ اللَّهُ العِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ" [34]
- (يُسمِعه من شاء من خَلقِه): الله عز وجل يُسمِع صوتَه لمن شاء، يسمعه منه جبريل عليه السلام، وقد سمعه منه موسى عليه السلام وسمعه محمد عليه السلام ليلة المعراج.

وأيضاً الدليل على أن كلام الله يُسمَع؛ قول الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: 6]

أي حتى يسمع القرآن، فالقرآن كلام الله وهو مسموع، يُسمَع، يسمع الناس كلام الله عز وجل.
ويستدل بالدليل السابق على هذا أيضا.

اما الأدلة على أن الله يتكلم فكثيرة، بل كثيرة جداً لا تكاد تحصى، فكل آية فيها (قال الله)، وكل آية فيها (قال ربك) كل آية فيها أمر ونهي، كل هذا من كلام الله عز وجل، ولكن نقتصر منها على دليلين:

الدليل الأول: قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: 164]

هذا الدليل من أقوى الأدلة على أن الله يتكلم، لأنه مؤكد بالمصدر.

الدليل الثاني: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ»، وهذا الحديث متفق عليه في الصحيحين [35]

فماذا نقول بعد هذا؟ ماذا نقول بعد كلام الله ورسوله؟ هذه نصوص صريحة تدل على أن الله يتكلم بكلام يُسمَع ويُفهَم، والأدلة على هذا كثيرة جدا كما قلنا.

---

[33] سنن الترمذي 2910
[34] وهو صحيح، ذكره البخاري معلقا، ووصله في خلق أفعال العباد صفحة(98)، واخرجه أحمد(16042)وصححه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم (514).
[35] : البخاري 7443، 7512 ومسلم 1016

ثم لما أنكر المعطلة صفة الكلام كبرت بدعتهم وانتقلوا الى بدعة أخرى فقالوا "القرآن ليس من كلام الله"، هكذا هي البدعة تجر بدعة أكبر منها، أنكروا صفة الكلام، ثم أنكروا أن القرآن من كلام الله، فقالوا إن القرآن مخلوق، وأنه كلام غير الله خلقه في غيره - والعياذ بالله -.

والأدلة على أن القرآن غير مخلوق كثيرة أيضا منها:

- قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]

فالأمر من الله هو كلامه، وهو شيء غير الخَلق، لذلك عطف الأمر على الخلق، وأهل اللغة يقولون: (العطف يفيد المغايرة)، عندما تعطف شيئا على شيء وتذكرهما معاً، هذا يدل على أن هذا الشيء غير هذا الشيء،

فلو قلتَ: "أكلتُ عنباً وموزاً"، فهل العنب هو نفس الموز؟ لا؛ العنب شيء والموز شيء، وهنا أيضاً قال الله عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ دل أن الخلق له وان الأمر له، فدلّ على أن الخلق شيء والأمر شيء آخر، فالأمر من الله هو كلامه وقوله؛ بدليل: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82]

فأمر الله غير مخلوق لأنه قوله، وهو كلامه.

- الدليل الثاني- وهذا صريح وأوضح -: أن الرسول ﷺ تعوّذ بكلمات الله، ولو كان كلام الله مخلوقاً لما جاز أن يتعوّذ به لأن التعوّذ بالمخلوق شرك،

فقال ﷺ: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ" [36]

وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: "إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ" [37]

وهل كان إبراهيم ومحمد عليهما السلام يتعوذان بمخلوق؟!

فدلّ هذا على أن القرآن كلام الله سبحانه وأنه غير مخلوق لذلك جاز التعوّذ به.

فرغنا من **الأصل الثامن**، وننتقل الآن إلى:

الأصل التاسع

[36] مسلم(2708).
[37] صحيح البخاري ٣٣٧١.

وهو: **الرؤية**

قال رحمه الله: **"والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحيحة".**

هذا هو الأصل التاسع في هذه الرسالة المباركة؛ وهو رؤية الله في الآخرة، فنؤمن أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، هذه العقيدة أجمع عليها أهل السنة والجماعة، وهذه العقيدة ورد فيها أحاديث متواترة عن النبي ﷺ، متواترة؛ يعني رواها جمع كثير جدّاً، فقد رواها من الصحابة أكثر من ثلاثين صحابيّاً، وهذا معنى قول المؤلف **"كما رُوي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحيحة"**، فهي صحيحة متواترة لاشك فيها، حتى أهل البدع أنفسهم الذين يردّون بعض السنن لا يردّون الأحاديث المتواترة.

ولماذا لم يستدل المؤلف بالقرآن؟

الجواب: ورَد في القرآن أدلة على رؤية الله، ولكن حرّفها المعتزلة وأنكرَها الجهمية، منها قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: 22، 23]

هذه الآية صريحة بأنها رؤية بصرية، وهي صريحة من الناحية اللغوية، ولا نريد أن نخوض في الناحية اللغوية حتى لا نطيل، هذه صريحة لا يمكن ردها من الناحية اللغوية، ولكن المعتزلة قالوا: هي رؤية قلبية، وأنكر الجهمية حتى الرؤية القلبية في الآخرة.

المعتزلة قالوا: أن المؤمنين يرون ربهم رؤية قلبية، والجهمية أنكروا حتى الرؤية القلبية.

أما الدليل من السنة على رؤية الله في الآخرة فقد جاءت صريحة صحيحة متواترة، لذلك استدل بها الإمام أحمد، وبيّنَت أنها رؤية بصرية بالعين بكل صراحة، فقال ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ،. . . » [38]

كلام صريح وواضح، ومعنى لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ": أي: بلا تزاحم ولا ضرر.

فهذا الحديث صريح بأنها رؤية بصرية بالعين، لقوله ﷺ: ""كما ترون هذا القمر".

ويجب أن ننتبه هنا أن النبي ﷺ شبّه الرؤية بالرؤية ولم يُشبّه المرئي بالمرئي.

النبي لم يُشبّه الله عز وجل بالقمر، لا؛ بل المعنى: أنكم سترون ربكم مِن فوقكم، وبلا تزاحم، وبلا ضرر، كما ترون القمر مِن فوقكم بوضوح وبلا تزاحم.

جميع أهل الأرض يرون القمر، ويرونه بوضوح تام ومِن فوقهم ومِن غير تزاحم بينهم ومِن غير ضرر فهذا تشبيه للرؤية بالرؤية وليس المقصود تشبيه الله بالقمر، لأن الله ليس كمثله شيء.

[38] البخاري 554 ومسلم 663.

الدليل الثالث: استدل الشافعي - رحمه الله - على رؤية المؤمنين ربّهم يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: 15] ووجه الاستدلال أن الله عز وجل عاقب الكفار بعدم رؤيته، فهذا يعني أن المؤمنين يرونه إكراماً لهم، لأنه إذا كان الكافر يعاقب بعدم رؤية الله، فالمؤمن يراه، وإلا كانوا سواء.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: 26]

الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، كما فسرها النبي ﷺ، فهذا أعظم نعيم في الجنة.

فسر الرسول ﷺ (الزيادة) في آية يونس بالرؤية، برؤية الله، عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ". [39]

ولذلك فإننا عندما نُعرّف (الإخلاص) نقول: ***"الإخلاص هو أن تبتغي بعملك وجه الله"***.

ما معنى هذا الكلام؟ معناه أن تريد بعملك الصالح رؤية وجه الله في الجنة، هذه هي الغاية العليا عند المؤمن، العبد المخلص غايته من عباداته وجه الله، كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: 20]

فلا يرضى المؤمن عن ذلك بدلا، والمرائي غايته وضيعة يريد بعبادته ثناء الناس.

بهذا نعلم أن رؤية وجه الله في الآخرة دافع للإخلاص في العمل، فهي دافع للعبد على أن يتقرّب إلى الله عز وجل وأن يخلص له في العبادة لأنها أعظم نعيم في الجنة.

وقد أنكر الرؤية الجهمية والمعتزلة - كما قلنا - وأثبتها الأشاعرة، ومن أنكر الرؤية فهو كافر لأنه كذّب بالقرآن وكذّب بالسنة المتواترة، فالإيمان برؤية الله عز وجل في الآخرة أصل من أصول السنة، أي من عقيدة أهل السنة والجماعة.

---

[39] صحيح مسلم(181).

بقيت الآن مسألة اخرى في الرؤية، وهي:

هل رأى النبي ﷺ ربّه في الدنيا؟ يعني ليلة المعراج؟

هذه المسألة فيها خلاف عند أهل السنة، اتفق أهل السنة على الأصل وهو رؤية الله في الآخرة، واتفقوا على أن الله لا يراه أحد في الدنيا، هذا أصل متفق عليه، لكن وقع الخلاف في رؤية النبي عليه السلام لربه في الدنيا، فهذا فرع على أصل، لأنه حادثة وقعت.

ولا نقول إن العقيدة تنقسم إلى فروع وأصول! بل العقيدة كلها أصول متفق عليها، هناك فرق بين العبارتين.

قال المؤلف رحمه الله: **"وأن النبي ﷺ قد رأى ربّه؛ فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ، صحيح رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس. والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ، والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن به كما جاء على ظاهره ولا نناظر فيه أحدا"**

هذه المسألة (هل رأى النبي ﷺ ربّه - أي في الدنيا - يقظة بعينيه ليلة المعراج)؛ هذه المسألة فيها خلاف عند أهل السنة، وظاهر الروايات يدل على ان الصحابة اختلفوا في هذا ايضا.

فقال ابن عباس: إنه رآه.

وقالت عائشة: ما رآه بعينيه بل رآه بفؤاده.

وهذا ظاهر كلام الإمام أحمد هنا، يعني ظاهر كلام الإمام أحمد أن النبي ﷺ رأى الله بفؤاده، رآه بقلبه - يعني في المنام -فقال: **"وأن النبي ﷺ قد رأى ربّه"**- هذا كلام الإمام أحمد هنا - فأطلق الكلام ولم يقيده بالرؤية البصرية، فيُحمَل كلامه على أنها رؤية قلبية لأنه قد ورد عنه أنه قيّد رؤية النبي ﷺ لربه بالرؤية القلبية في موطن آخر.

وبهذا جمع أهل العلم بين قول ابن عباس وعائشة، فقالوا إن ابن عباس أطلق وقال "رآه"، ولم يقيده أنه رآه بعينيه، فيُحمَل كلامه على أنه رآه بقلبه، بدليل قول النبي ﷺ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» وذلك في صحيح مسلم(178) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ».

وهذا هو قول عائشة، عائشة رضي الله عنها تقول: "أنه رآه بقلبه"، إذن فلا خلاف بين قول عائشة وقول ابن عباس.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **"فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ صحيح"**،

ثم ذكر له ثلاثة طرق، وقصده الحديث المسمّى (حديث اختصام الملأ الأعلى) وحسنه البخاري وصححه

الألباني، هذا الحديث هو:

"عن معاذ قال قال الرسول ﷺ إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟" [40]

فهذا صريح أنه رآه في المنام.

وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: "أَتَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ – أَحْسِبُهُ يَعْنِي فِي النَّوْمِ – فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟. . . "[41]

فهذه الأحاديث تبين أنها رؤية قلبية.

ثم قال رحمه الله: **"والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ"..**

الحديث؛ يقصد حديث اختصام الملأ الأعلى الذي ذكرتُه آنفاً وهو مروي عن ابن عباس ومروي عن معاذ، وظاهره أنها رؤية قلبية.

ثم قال رحمه الله: **"والكلام فيه بدعة"..**

أي الجدال فيه بدعة لأنه لا تجوز الخصومات في الدين كما تقدَّم..

قال: **"ولكن نؤمن به كما جاء على ظاهره ولا نناظر فيه أحداً"..**

ظاهره، أي ظاهر هذا الحديث أنها رؤية قلبية.

وقد ورد عن الإمام أحمد أنه قيّد رؤية النبي ﷺ لربه بالرؤية القلبية كما قال ابن تيمية وغيره.

وقوله **(ولا نناظر فيه أحدا)**:

هذا توكيد لهذا الأصل المهم وهو تحريم الخصومات في الدين وخصوصاً في مسائل الغيب.

والخلاصة المهمة - في مسألة الرؤية كلها - نقول:

أن أهل السنة والجماعة:

أولاً: أجمعوا على رؤية الله في الآخرة، أي: أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل في الآخرة وأن الكافر لا يرى ربه. هذا بالإجماع.

---

[40] الحديث أخرجه أحمد (22109) والترمذي (3235).
[41] الحديث: أخرجه أحمد(3484) والترمذي (3233).

ثانيا: أجمعوا على أن الله لا يُرى في هذه الدنيا، هذا بالإجماع، لقوله ﷺ: "حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"[42]

ثالثا: اختلفوا في رؤية النبي ﷺ لربه في هذه الدنيا،

والراجح أنه رآه بفؤاده لقوله ﷺ لأبي ذر لما سأله، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[43]

وهكذا الأحاديث التي فيها أنه رآه دلت على أنه رآه بقلبه، أي في النوم وأنه لم يره يقظة.

هذا والله تعالى أعلم،

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك.

---

[42] مسلم(179)

[43] مسلم(178).

الدرس رقم (8)التاريخ: الاثنين 01/جمادى الأول/1440 هـ 07/كانون الثاني/2019 م

عنوان هذا الدرس

(الإيمان بالميزان، وبالعرض على الله، وبالحوض، وبعذاب القبر ونعيمه) .

ملخص الدرس الثامن:

اشتمل هذا الدرس على المواضيع الآتية:

1. الأصل العاشر: الإيمان بالميزان.
2. الأصل الحادي عشر:الإيمان بالعرض على الله يوم القيامة، ويتضمن الإيمان بالرؤية بلا حجاب، والكلام بلا واسطة.
3. الأصل الثاني عشر: الإيمان بالحوض.
4. الأصل الثالث عشر: الإيمان بعذاب القبرونعيمه

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الدرس الثامن من شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد؛

فهذا هو **المجلس الثامن** من مجالس شرح أصول السنة للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

ولابد وقبل أن نبدأ بدرس هذه الليلة من التنبيه على أمور:-

الأمر الأول: هو أنني أتراجع عن خطأ صدر مني في الدرس الثالث، وذلك عند التعليق على حديث الصحابة الذين جاءوا إلى بيت من بيوت النبي ﷺ وسألوا عن عبادة فأُخبِروا بذلك فكأنهم تقالُّوها... الحديث.

فقلتُ يومئذ:(أُنظر أتبعوا عقولهم وتركوا السنة) فنبهني أحد الطلبة جزاه الله خيرا إلى خطأ هذا القول؛ وذلك أن هذه العبارة تحتمل معنى باطلاً، فقد يُفهَم منها الطعن في الصحابة رضي الله عنهم، والله يشهد أنني لم أقصد ذلك وما أردتُ إلا الخير،

فأردتُ أن أوضح خطورة تقديم العقل على السنة، ولكن الحق أحق أن يُتّبَع، فهذه العبارة لا يجوز أن تُطلَق على الصحابة، لا يجوز لي ولا لغيري أن يقول إن الصحابة قدّموا عقولهم على السنة! لأن هذا منهج

أهل البدع، أهل البدع هم الذين يقدمون عقولهم على السنة،
أما أولئك الصحابة فنقول: إنهم لما علموا أن النبي ﷺ قد خصّه الله بمغفرة ذنبه كله ما تقدم منه وما تأخر؛ فإنهم حينئذ اجتهدوا فأرادوا أن يزيدوا في عبادتهم وظنوا أن ذلك جائز فنهاهم الرسول ﷺ عن ذلك وبيّن لهم الصواب، فاتّبعوا الحق على الفور رضي الله عنهم واستجابوا - وأهل البدع لا يستجيبون بهذه الطريقة - فكان خطأ أولئك الصحابة رضي الله عنهم ناتجاً عن اجتهاد لا عن هوى ولا عن تقديم العقل على السنة؛ هذا كله باطل.

الأمر الثاني: قلتُ في الدرس الثالث أيضا، في معنى قول الراوي " **كأنهم تقالُّوها** "؛ قلتُ:(أي قالوا إن عبادة الرسول ﷺ قليلة)..
وهذا خطأٌ أيضاً، فإنهم لم يقولوا ذلك، فقول الراوي " كأنهم تقالُّوها "؛ المراد منه أنهم أرادوا الزيادة في عبادتهم لأنهم تقالُّوها في حق أنفسهم، وليس في حق الرسول ﷺ، فلم يقولوا إن عبادة الرسول قليلة، ولكن تقالُّوها في حق أنفسهم فأرادوا الزيادة. هذا هو الصواب والله أعلم.

فإنني أتراجع عن هاتين العبارتين وأستغفر الله وأتوب إليه سبحانه وتعالى، وأشكر من نبهني جزاه الله خيراً، وأشكر كل من ينبهني على أخطائي.

الأمر الثالث: في الدرس الماضي - وهو الدرس السابع - عندما شرحت قول الإمام أحمد رحمه الله: " فإن كلام الله منه ليس ببائن منه "..
قلتُ معناها: (أن كلام الله صفة قائمة بذات الله)؛ وربما يفهم البعض من كلامي هذا أنني أقرر أن صفة الكلام صفة ذاتية فقط، والأمر ليس كذلك. بل (**الكلام صفة ذاتية وفعلية**): أي أنه صفة ذاتية باعتبار أصله وأن الله متّصف به، وأنه صفة فعلية باعتبار آحاده، فيتكلم الله متى شاء سبحانه وتعالى.
فالصواب أن نقول: (كلام الله صفة ذاتية و فعلية)، صفة ذاتية باعتبار أصله، وصفة فعلية باعتبار آحاده، أي يتكلم الله عز وجل متى شاء بحرف وصوت، وقد بينت في الدرس الماضي نفسه: أن عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله عز وجل أنه يكون بحرف وصوت.

▪○▪○▪○▪○▪○▪○▪

والآن نبدأ بدرس هذه الليلة، وهو الدرس الثامن.

الأصل العاشر: الإيمان بالميزان.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

" والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء، ويوزَن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به والتصديق به والإعراض عمّن رد ذلك وترك مجادلته "..

هذا هو الأصل العاشر من أصول هذه الرسالة، وهذا الأصل من خصال السنة التي من أنكرها فليس من أهل السنة.

هذا الأصل هو: الإيمان بالميزان الذي يضعه الله عز وجل يوم القيامة، ونؤمن أنه ميزان حقيقي حسيّ له كفتان، وأنكَره المعتزلة وحرفوا النصوص الواردة فيه بعقولهم، لأن المعطلة كما تعلمون يقدمون العقل على النقل، وهذا هو سبب ضلالهم عن صراط الله المستقيم، فوقعوا في شبهات، فقالوا: (الأعمال لا يمكن أن توزن)؛ يعني الحسنات والسيئات التي يعملها العبد لا يمكن أن توزن، لأنها أعراض وليست أجساما! هكذا زعموا!

فيا سبحان الله! وجوابهم أن نقول: إن الله على كل شيء قدير، ولا نزيد على هذا.

ومن شبهاتهم أيضا قالوا: (إن الله غني عن الميزان فلا يحتاجه لإقامة العدل، إنما يحتاج الميزان الصائغ والبقال)؛ ولذلك أوّلوا الميزان بالعدل، قالوا (الميزان هو العدل)،

ونحن لا ننكر العدل ولكن الميزان شيء والعدل شيء آخر، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء: 47] أي الموازين العدل.

ففرق الله عز وجل بين الميزان والعدل، وجعل العدل صفة للميزان ولازما من لوازمه، فالعدل شيء آخر.

فإن الله تبارك وتعالى خلق الميزان لإقامة العدل، وهو غني عن الميزان، بخلاف المخلوق الذي يحتاج الميزان لإقامة العدل، المخلوق لا يستطيع إقامة العدل إلا باستعمال الميزان، والله غني عن الميزان، لكنه تبارك وتعالى يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى، ولا يجوز لأحد أن يرد نصوص الكتاب والسنة الصحيحة برأيه وعقله وأوهامه.

فقال المؤلف رحمه الله: **" والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء "..**

أي؛ كما جاء في الأدلة من الكتاب والسنة، والميزان ثابت بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة وهو من

عقيدة أهل السنة والجماعة.

والأدلة من القرآن كثيرة، منها:

قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء: 47]

والآيات كثيرة في إثبات الميزان.

أما الأدلة من السنة، فقد وردت أحاديث تثبت الميزان، وتبين صفته، وتبين ما الذي يوزن فيه، فقال المؤلف رحمه الله:

"ويوزَن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر".

يوزن في الميزان:

العامل، والأعمال، والصحف.

- والدليل على أن العامل يوزن -أي الشخص نفسه -:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥] "[44]

ويدل على ذلك أيضا حديث عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[45]

- أما الدليل على أن الأعمال توزن، فإن الأعمال توزن بلا خلاف عند أهل السنة، والدليل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ» متفق عليه[46]

والشاهد قوله: "ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ".

وهذا الحديث يبين بوضوح أن الأعمال توزن بقدرة الله عز وجل، ولا ندري كيف يكون ذلك، نصدق ذلك ولا ننكر أن الأعمال توزن.

- الأمر الثالث: توزن الصحف، أي؛ الكتب التي كُتِبت فيها الأعمال، ودليل ذلك حديث البطاقة:

---

44 البخاري ٤٧٢٩ ومسلم ٢٧٨٥
45 أخرجه أحمد ٣٩٩١ وصححه الألباني في الصحيحة ٢٧٥٠، ٣١٩٢
46 :البخاري ٦٦٨٢ ومسلم ٢٦٩٤.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[47]

هذا الحديث دليل واضح على أن الصحف التي كُتِبت فيها الأعمال توزن، وأيضا فيه دليل على أن الميزان له كفتان.

ثم قال رحمه الله: **" والإيمان به والتصديق به "..**

أي لا تخوض فيه بعقولنا إنما هو الإيمان به والتصديق بالأدلة الواردة في ذلك والتسليم بها.

ثم قال: **"والإعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته "**

أي لا نناظر أحدا في الميزان، ولا نخاصم أحدا، والإمام أحمد يكرر هذا الأصل كثيرا في عدد من أصول السنة؛ وهو **"تحريم الخصومات في الدين"**؛ وخصوصا مع أهل البدع، فإن مناظرة أهل البدع أشد تحريماً، وهي في أمور الغيب أشد وأشد تحريما لأن مسائل الغيب مبناها على الاتباع والتسليم وليس على العقل، فيشدد الإمام أحمد رحمه الله، وحق له أن يشدد على تحريم المناظرة في الدين والمجادلة فيه، لأن خطر ذلك عظيم.

والإيمان بالميزان له ثمرات عظيمة؛

منها أنه من الإيمان بالغيب الذي أخبر الله به،

والإيمان بالغيب من صفات المؤمنين، الذين يؤمنون بالغيب ولا يقيسون الأمور بعقولهم.

وأيضا من ثمرات الإيمان بالميزان؛ أن المؤمن يكون حريصا على تثقيل ميزانه بالحسنات، فيحرص على تكثير الحسنات وتقليل السيئات حتى لا يكون من الخاسرين - والعياذ بالله - كما قال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ

[47] أخرجه أحمد ٦٩٩٤ والترمذي ٢٦٣٩ وصححه الألباني في الصحيحة ١٣٥.

مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) ﴾ [سورة المؤمنون]

نعوذ بالله من الخسران، والآيات كثيرة في هذا المعنى والتي فيها الحث على تكثير الحسنات وتثقيل الميزان بها، والحذر من المعاصي صغيرها وكبيرها.

■○■○■○■○■○■○■

الأصل الحادي عشر: الإيمان بالعرض على الله

قال المؤلف رحمه الله: "وأن الله يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان، والإيمان به والتصديق به ".

هذا هو الأصل الحادي عشر من هذه الرسالة المباركة، **وهو الإيمان بالعرض على الله عزوجل**، ويتضمن هذا الأصل:

- **إثبات صفة الكلام**،
- **وإثبات الرؤية لله عزوجل في الآخرة بالأبصار**.

وفيه أن الله تبارك وتعالى يتكلم مع عباده بحرف وصوت يسمعونه ويكلمونه، يكلم العبد ربه، فقال المؤلف: "ليس بينهم وبينه ترجمان" أي؛ بلا واسطة وبلا حجاب،

والترجمان؛ هو الذي يعبر عن اللغة بلغة غيرها.

فحري بكل واحد منا أن يستعد لهذا اللقاء العظيم، وهذا العرض على الله عز وجل، فهذا اللقاء وهذا العرض على الله عز وجل من عقيدة أهل السنة والجماعة، فماذا سيقول أولئك الذين ينكرون الكلام وينكرون الرؤية؟!

والأدلة على هذا الأصل متعددة منها:

- حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ»[48]

فمعنى الحديث؛ أي: ويكلمهم ويكلمونه ويرونه، يكلمونه بلا واسطة أي بلا ترجمان، ويرونه بلا حجاب يحجبه، فهذا دليل على الرؤية.

والدليل الثاني: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] "متفق عليه:[49]

---

[48] البخاري ٧٤٤٣، ٦٥٣٩ ومسلم ١٠١٦

[49] البخاري ٢٤٤١، ومسلم ٢٧٦٨

قوله: " إن الله يدني المؤمن " أي يقرب المؤمن فقط منه سبحانه، أما الكافر فلا يقربه.

قوله : "فيضع عليه كنفه. . " أي يضع عليه ستره.

قال: " ويستره. . " أي لا يفضحه أمام الخلائق.

"فيقول أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول نعم أي رب " أي: نعم يا رب، فيعترف المؤمن بذنوبه.

هذا الحديث فيه العرض على الله عز وجل فلا يعذب المؤمن، إنما تُعرَض عليه ذنوبه ويقرَّر بها، ويحاسب حسابا يسيرا، ويأخذ كتابه بيمينه.

أما من أراد الله عز وجل أن يعذبه فإنه يناقشه على رؤوس الخلائق، فمن نوقش الحساب عُذِّب، يناقَش ويحاسَب على رؤوس الخلائق ويفضح أمره، وهذا حال الكافر والفاسق - نسأل الله السلامة والعافية.

فنؤمن بهذا العرض ونؤمن أن الله يكلم عباده بلا واسطة، يكلمونه ويسمعونه ويرونه بلا حجاب، فهذا من أصول أهل السنة، ويتضمن كما قلنا: الإيمان بالكلام وبالرؤية والتقرير بالذنوب.

■○■○■○■○■○■○■

الأصل الثاني عشر: الإيمان بالحوض.

قال المؤلف رحمه الله: " **والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضا يوم القيامة ترد عليه أمته عرضه مثل طوله مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحّت به الآثارمن غيروجه** ".

نعم صحت به الآثار من غير وجه، فأحاديث الحوض صحيحة متواترة رواها جمع من الصحابة، والإيمان بالحوض داخل في الإيمان باليوم الآخر، ومن أنكر الحوض فهو ضال مضل مبتدع.

وجاء في صفته عن النَّبِيُّ ﷺ قال: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا»[50]

فهو كبير جدا، طوله مسيرة شهر، وعرضه كذلك.

كيزانه: أي الأباريق التي عليه كثيرة جدا كعدد نجوم السماء.

ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من ريح المسك، من شرب منه فلا يظمأ ابدا؛ قال أهل العلم: **(ثم يكون الشرب بعد ذلك للتلذذ)**، إذا شرب العبد من هذا الحوض لا يظمأ بعدها أبدا، ثم يكون شربه في الجنة للتلذذ وليس من عطش.

ومما جاء في أحاديث الحوض أنه يذاد عنه أهل البدع والمرتدون، الذي ارتدوا عن الإسلام - والعياذ بالله - لا يشربون من الحوض، وأيضا أهل البدع لا يشربون من الحوض.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي، يَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ "[51]

أُختُلِجوا، أي؛ أُبعِدوا.

ووردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى. وهذه الأحاديث قال فيها أهل العلم: هؤلاء هم الذين ارتدوا من الأعراب زمن أبي بكر الصديق، كانوا مسلمين، ويعرفهم النبي ﷺ، ولكنهم ارتدوا وماتوا على الشرك، فهم الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه،

ومنهم أيضا الذين قاتلوا مع مسيلمة الكذاب، فهؤلاء ماتوا على الشرك - والعياذ بالله - فلا يشربون من الحوض.

---

[50] البخاري ٦٥٧٩ ومسلم ٢٢٩٢
[51] البخاري ٧٠٤٩ ومسلم ٢٣٠٤

وأيضا المبتدع يُطرَد عنه، لقول النبي ﷺ - على لسان الملائكة -: " لا تدري ما أحدثوا بعدك " ، والإحداث عامٌّ يشمل الردة والبدعة.

صاحب البدعة - والعياذ بالله - لا يشرب من حوض رسول الله ﷺ إذا لم يتب منها؛ في وقت يشتد فيه الظمأ، ويعطش الناس عطشا شديدا... فالحذر الحذر من البدع.

والحوض مخلوق الآن، نؤمن بذلك ونصدق بخبر رسول الله ﷺ، حيث قال: "وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ"[52]

فنؤمن أن الحوض مخلوق الآن.

وقد أنكر أكثر المعتزلة الحوض، وزعموا أن أحاديثه من الآحاد، والحق أنه متواتر، ومنهم من أنكره بعقله، فمن أنكره فهو مبتدع، وحري به أن يُحرَم من الشرب منه كما قال بعض أهل العلم، فإنه لا يشرب من الحوض مشرك أو مبتدع كما تقدم، وأجمع أهل السنة والجماعة على الإيمان بالحوض.

■ ○ ■ ○ ■ ○ ■ ○ ■ ○ ■ ○ ■

[52] البخاري ١٣٤٤ ومسلم ٢٢٩٦

الأصل الثالث عشر: الإيمان بعذاب القبرونعيمه.

قال المؤلف رحمه الله: **" والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تُفتَن في قبورها، وتُسأَل عن الإيمان والإسلام، ومن ربه، ومن نبيه، ويأتيه منكرونكير كيف شاء الله عزوجل وكيف أراد والإيمان به والتصديق به "**.

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه من الإيمان باليوم الآخر، وهو من أصول العقيدة، وقد أجمع عليه أهل السنة والجماعة بلا خلاف بينهم، وقد أنكر المعتزلة الكثير من أمور القبر ولم ينكروه بالكلية، ذلك لأنهم حكموا عليه بعقولهم،

ومسائل الغيب - كما قلنا من قبل - لا تُعرف كيفيتها، نؤمن بها ونسلّم بها ولا نقيسها بعقولنا، وأحاديث عذاب القبر ونعيمه متواترة تواترا معنويا،

المتواتر منه متواتر لفظي ومنه متواتر معنوي، وستعلمون تفصيل هذا في علم المصطلح، **والتواتر المعنوي معناه أن الأحاديث تكون متنوعة وكثيرة في موضوع واحد**، فقد وردت أحاديث كثيرة عن القبر عن جمع من الصحابة.

والمؤلف رحمه الله أشار بكلامه هذا إلى حديث البراء بن عازب الطويل، وقد اشتمل حديث البراء - وهو في مسند الإمام أحمد وأصله في الصحيحين - على أمور كثيرة من أمور القبر، وأهمها: سؤال القبر، وهي فتنة القبر، وهي فتنة عظيمة مثل فتنة الدجال كما أخبر النبي ﷺ، أُنظر كم فتنة الدجال عظيمة! وقد حذّر منها النبي ﷺ كثيرا، ففتنة القبر أيضا مثل فتنة الدجال، فالأمر ليس سهلا، ويترتب علىها العذاب أو النعيم - نسأل الله العافية - ولذلك أُمِرنا أن نستعيذ بالله منها في كل صلاة. ولا يثبت في هذه الفتنة العظيمة إلا من ثبته الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [ابراهيم:27] نزلت هذه الآية في عذاب القبر. والدليل قول النبي ﷺ: " إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] "[53]

قال البراء: نزلت في عذاب القبر.

فهذه الآية دليل من القرآن على عذاب القبر، وبتفسير رسول الله ﷺ لها، وبتفسير الصحابة، وهذا في الصحيحين كما ترى.

---

[53] متفق عليه البخاري:١٣٦٩، ٤٦٩٩ ومسلم ٢٨٧١.

فهذا الدليل يكفينا ويكفي الذين يسألون عن دليل من القرآن على عذاب القبر، والأدلة على عذاب القبر في القرآن كثيرة، وهذا أصرحها.

أما من السنة، فأبرز الأدلة حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وهو كما قلت في الصحيحين مختصرا:[54]

وقد أشار المؤلف إليه فذكر فتنة القبر كما وردت في حديث البراء، وهي أسئلة القبر الثلاث: يأتيه الملكان منكر ونكير فيسألانه عن ربه وعن نبيه وعن دينه؛

يُسأل العبد عن ربه: فنؤمن بالله عز وجل بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته على مذهب أهل السنة والجماعة.

ويُسأل العبد عن نبيه: فنؤمن بمحمد ﷺ، نصدقه ونوقره ونطيعه ونتّبع سنته ونؤمن به وبما جاء به وأنه رسول الله وأنه خاتم الرسل.

ويُسأل العبد عن دينه: فنؤمن بأركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، وبركن الإحسان، كما جاء في حديث جبريل.

وجاء في أول حديث البراء هذا قوله ﷺ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»، وهذا هو الشاهد من الحديث على إثبات عذاب القبر، وهو حديث طويل كما قلنا اشتمل على أمور غيبية عجيبة في حياة البرزخ بعد الموت، من نعيم للمؤمنين وعذاب للكفار والعصاة، أنصحكم بقراءته وتدبره وفهم معناه؛ هذا هو الدليل الأول من السنة على إثبات عذاب القبر.

ومن الأدلة أيضا عن زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ – فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ " قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ.[55]

الحائط: هو الحديقة المسوّرة بسور.

وحادت به فكادت تلقيه: أي نفرت البغلة نفرة قوية لأنها سمعت عذاب أصحاب تلك القبور، فحادت عن الطريق وكادت توقع النبي ﷺ من شدة نفرتها.

---

[54] البخاري ١٣٦٩، ٤٦٩٩ ومسلم ٢٨٧١، وفي مسند أحمد ١٨٥٤٣ مطولا، وسنن أبي داوود ٤٧٥٣، وسنن النسائي الكبرى مطوّلا ٢١٥٩، وغيرهم.

[55] ما أخرجه مسلم في الصحيح ٢٧٦٨،

فإن عذاب القبر يسمعه كل شيء إلا الإنس والجن.

تأمّل؛ تعوذ الصحابة من عذاب القبر على الفور كما أمرهم رسول الله، ولم يسأل أحد من الصحابة عن كيفية العذاب، ولم يخوضوا في ذلك بآرائهم، بل سلّموا وصدّقوا وتعوّذوا بالله من عذاب القبر على الفور، وهذا هو الذي أُمِرنا به، أن نؤمن بعذاب القبر ونصدّق بالأخبار التي جاءت فيه من الكتاب والسنة، وأن نتعوّذ بالله من هذا العذاب.

هذا هو سبيل الصحابة في جميع الأمور الغيبية، وهذه هي سبيل أهل السنة والجماعة؛ يؤمنون بذلك ولا يخوضون فيه بعقولهم.

ولذلك قال الإمام أحمد: **" كيف شاء الله عزوجل وكيف أراد "** أي؛ نفوّض كيفية عذاب القبر ونعيمه إلى الله عز وجل، لا نخوض في ذلك بعقولنا، فالخوض في أمور الغيب بالعقل يؤدي إلى الضلال، يؤدي إلى الكفر بها وإنكارها - والعياذ بالله -، أما المؤمن فيسلّم ويصدّق.

نسأله سبحانه الثبات على الحق حتى نلقاه به،

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الدرس رقم (9) *التاريخ: الاثنين 15/جمادى الأول/1440 هـ 21/كانون الثاني/2019 م*

عنوان هذا الدرس

(الإيمان بالشفاعة، وبخروج المسيح الدجال، وبنزول عيسى عليه السلام، وأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص)

ملخص الدرس التاسع:

اشتمل هذا الدرس على المواضيع الآتية:

1. -الأصل الرابع عشر: الإيمان بالشفاعة.
2. -الأصل الخامس عشر: نؤمن بخروج المسيح الدجال.
3. -الأصل السادس عشر: نؤمن بنزول عيسى عليه السلام من السماء.
4. -الأصل السابع عشر: تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وعند الخوارج، وعند المرجئة

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد. .

فهذا هو **الدرس التاسع** من دروس شرح أصول السنة.

الأصل الرابع عشر

قال المؤلف رحمه الله: **"وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ، كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ وَكَمَا شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ".**

هذا هو الأصل الرابع عشر من أصول هذه الرسالة وهو الإيمان بالشفاعة، شفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الملائكة، وشفاعة المؤمنين.

وهذا الأصل من خصال السنة التي من أنكرها فليس من اهل السنة والجماعة.

والشفاعة أنواع، نذكر منها أربعة:

1- **الشفاعة الأولى: الشفاعة الكبرى: وهي المقام المحمود،**

وهذه خاصة بالنبي ﷺ؛ وذلك أن النبي ﷺ يشفع لجميع أهل الموقف يوم القيامة؛ المؤمن والكافر، حتى يعجّل الله الحساب للخلق ويأذن به، وذلك عندما يشتد الكرب وتدنو الشمس ويطول الوقوف بلا ظل ولا طعام ولا شراب ولا ثياب، الناس حفاة عراة غرلا، غارقون في عرقهم لا يملكون شيئا، فيطول بهم القيام ويشتد عليهم الكرب، فيذهبون إلى الأنبياء حتى يشفعوا لهم عند الله، لأن الأنبياء عليهم السلام هم أفضل خلق الله،

فيذهبون إلى **آدم** ثم إلى **نوح** ثم إلى **إبراهيم** ثم إلى **موسى** ثم إلى **عيسى** عليهم الصلاة والسلام أجمعين، فيعتذرون جميعهم، وكلهم يقولون: " نفسي نفسي"، ويقولون: "لستُ لها "،

ثم يذهبون إلى **محمد** ﷺ فيقول: " أنا لها "،

ثم يذهب عليه السلام فيسجد تحت العرش لله تبارك وتعالى، ويدعوه بأدعية لم يكن يعلمها من قبل حتى يأذن الله له بالشفاعة، فلا يشفع أحد عنده سبحانه إلا بإذنه، فيقال له: "يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ " فيشفعه الله،

وهذا هو المقام المحمود الذي تحمده عليه جميع الخلائق، جاء هذا في أحاديث صحيحة في الصحيحين عن ابي هريرة وعن انس رضي الله عنهم، وغيرهم من الصحابة.[56]

وهذه الشفاعة .الشفاعة الكبرى .لا ينكرها أحد من أهل القبلة، يؤمن بها أهل السنة وأهل البدع.

2- **الشفاعة الثانية: شفاعته عليه الصلاة والسلام لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة:**

وهذه أيضا خاصة بمحمد ﷺ، فلا تُفتح الجنة الا له، قال عليه الصلاة والسلام: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»[57]

وقال عليه الصلاة والسلام: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ "أخرجه مسلم ١٩٧

3- **الشفاعة الثالثة: شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب؛ لا أن يخرج من النار:**

لأن المشرك لا يخرج من النار ولا يدخل الجنة، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»[58]

فعذاب أبي طالب أخف عذاب أهل النار بشفاعة رسول الله ﷺ فيه.

4- **الشفاعة الرابعة: شفاعته ﷺ في عصاة الموحدين فيخرجهم من النار:**

وهذه ليست خاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام، بل له وللملائكة وللمؤمنين، وهذه الشفاعة أنكرها الخوارج والمعتزلة مع أن أحاديثها متواترة، ولكن ردوها بناء على أصلهم الفاسد؛ وهو أن صاحب الكبيرة يخلَّد في النار، ولذلك ذكرها الإمام أحمد في رسالته هذه، فقال رحمه الله: "وبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ".

ذكر الإمام أحمد هذه الشفاعة خصوصاً ولم يذكر غيرها لأن الوعيدية أنكروها، واستدل عليهم بالسنة فقال: " كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ"، وهذا الأثر هو حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين

---

[56] (حديث أبي هريرة عند البخاري ٣٣٤٠، ٤٧١٢، ومسلم ١٩٤) (وحديث أنس عند البخاري ٧٥١٠، ومسلم ١٩٣)
[57] (أخرجه مسلم ١٩٦).
[58] متفق عليه(البخاري ٣٨٨٥ ومسلم ٢١٠).

وغيرهما، قال: قال رسول الله ﷺ : " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ "متفق عليه[59]

قوله: **(أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا)**

أي: المخلّدون فيها وهم المشركون، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْن.

فالمشركون هم أهل النار، لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها، ولا يحيون، أما الموحدون فيعذَّبون فيها الى ما يشاء الله عز وجل، ثم يموتون فيها وذلك قوله:

"فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً"، فهذا دليل على أن عُصاة الموحدين يموتون في النار بعد أن يعذَّبوا بذنوبهم.

قال: **" حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِر "**

أي: يخرجون من النار ويُحمَلون كالمتاع جماعات جماعات.

قال: **" فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ "**

أي: ينبتون مثل الحِبّة في سرعة نموها وضعفها،

والحِبّة: هي الحبوب التي تنبت وتنمو على ضفاف السيول، فينبتون بسرعة ويكونون ضعافا كما تنبت الحِبّة على طرف السيل بسرعة وتكون ضعيفة.

هذا الحديث متفق عليه في الصحيحين، نؤمن به ونصدق به ولا نخوض في كيفية ذلك بعقولنا، ولا نعترض على ذلك بآرائنا.

والخوارج والمعتزلة يسميهم أهل العلم: "الوعيدية"، لأنهم أخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الشفاعة والرجاء والرحمة والمغفرة والعفو، أغلقوا عيونهم عن هذه النصوص وقالوا: عُصاة المسلمين أصحاب الكبائر لا يخرجون من النار؛ هذه عقيدتهم. فأنكروا آيات وأحاديث الشفاعة واستدلوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة، كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨] وهذا الحكم خاص بالكفار، الذين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، أما الموحدون فتنفعهم شفاعة الشافعين.

---

[59] (البخاري ٦٥٦٠ ومسلم ١٨٥)

وهذه الآية نفسها يدل لفظها على أن الشفاعة تنفع غيرهم لأنه قال: ﴿ فما تنفعهم ﴾ أي: المشركين، دل على أن الشفاعة تنفع غيرهم أي تنفع الموحدين العصاة.

وذلك أن الشفاعة منفية عن الكفار في كتاب الله ومثبتة للموحدين، الشفاعة للموحدين ثابتة في أحاديث متواترة وآيات محكمة، وأهل السنة والجماعة متفقون على هذا والحمد لله، ولكن لا تكون الشفاعة إلا بإذن الله ورضاه:

- إذنه للشافع،
- ورضاه عن الشافع،
- ورضاه عن المشفوع له،

هذه ثلاثة شروط اجتمعت في آية "النجم" فقال عز وجل: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم: ٢٦]

فذكر الإذن والرضا: الإذن للشافع، والرضا عن الشافع، والمشفوع له.

الأصل الخامس عشر والسادس عشر

ثم قال المؤلف رحمه الله:

" وَالْإِيمَانُ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَتْ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ، وَأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام يَنْزِلُ فَيَقْتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ"

اشتملت هذه الجملة من أصول السنة على أصلين: الخامس عشر والسادس عشر:

الأصل **الخامس عشر** هو:

الإيمان بخروج الدجال آخر الزمان.

والأصل **السادس عشر**:

هو **الإيمان بنزول عيسى بن مريم عليه السلام آخر الزمان وأنه يقتل الدجال.**

وهاتان علامتان من علامات الساعة الكبرى، وعلامات الساعة الكبرى لم يظهر منها شيء بعد على الراجح.

في آخر الزمان تمتلئ الأرض جورا وفسادا وكفرا، فيخرج المهدي ويحكم الأرض على منهاج الخلافة الراشدة، واسمه "**محمد بن عبد الله**"، اسمه كاسم النبي ﷺ، وهو من آل البيت، يحكم الأرض على الخلافة الراشدة،

ثم يخرج الدجال في زمنه فلا يقدر عليه المهدي، ويحكم الدجال في الأرض وهو فتنة عظيمة جدا،

ثم ينزل عيسى عليه السلام فيقتله، ويحكم عيسى عليه السلام الأرض بشريعة محمد عليه السلام، ثم تظهر يأجوج ومأجوج-قبيلتان كافرتان - فلا يقدر عليهم عيسى عليه السلام، فيحكمون الأرض ويعيثون فيها فسادا، فيقتلهم الله عز وجل، ويعود الحكم لعيسى عليه السلام،

ثم يموت عيسى عليه السلام، ثم تتوالى علامات الساعة الكبرى ويموت خيار الناس ويبقى شرارهم، وعليهم تقوم الساعة.

هذا كله من الغيب، نؤمن أنه سيقع، ونصدق به لأن الصادق المصدوق أخبر به.

وأنكر أهل البدع خروج المهدي وخروج الدجال، وأحاديث الدجال في الصحيحين وغيرهما وقال بعض العلماء إنها متواترة ، والدجال رجل كافر من بني آدم ويلقّب بالمسيح الدجال، المسيح؛ لأنه ممسوح العين اليمنى، والدجال؛ أي الكذاب، فإنه يدّعي أنه نبي، ثم يدّعي الربوبية، مكتوب بين عينيه(كافر) ، يقرؤه كل مؤمن ولو كان أميّا لا يحسن القراءة، وقد جعله الله عز وجل فتنة للناس، أي اختبارا لإيمان الناس ممن يدركونه.

ومن فتنته أمور خارقة تحدث، منها أن معه جنة ونارا، فجنته نار وناره جنة، يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ

فَتُنْبِتُ، يمر بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ،
من آمن به عاش في رغد العيش، ومن كفر به عاش في فقر شديد، وهذا من فتنته.
ومن فتنته أنه يسلَّط على رجل مؤمن يدعوه إلى الإيمان به، فيكفر به، ويقول له: أنت المسيح الكذاب، فيشقه نصفين ويمشي بين شقّيه،
ثم يأمره أن يقوم فيستوي الرجل قائما، ويقول له أتؤمن بي؟
فيقول: ما ازددتُ بك إلا بصيرة، فيذهب ليقتله مرة أخرى فلا يستطيع ذلك،
فيؤخذ بيديه ورجليه فيلقى في نار الدجال، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ، فهذا الرجل هو أعظم الناس شهادة عند الله تبارك وتعالى.
ومن فتنته أنه يجوب الأرض بسرعة الريح، إلا مكة والمدينة فلا يدخلهما، فترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق ومنافقة ويتبعونه ولا يبقى في المدينة الا المؤمنون،
ويمكث الدجال في الأرض أربعين يوما، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كأسبوع وسائر أيامه كأيامنا،
وبينما هو يعيث في الأرض فسادا يأذن الله تبارك وتعالى بنزول عيسى عليه السلام من السماء، ينزل عند المنارة الشرقية قرب دمشق فيهرب الدجال منه ويذوب كما يذوب الملح في الماء، فيدركه عيسى عليه السلام في اللد وهي مدينة في فلسطين معروفة فيقتله عند بابها.
وفتنة الدجال أعظم فتنة على وجه الأرض، ولذلك حذّر النبي ﷺ منه كثيرا وأمَرنا أن نبتعد عنه إذا سمعنا به،
وأمَرنا أن نستعيذ بالله من فتنته في كل صلاة، وأنكَره العقلانيون قديما وحديثا، وأحاديث خروجه متواترة، وأهل السنة والجماعة أجمعوا على خروج الدجال في آخر الزمان، نؤمن بذلك ونصدق به.[60]

الأصل السابع عشر

ثم قال رحمه الله:
(وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُص كما جاء في الخبر: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلقًا"، و"من تَرْكُ الصَّلَاة فقدِ كُفْر"، و"لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ إِلَّا الصَّلَاة"، مَنْ تَرَكَهَا فَهُوَ كَافِرٌ وَقَدَ حَلَّ قَتْلُهُ).
هذا هو الأصل **السابع عشر** من أصول هذه الرسالة؛
وهو أصل عظيم ينبني عليه الفرق بين أهل السنة من جهة وبين الخوارج والمعتزلة والمرجئة من جهة أخرى؛ أي في مسألة الإيمان.

[60] انظر صحيح البخاري الأحاديث من (٧١٢٢ إلى٧١٣٤) وصحيح مسلم الأحاديث من ٢٩٣٣ إلى ٢٩٤٥)

وعرّف المؤلف رحمه الله الإيمان عند أهل السنة والجماعة فقال: **"والإيمان قول وعمل يزيد وينقص "**

قوله: **" قول وعمل "** أي: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

هذا هو المراد بقوله: "قول وعمل".

- قول القلب: تصديقه.
- وقول اللسان: الشهادتان، وغيرهما من الأقوال كالذكر والأمر والنهي.
- وعمل القلب: الاعتقاد، ويشمل النية، والإخلاص، وأركان الإيمان، وأمور الغيب، وما يقوم في القلب من خوف ورجاء ورغبة ورهبة وتوكل ومحبة، وغير ذلك من أعمال القلوب.
- وعمل الجوارح: أي العمل بالأركان الظاهرة، كالأركان الخمسة وغيرها من الأعمال كإماطة الأذى عن الطريق، وهذه أدناها، فإن كل ما يُفعل بالجوارح الظاهرة هو من الإيمان.

هذا الذي ذكرته توضيح للألفاظ التي وردت في تعريف الإمام أحمد للإيمان.

وخلاصة ذلك نقول:

إن تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو:

(اعتقاد وقول وعمل، ويزيد وينقص).

احفظوا هذا جيدا.

والمقصود بقولنا:

- (**اعتقاد**) : أي اعتقاد القلب.
- (**قول**) ؛ أي قول اللسان بالشهادتين فما دونهما.
- (**عمل**) ؛ أي عمل الجوارح.
- (**يزيد**) ؛ أي يزيد بالطاعة.
- (**ينقص**) ؛ أي ينقص بالعصيان.

إذن:

- فالإيمان عند "أهل السنة والجماعة" هو: (اعتقاد وقول وعمل ويزيد وينقص).
- والإيمان عند "الخوارج" هو: (اعتقاد وقول وعمل ولا يزيد ولا ينقص).
- والإيمان عند "أكثر المرجئة" هو: (اعتقاد وقول فقط ولا يزيد ولا ينقص).

فالعمل عند المرجئة ليس من الإيمان وايضا لا يزيد ولا ينقص.

والعمل عند الخوارج من الإيمان لكنه عندهم لا يزيد ولا ينقص.

فمن خلال هذه التعريفات تستطيع وحدك أن تقارن بين الإيمان عند أهل السنة والإيمان عند الخوارج، وكذلك تقارن بين الإيمان عند أهل السنة والإيمان عند المرجئة، وكذلك تستطيع أن تقارن بين قول الخوارج والمرجئة في الإيمان.

وأريد أن أقف قليلا عند هذه النقطة الأخيرة؛ وهي المقارنة بين قول الخوارج والمرجئة في الإيمان.

فنجد أن الخوارج والمرجئة قد اتفقوا على أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، أي جعلوه شيئا واحدا لا يتجزأ، لكنهم ورغم اتفاقهم على هذا القول فإنهم اختلفوا في معنى هذا القول على طرفي نقيض، لأن أصولهم فاسدة.

- **أما الخوارج**: فقالوا إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وقالوا العمل من الإيمان، فإذا ذهب شيء من العمل ذهب الإيمان كله لأنه لا يتجزأ عندهم، فمن وقع في كبيرة واحدة لا يقولون "نقص إيمانه" بل يقولون "ذهب إيمانه كله" لأن الإيمان عندهم شيء واحد لا يتجزأ، فإذا ذهب بعض إيمانه ذهب إيمانه كله، أي يخرج من الإسلام بالكلية، ولذلك كفّروا مرتكب الكبيرة.

- **أما أهل السنة**: فيقولون عن مرتكب الكبيرة: "نقَص إيمانه" ما لم تكن الكبيرة كفرا في ذاتها كالذبح لغير الله مثلا.

أما الكبائر التي هي دون الكفر الأكبر يقولون: "نقص إيمانه"، ولا يكفّرون بترك عمل من الأعمال الا الصلاة على خلاف بينهم كما سيأتي من كلام الإمام أحمد وغيره من السلف.

وبهذا يتبين لنا أهمية قول السلف: "الإيمان يزيد وينقص"، هذا قيد مهم جدا في تعريف الإيمان، فهذا حد فاصل بيننا وبين الخوارج ويترتب عليه عدم التكفير بالمعصية عند أهل السنة، فإن التكفير بالمعصية مذهب الخوارج الفاسد الذي بسببه استحلّوا الدماء المعصومة، وفارقوا سبيل المؤمنين وصاروا كلاب أهل النار والعياذ بالله.

- **أما المرجئة**: فقالوا: "الإيمان لا يزيد ولا ينقص" ولكنه لا يتأثر بالمعاصي عندهم، لأن العمل عندهم ليس من الإيمان، فمن ترك جميع الأعمال فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان لا فرق بينه وبين جبريل في قوة الإيمان، وهذا قول ظاهر البطلان.

والحق أن العمل من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، هذا هو أهم ما يميز أهل السنة عن المرجئة.

فالعمل من الإيمان عند أهل السنة، والمرجئة يقولون العمل ليس من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص

عند أهل السنة، والمرجئة يقولون لا يزيد ولا ينقص.

والآن نريد أن نذكر الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن العمل من الإيمان.

والأدلة على ذلك كثيرة جدًا منها:

1- الدليل على زيادة الإيمان قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

والآيات كثيرة في كتاب الله التي فيها زيادة الإيمان.

2- والدليل على نقصانه قول النبي ﷺ: "ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ »[61]

أي نقص إيمانهم حتى لم يبق منه إلا مثقال حبة من خردل.

3- وقال ﷺ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». [62]. أي أقل مراتبه.

4- والدليل على أن العمل من الإيمان حديث "شعب الإيمان":

وهو حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[63]

والشاهد قوله: "وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ" هذا عمل، وهو من الإيمان مع أنه عمل قليل، فما فوقه من الأعمال داخل في الإيمان من باب أولى، فهذا يدل على أن أعمال الجوارح من الإيمان.

واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، وهو قوله "أفضلها وأدناها" هذا يعني أن الإيمان يتفاوت ويتفاضل، أي يزيد وينقص، فليس أجر من قال "لا إله إلا الله" كأجر من أماط الأذى عن الطريق، فالإيمان عند هذا أقوى من الإيمان عند هذا.

---

[61] (أخرجه البخاري ٢٢ ومسلم ١٨٤)

[62] (مسلم ٤٩)

[63] وهو متفق عليه في الصحيحين وغيرهما: البخاري ٩، ومسلم ٣٥، وأحمد ٨٩٢٦، والترمذي ٢٦١٤، والنسائي ٥٠٠٥، وابن ماجه ٥٧، وابن حبان ١٦٦.

إذن فالحديث دليل على أن الإيمان يتفاوت من شخص الى آخر، وأيضا يتفاوت عند الشخص نفسه من وقت لآخر ومن حال لحال.

وفي هذا الحديث دليل على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد:

- (لا إله إلا الله) قول واعتقاد.

لأن (لا إله إلا الله) يشترط فيها القول، ويشترط فيها الاعتقاد، من التصديق والقبول وغير ذلك من الشروط الثمانية المعروفة في كلمة (لا إله إلا الله)... . [في الحاشية] [64].

- و(إماطة الأذى عن الطريق) هذا عمل بالجوارح، وهو عمل قليل وهو من الإيمان فما فوقه من الأعمال داخل في الإيمان من باب أولى.

- و(الحياء) هذا اعتقاد لأنه عمل قلبي.

فالخلاصة أن هذا الحديث اشتمل على الاعتقاد والقول والعمل وأن الإيمان يزيد وينقص:

فقوله: (**أفضلها قول لا إله إلا الله**) هذا قول واعتقاد.

وقوله: (**وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**) هذا عمل.

وقوله: (**والحياء شعبة من الإيمان**) هذا اعتقاد.

وقوله (**أفضلها**) هذا أعلى الإيمان.

وقوله (**أدناها**) هذا أقل الإيمان.

ففيه أعلى وأدنى، أي زيادة ونقصان.

5- واستدل المؤلف رحمه الله على أن الإيمان يزيد وينقص بما جاء في الخبر «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا». [65]

ويستدل به من وجهين:

- **الوجه الأول**: يدل هذا الحديث على أن الإيمان يتفاوت، أي يزيد وينقص، لأنه يكون ناقصا عند سيء الخلق ويكون كاملا عند حسن الخلق، فقال " أكمل المؤمنين إيمانا "

هذا إيمانه كامل، وهناك إيمان ناقص بحسب الخلق، فإذا كان المسلم حسن الخلق ازداد إيمانه، وإذا ساء خلقه نقص إيمانه.

---

64 《تجد هذه الشروط في "الدروس المهمة لعامة الأمة "للشيخ ابن باز رحمه الله》

65 (رواه أبو داود ٤٦٨٢ والترمذي ١١٦٢ وصححه الألباني).

- **الوجه الثاني**: حسن الخلق لا شك أنه من الأعمال، فالحديث يدل على الأعمال من الإيمان، يكون الإنسان حسن الخلق بقوله أو بفعله فهذا دليل على أن الأعمال من الإيمان.

6- ومن الأدلة على أن العمل من الإيمان ويزيد وينقص :

قوله تعالى في سورة البينة: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥]

والشاهد قوله: ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ؛ فجعل الله تعالى الصلاة والزكاة من دين القيمة فهي من الإيمان، والصلاة والزكاة أعمال ظاهرة، فهذا يدل على أن العمل من الإيمان.

كما وأن الصلاة والزكاة تتفاوت من شخص لآخر، وتتفاوت عند الشخص الواحد من حال إلى حال، دل هذا على زيادة الإيمان عند من كمّلها ونقصانه عند من نقصها.

7- قال الله عزوجل: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣]

أي: لن يضيع صلاتهم التي صلوها باتجاه بيت المقدس قبل تحويل القبلة، فسمى الصلاة إيماناً والصلاة عمل، فدل على أن العمل من الإيمان.

8- قول النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»"[66]

ومَعْنَاه: لَا يَفْعَلُ هَذِهِ الْمَعَاصِي وَهُوَ كَامِلُ الْإِيمَانِ.

فدل بوضوح على نقصان إيمان الزاني وشارب الخمر والسارق، فإذا تاب وكف عن المعصية رجع إليه إيمانه وزاد إيمانه.

فهذه الأدلة فيها رد على كل من **الخوارج والمرجئة**:

- فيها إثبات أن الأعمال من الإيمان؛ وهذا رد على المرجئة.
- وفيها إثبات أن الإيمان يزيد وينقص؛ وهذا رد على الخوارج والمرجئة معاً.

والمرجئة طوائف متعددة:

- منهم من قال الإيمان اعتقاد وقول فقط؛ وهذا قول أكثرهم.

[66] متفق: البخاري ٢٤٧٥ ومسلم ٥٧.

- ومنهم من قال الإيمان: التصديق بالقلب، يعني ولو لم ينطق بالشهادتين.
- ومنهم من قال الإيمان: المعرفة، يعني ولو لم يصدق، مجرد أنه عرف فهو مؤمن، وهذا قول الجهمية وهو قول رديء يترتب عليه أن إبليس مؤمن كامل الإيمان لأنه يعرف ربه، بل يترتب عليه أنه لا يوجد كافر مطلقا، نعوذ بالله من الضلال.

والمرجئة متفقون جميعهم على أن الأعمال ليست من الإيمان، هذا الذي يجمع جميع المرجئة، الأعمال عندهم ليست من الإيمان، فأخرَجوا العمل من الإيمان وأخّروه عن الإيمان، لذلك سُمّوا مرجئة من "**الإرجاء**" وهو "**التأخير** ".

وهكذا فإننا نلاحظ أن الخوارج والمرجئة على طرفي نقيض، وأن أهل السنة وسط بينهم:

- الخوارج جعلوا العمل من الإيمان وهذا حق لكنهم قالوا هو شيء واحد لا يزيد ولا ينقص،

يعني إذا ذهب بعضه ذهب كله، فكفّروا من ترك عملاً واحداً، كفّروا بالمعاصي وهذا باطل، والدليل على بطلانه ما تقدم من أدلة،

وأيضاً الدليل على بطلانه إقامة الحدود، فلو كان شارب الخمر والسارق والقاذف والزاني: لو كانوا كفاراً لما أُقيم عليهم الحد، ولأُقيم عليهم حد الردّة وهو القتل.

- والمرجئة قالوا العمل ليس من الإيمان،

ولذلك قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، هذه عقيدتهم لأن ترك العمل عندهم لا يؤثر في الإيمان، فجعلوا إيمان أفسق الناس مثل إيمان الأنبياء والملائكة.

- واتفق الخوارج والمرجئة على أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص،

ولكنهم على طرفي نقيض في الحكم على من ترك العمل كما تقدم بيانه، الخوارج كفروه بالذنب والمرجئة قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب، والحق هو مذهب أهل السنة والجماعة كما تقدم بيانه.

قال المؤلف رحمه الله بعد ذلك: **" ومن ترك الصلاة فقد كفر".**

من جحد وجوب الصلاة كافر بالإجماع لأنه مكذب بالقرآن.

واختلف أهل السنة في تارك الصلاة تكاسلا وهو مقِرّ بوجوبها.

وصورة الخلاف بين أهل العلم:

- أن جمهور الصحابة على تكفيره،
- وجمهور المتأخرين لا يكفرونه،

- أبو حنيفة ومالك والشافعي لا يكفرونه،
- وأحمد له روايتان والمشهور عنه أنه يكفره وهذا هو الراجح والله تبارك وتعالى أعلم.

والأدلة على تكفيره كثيرة:

1- منها قول النبي ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».[67]

قال الذين لا يكفرونه إن المقصود بقوله (فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ) ؛ أي من جحدها فقد كفر،

فقال الذين يكفرونه: من جحد أي شيء من الشريعة يكفر، فلماذا اختص الصلاة بالذكر؟

والجواب أنه ما خصها بالذكر إلا لأن مجرد الترك كفر ولو لم يجحدها. ولذلك عبّر بقوله عليه الصلاة والسلام بكلمة (العهد) ،

ومن المعلوم أن العهد ينتقض بمجرد الترك وليس بالجحود او بالاستحلال.

2- الدليل الثاني على كفر تارك الصلاة قوله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ».[68]

فجعل الصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر.

3- وأيضاً من الأدلة قول عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ»

عبد الله بن شقيق العقيلي تابعي ثقة.

فهذا يبين لك فهم الصحابة للأحاديث التي وردت في تارك الصلاة، وهذا دليل قوي جداً وهذا صحيح عنه، وهو ينقل إجماع الصحابة على أنه كافر أو هو قول جمهور الصحابة على الأقل،

ففي ثبوت الإجماع نظر.

ولهذا قال الإمام أحمد: **(وليس من الأعمال شيء تركه كفر الا الصلاة)** ،

فهذا قول الصحابة كما قال عبد الله بن شقيق العقيلي كما سمعتم الآن.

وهذا فيه إبطال لقول الخوارج الرديء؛ وهو التكفير بالمعصية.

---

[67] أخرجه أحمد: ٢٢٩٣٧، والترمذي: ٢٦٢١ وصححه، والنسائي: ٤٦٣، وابن أبي شيبة في "المصنف": ٣٠٣٩٦ وابن ماجة: ١٠٧٩ وصححه الألباني.

[68] أخرجه مسلم٨٢

فمذهب أهل السنة والجماعة أنه لا شيء من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة، على خلاف بينهم كما سمعتم، لذلك قرر الإمام أحمد أن ترك شيء من الأعمال معصية وليس كفرا إلا الصلاة.

ثم قال: " وقد أحلّ الله قتله "

أي أحلّ الله عز وجل قتل تارك الصلاة متعمدا ولو كان مقرّاً بوجوبها، هذا في مذهب الإمام أحمد.

فإن كان ترَكَها منكِراً لوجوبها؛ فهذا يُقتَل ردة بالإجماع،

وإن كان تركَها تكاسلاً يستتاب، فإن أبى يُقتَل. وأكثر أهل العلم على هذا، لم يخالف فيه من الأئمة الأربعة إلا أبو حنيفة.

فالصحيح أنه يستتاب من قبل ولي الأمر، فإن أبى أن يصلي يقتله ولي الأمر،

هذا من أعمال ولي الأمر لا يحل لأحد غيره أن ينفذ الحدود، حتى لا تشيع الفوضى بين المسلمين، ليس ذلك لكل أحد، حتى لا تقع الفوضى في المسلمين، فإذا أقام الحدود كل أحد فإنه من كان بينه وبين أخيه عداوة يقتله ويقول هذا كان تاركا للصلاة، وهذه فوضى، وهذه طريقة الخوارج الذين يقتلون الناس في الشوارع وفي الطرقات.

هذا الأمر من خصائص ولي الأمر، لا يجوز إقامة الحدود الا من قبل ولي الأمر.

هذا والله تعالى أعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس رقم (10) *التاريخ: الاثنين 22/جمادى الأول/1440 هـ 28/كانون الثاني/2019 م*

عنوان هذا الدرس

(فضل الصحابة، وحقوق ولي الأمر المسلم)

ملخص الدرس العاشر:

اشتمل هذا الدرس على المواضيع الآتية:

- الأصل الثامن عشر: فضل أصحاب رسول الله ﷺ.

وأنهم خير الناس بعد الأنبياء، وأنهم يتفاضلون بيهم.

- الأصل التاسع عشر: حقوق ولي الأمر المسلم، وذكر المؤلف ثمانية حقوق.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد..

فهذا هو الدرس **العاشر** من دروس شرح أصول السنة، ووصلنا الى الأصل الثامن عشر من هذه الرسالة وهو "فضل أصحاب رسول الله ﷺ".

الأصل الثامن عشر

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **"وَخيرهَذِه الْأمة بعد نبيها أَبُو بكر الصّديق ثمَّ عمر بن الْخطاب ثمَّ عُثْمَان بن عَفَّان نقدم هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَة كَمَا قدمهم أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ لم يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِك، ثمَّ بعد هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَة أَصْحَاب الشورى الْخَمْسَة عَليّ بن أبي طَالب وَالزُّبَيْروعبد الرحمن بن عَوْف وَسعد وَطَلْحَة كلهم للخلافة وَكلهمْ إِمَام وَنَذْهَب فِي ذَلِك إِلَى حَدِيث ابْن عمر (كُنَّا نعد وَرَسُول الله ﷺ حَيّ وَأَصْحَابه متوافرون أَبُو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عُثْمَان ثمَّ نسكت ثمَّ من بعد أَصْحَاب الشورى أهل بدر من الْمُهَاجِرين ثمَّ أهل بدر من الْأَنْصَار من أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ على قدر الْهِجْرَة والسابقة أَولا فأولا)، ثمَّ أفضل النَّاس بعد هَؤُلَاءِ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ الَّذِي بعث فيهم كل من صَحبه سنة أَو شهرا أَو يَوْمًا أَو سَاعَة وَرَآهُ فَهُوَ من أَصْحَابه لَهُ الصُّحْبَة على قدر مَا صَحبه وَكَانَت سابقته مَعَه وَسمع مِنْهُ وَنظر إِلَيْهِ نظر فأدناهم صُحْبَة أفضل من الْقرن الَّذِي لم يروه وَلَو لقوا الله بِجَمِيع الْأَعْمَال كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذين صحبوا النَّبِي ﷺ ورأوه وسمعوا مِنْهُ أفضل لصحبتهم من التَّابِعين وَلَو عمِلُوا كل أَعمال الْخَيْر).**.

هذا أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وهو ثابت بأدلة الكتاب والسنة والإجماع.

هذا الأصل هو:

- أن نعرف للصحابة فضلهم،
- وأنهم أفضل الأمة بعد الأنبياء،
- وأنهم أفضل من كل من جاء بعدهم،
- وأنهم يتفاضلون فيما بينهم.

وإنما يتفاضل الناس عند الله عز وجل بحسب التقوى، ونصرة دين الله، والصحابة لا يسبقهم أحد في

هذا، قال تبارك وتعالى فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤]، فشهد الله عز وجل للمهاجرين والأنصار بالإيمان الحق الكامل الصادق، ووعدهم بمغفرة ذنوبهم إن وُجِدت، ووعدهم برزق كريم في جنات النعيم رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أما ترتيبهم في الفضل فكما ذكر المؤلف، فأفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الستة بقية العشرة المبشَّرين بالجنة وهم طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف.

- هؤلاء العشرة المبشَّرون بالجنة هم أفضل الصحابة، وأفضلهم الخلفاء الأربعة على ما ذكرنا من الترتيب.
- ثم بعد ذلك أصحاب بيعة العقبة وأكثرهم بدريّون.
- ثم أهل بدر من المهاجرين.
- ثم أهل بدر من الأنصار.

وبعض أهل العلم يقدم البدريين على أصحاب العقبة.

- ثم أصحاب بيعة الرضوان يوم الحديبية.
- ثم من أسلم من قبل الفتح وهاجر وقاتل.
- ثم من أسلم من بعد الفتح وقاتل.
- ثم صغار الصحابة؛ أي الأطفال. كالذين حنّكهم الرسول ﷺ مثل عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، ومثل محمود بن الربيع، ومثل الحسن والحسين وغيرهم من أطفال الصحابة.
- ثم من صَحِب النبي ﷺ ولقيه ولو مرة واحدة، أو نظر إليه نظرة واحدة فهو صحابي.

قال ابن حجر رحمه الله في تعريف الصحابي: (الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك)..

قوله: (لقيه) يشمل من كان أعمى أو كان صغيرا لا يعقل، فكل هؤلاء من الصحابة رضي الله عنهم.

■ والأدلة على فضل الصحابة وعلوّ منزلتهم كثيرة جدا منها:

● الدليل الأول: قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[التوبة: ١٠٠]

فإن الله تبارك وتعالى رضي عن الصحابة جميعاً ورضي عمّن اتّبع سبيلهم لأنه اتبع سبيلهم، وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا.

● الدليل الثاني على فضل الصحابة وعلوّ منزلتهم، قال تبارك وتعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩]

(وَالَّذِينَ مَعَهُ)؛ أي الصحابة.

قوله تبارك وتعالى: (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ)؛ أي فراخه، فراخ الزرع هي الفروع التي تنبت من أصل الزرع، والمقصود هنا: هم صغار الصحابة، لأن صغار الصحابة آزروا كبار الصحابة ولحقوهم وعاونوهم في نصرة الإسلام، قال: (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ)، الزرع هم كبار الصحابة، وأَخْرَجَ شَطْأَهُ أي صغار الصحابة.

وقوله تعالى: (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)؛ هذا دليل عند أهل العلم على أنه لا يغتاظ من الصحابة ولا يبغضهم إلا كافر زنديق كالرافضة والخوارج والناصبة.

وقوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)؛ وعدهم الله تبارك وتعالى بمغفرة ذنوبهم إن وُجِدت، لأنهم غير معصومين عن الذنب، ووعدهم بالأجر العظيم، فلا يجوز لأحد بعد ذلك أن يحاسبهم وأن يذكر زلاّتهم إن وُجِدت. وأهل البدع تتبعوا عثراتهم بل وكفّروهم وسبّوهم وتنقّصوهم، فهذا أصل فارق بيننا وبينهم.

● الدليل الثالث: في آيات سورة الحشر قال الله تبارك وتعالى في المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]

قوله تعالى: (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)؛ هذا هو الإخلاص، هاجروا لله، ما هاجروا إلا لأنهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا.

وقوله: (وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ؛ أي هاجروا لنصرة الإسلام.

فهذه الآية فيها شهادة من الله لهم بالإخلاص ونصرة الإسلام، وبذلوا في سبيل ذلك أوطانهم وأموالهم.

ثم قال تعالى في الأنصار في الآية التي بعدها من سورة الحشر:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] هذه في الأنصار رضي الله عنهم.

قوله: (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا)؛ أي لا يحسدون المهاجرين في تقدمهم عليهم في الفضل.

وقوله: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)؛ أي يؤثرون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم فاقة وفقر شديد.

فهذه شهادة من الله عز وجل للأنصار بطهارة قلوبهم من الحسد والشحّ والأثرة، وشهد لهم في مواضع أخرى أنهم نصروا الإسلام والمسلمين ولذلك سُمّوا بهذا الاسم: "الأنصار".

ثم قال تبارك وتعالى في التابعين وأتباع التابعين وكل من اتّبع سبيل الصحابة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]

أُمِرنا في هذه الآية أن نستغفر لهم وأن نقول: "رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ"، فمن لم يستغفر لهم فليس أخاً لهم.

وأُمِرْنا أن نحبهم وألاّ نبغضهم وأن نقول: " وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا ".

فمن سبّهم وكفّرهم وتنقّصهم من أهل البدع فليس من إخوانهم ولا يكون من أهل السنة ولا يستحق شيئا من الفيء، لأن الله زكّاهم ورضي عنهم واختارهم لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام، فما وصلَنا هذا الدين إلا عن طريق الصحابة، فمن طعن فيهم فقد طعن في الإسلام، ولذلك قال النبي ﷺ .وهذا هو الدليل الرابع على فضل الصحابة:

قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» [69]

أي: لا يبلغ أجرهم، ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصفه في الأجر.

فقوله عليه الصلاة والسلام: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي)؛ هذا نهي للتحريم، فمن أراد السلامة لدينه فليمسك لسانه عن الخوض في الفتن التي وقعت بينهم، لأنهم رضي الله عنهم ما أرادوا إلا الخير وكانوا مجتهدين، فخطؤهم مغفور مغمور في بحور حسناتهم، والدليل على ذلك أنهم كانوا مبشَّرين بالجنة.

وإذا أردتَ أن تعرف عظم أجور الصحابة، وأن تعرف مدى كثرة حسناتهم فتأمّل هذا الحديث العجيب، هذا مثل عجيب؛ فالصحابي إذا أنفقَ صدقة من طعام ملء كفه، أو ملء كفّيه، فأجره أعظم من أجر من أنفق مثل جبل أُحُد ذهبا، وجبل أُحُد سلسلة جبال ضخمة ممتدة إلى عدد من الأميال، فما بالك بمن بذل ماله ووطنه منهم، كما تقدم في آية التوبة؟!

هذا يدل على أنه لا يمكن لأحد أن يلحق الصحابة في الأجر والفضل، فضلا عن منزلة الصحبة، فإنهم - رضي الله عنهم - سبقوا غيرهم ممن قبلهم وممن بعدهم في نصرة الإسلام، وفي التقوى، وفي العلم، وفي العمل، والزهد، والصبر، والجهاد، والهجرة، والنصرة، وحب الله ورسوله، ومحبة المؤمنين، وحب الآخرة، سبقوا كل من سواهم في ذلك وبذلوا في سبيل ذلك أرواحهم وأموالهم وأوطانهم وفارقوا أهليهم وخلانهم وعادوهم.

ومما ينبئك عن عظيم أجورهم: أن لهم رضي الله عنهم أجور كل من انتفع بالقرآن والسنة بعدهم، لأنهم كانوا سبباً في تبليغه وبيانه، فكل من تعلم أو علّم أو عمل بالقرآن والسنة بعدهم من أهل العلم وطلاّبه وعامّة المسلمين؛ فللصحابة عليه فضل، ولهم مثل أجره، لا يُسبَقون في ذلك، فمن هذا الذي سيلحقهم فضلاً عمّن يسبقهم؟!

---

[69] البخاري ٣٦٧٣ ومسلم ٢٥٤٠

وجهادهم أعظم جهاد، ولولا فضل الله علينا ثم جهادهم لذهب هذا الدين، ولكنا اليوم مشركين أبناء مشركين، فقد جعلهم الله سبباً لفتح القلوب والبلاد لهذا الإسلام العظيم، وجعلهم الله عز وجل سبباً لتمكين هذا الدين في الأرض، فلا نعلم أحداً جاهد مثل جهادهم رضي الله عنهم.

- الدليل الخامس: وإذا علمنا هذا فلا غرابة أن يقول النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم»

ثم ذمّ من يأتي بعد القرون الثلاثة، فقال: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ» [70]

فقوله عليه الصلاة والسلام: (خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي)؛ هذا تفضيل مطلق شامل لكل الصحابة على كل من جاء بعدهم، أدناهم في الصحبة أفضل من أفضل تابعي، فما بالك بمن دون التابعين؟!

ولذلك قال المؤلف رحمه الله: **(فأدناهم صحبة)** أي في المدة الزمنية. (هو أفضل من القوم الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال). أي لو عملوا جميع الأعمال الصالحة - قال **(كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه ومن رآه بعينه ولو آمن به ساعة؛ أفضلَ بصحبته من التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير)**.

هذا هو قدر الصحابة عند أهل السنة والجماعة، وعلى رأسهم الإمام أحمد رحمه الله، لا خلاف في هذا أبدا بينهم.

أجمع أهل السنة والجماعة على أن جميع الصحابة أفضل من كل من جاء بعدهم، لِما تقدم ذكره من الأدلة ولمنزلة الصحبة خاصة، فإن الله اختارهم لصحبة نبيه ﷺ، ولذلك - وهذا

- الدليل السادس -: فقد قال عَبْد اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه - «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ " [71]

- الدليل السابع: فإنه لا يبغض الصحابة إلا منافق عدو للإسلام، ودليل ذلك قوله ﷺ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ». [72]

---

[70] البخاري ٢٦٥٢، ٣٦٥٠ ومسلم ٢٥٣٣
[71] أخرجه أحمد ٣٦٠٠ وغيره.

والمهاجرون أفضل من الأنصار بلا شك، فحبهم من الإيمان وبغضهم من النفاق من باب أولى.
ولذلك فإن الذي يحب الصحابة أحبهم لأنهم نصروا الإسلام، هذه علامة على الإيمان، وإن الذي يبغض الصحابة أبغضهم لأنهم نصروا الإسلام وهذه علامة على نفاقه وبغضه للإسلام فهو عدو للإسلام.

وقول المؤلف: **(وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا في ذلك).**

هذا إجماع من الصحابة على تقديم هؤلاء الثلاثة في الفضل والخلافة، وذكره الإمام أحمد ليردّ على الرافضة الطاعنين في خلافة هؤلاء الثلاثة، الذين يقدمون عليهم عليّ بن أبي طالب، فمن قدّم عليهم علي بن أبي طالب فهو مبتدع ضال، قال ابن تيمية: (هو أضلّ من حمار أهله)؛ أي من قدم عليّاً عليهم في الخلافة.

وأيضاً هذا الإجماع فيه رد على الخوارج الطاعنين في خلافة عثمان وعلي.

ومن الأدلة على صحة هذا الإجماع:

ما ذكره المؤلف، وهو حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

« كنا نعُدّ ورسول اللّه ﷺ حيّ وأصحابه متوافرون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت ».. [73]

وأخرجه البخاري (٣٦٥٥، ٣٦٩٧) بلفظ: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

فهذا الأثر فيه سنة تقريرية من النبي ﷺ على فضل هؤلاء الثلاثة، لقول ابن عمر: (ورسول الله ﷺ حيّ) وقوله في رواية البخاري: (فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ)، فدل على أن النبي عليه الصلاة والسلام علم بذلك وأقرّه.

وفي قوله: (كنا نخيِّر) و (كنا نعُدّ)، وقوله: (وأصحابه متوافرون)؛ هذا دليل على إجماع الصحابة على تقديم هؤلاء الثلاثة.

وقد استقر الإجماع أيضًا على أفضلية الخلفاء الأربعة على من بعدهم، لأنهم هم الخلفاء الراشدون الذين جاؤوا في الحديث: "فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ".

ما الدليل على أن هؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون؟

الدليل هو قوله ﷺ: «الخِلاَفَةُ بَعْدِي ثَلاَثُوْنَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُوْنُ مُلْكاً» [74]

---

[72] متفق عليه: البخاري ١٧، ٣٧٨٤، ومسلم ٧٤

[73] هذا أثر صحيح أخرجه أبو داود: ٤٦٢٧، ٤٦٢٨ والترمذي: ٣٧٠٧ وأحمد في "فضائل الصحابة ": ٥٨، ٤٠١ وابن أبي شيبة في "المصنف": ٣١٩٣٦

فَانْقَضَتْ خِلاَفَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاَثِيْنَ عَاماً، وهي مدة الخلفاء الأربعة:

1- أبو بكر سنتان،
2- وعمر عشر سنين،
3- وعثمان اثنتا عشرة سنة،
4- وعلي أربع سنوات،

فهذه ثلاثون سنة.

وقول المؤلف: **(وأصحاب الشورى)**؛ هم الستة الذين سماهم عمر بن الخطاب يوم طُعِن [75]، وقد رشّحهم عمر للخلافة، وهؤلاء الستة من العشرة المبشَّرين بالجنة، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف،

وقال عمر رضي الله عنه: (كلهم يصلح للخلافة، توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ).

تأمل!

- الله عز وجل بشرهم بالجنة،
- والرسول ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ،
- وعمر بن الخطاب .وما أدراك من عمر .يزكّيهم هذه التزكية،
- ثم يأتي من بعد ذلك من يكفّرهم ويسبّهم ويطعن فيهم .والعياذ بالله من هذا الضلال.

الأصل التاسع عشر

ننتقل الآن الى الأصل التاسع عشر؛ **وهو حقوق وليّ الأمر**.

بيّن المؤلف رحمه الله في هذا الأصل حقوق وليّ الأمر المسلم وخصائصه التي لا يجوز أن ينازَع عليها، وذكر منها ثمانية حقوق:

- الحق الأول: **السمع والطاعة لوليّ الأمر المسلم**.

قال المؤلف رحمه الله: **"والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البرّ والفاجر ومن وَلِيَ الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به ".**

---

74 أخرجه أحمد ٢١٩٢٨ وأبو داود (٤٦٤٦)، و (٤٦٤٧) والترمذي (٢٢٢٦)
75 (أخرجه البخاري ٣٧٠٠)

هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، وهذا واجب على كل مسلم، يجب على كل مسلم أن يسمع ويطيع لوليّ الأمر برّاً كان أو فاجراً ما لم يأمر بمعصية الله، فإن أمَر بمعصية الله فلا يطاع في المعصية ولكن لا يُخرَج عليه.

وخالف في هذا الأصل الخوارج والروافض.

والأدلة على وجوب السمع والطاعة في المعروف كثيرة جداً، وسنذكر عدداً منها لأهمية هذه المسألة، فمن ذلك:

▪ الدليل الأول: قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]

وهذا دليل واضح، فقد أمر الله عز وجل بطاعة وليّ الأمر، وقال: (منكم)؛ أي إن كان مسلماً.

▪ الدليل الثاني: عن عَبْدَ اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ».[76]

قوله « أثرة »؛ أي يمنعون الناس حقهم في المال، ويستأثرون به لأنفسهم، هذه هي الأثَرة.

وقوله «وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»؛ أي عندهم معاص ومنكرات، أخبر النبي ﷺ بهذا، هم ليسوا معصومين.

ماذا نفعل يا رسول الله؟

قال: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ» أمرنا بالصبر والدعاء، ولم يأمرنا بالخروج عليهم.

وأمرنا ان نؤدي لهم حقهم، وأعظم حق هو السمع والطاعة في المعروف، هذا من أعظم الحقوق لوليّ الأمر، ولذلك بدأ الإمام أحمد به.

وذكر الإمام أحمد في هذه الرسالة حقوق ولاة الأمور والتي سنشرحها في هذا الأصل إن شاء الله تعالى.

▪ الدليل الثالث على وجوب السمع والطاعة لوليّ الأمر المسلم:

قوله الله ﷺ: «سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»[77]

[76] متفق عليه، أخرجه البخاري ٧٠٥٢ ومسلم ١٨٤٣

[77] متفق عليه: البخاري ٣٧٩٢ ومسلم ١٨٤٥

هذا الحديث كالذي قبله، ولكن هذا فيه دلالة على أن هذه الدنيا قصيرة وتمضي بسرعة، فيوشك أن نلقى رسول الله على الحوض، ولا يجوز منافسة ولاة الأمر عليها ولو جاروا، ولو استأثروا بالأموال، لأن منافستهم عليها لا تبقي دنيا ولا دينا.

▪ الدليل الرابع: سأل رجلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ- أي الرسول - «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ» [78]
أي سيحاسبه الله تبارك وتعالى وليس أنتم، وأمر بالسمع والطاعة.

▪ الدليل الخامس: قال عبادة بن الصامت: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» [79]
قوله « وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»: هذا فيه تحريم الخروج على الحاكم المسلم مطلقا، ووجوب السمع والطاعة أي في المعروف.

▪ الدليل السادس: عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأشجعيّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ» [80] أي لا تعصوه ولا تخرجوا عليه..
معنى قوله: « وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِم » أي يدعون لكم وتدعون لهم.

وبعد؛ فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين أو في أحدهما، هذه أحاديث صحيحة واضحة وصريحة في تحريم معصية وليّ الأمر المسلم في المعروف وتحريم الخروج عليه ولو ظلم، وليس هذا إقراراً لظلم الظالم، ولكنه من باب دفع المفسدة الكبرى بالمفسدة الصغرى.

---

[78] مسلم ١٨٤٦
[79] متفق عليه: البخاري ٧٠٥٥، ٧٠٥٦ ومسلم ١٧٠٩
[80] أخرجه مسلم ١٨٥٥

المفسدة الصغرى هي الظلم الواقع على عدد من المسلمين، هذه مفسدة بلا شك، ولكنها أقل بكثير من مفاسد الخروج.

والمفسدة الكبرى من الخروج على الحاكم: هي سفك الدماء ونشوب القتال بين المسلمين الذي يضعف دولة المسلمين مما يؤدي إلى تسلُّطِ الأعداء عليهم، فحينئذ لا يبقى دين ولا تبقى دنيا ولا يبقى عرض ولا مال، وقد رأينا مثل هذا بأعيننا في زماننا.

● الحق الثاني من حقوق وليّ الأمر: **وجوب السمع والطاعة لوليّ الأمر ولو تغلَّب بقوة السلاح.**

قال المؤلف رحمه الله: **" ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمّي أمير المؤمنين "..**

بعد أن بيّن المؤلف وجوب السمع والطاعة لوليّ الأمر الذي اجتمع الناس عليه برضاهم؛ بين هنا وجوب السمع والطاعة لوليّ الأمر ولو تغلَّب بالسيف.

وهذا فيه رد على الذين يظنون أن الحاكم لا يكون حاكما شرعيا إلا بالانتخابات، وهذا باطل.

والدليل على هذا؛ حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ» [81]

لأن هذا العبد المقطّع الأيدي والأرجل لا يصلح أن يكون أميراً على المسلمين،

فالأمير يجب أن يكون من قريش، وأن يكون حراً، وأن يكون معافى مما يعيقه عن الحكم،

لكن لو تغلَّب مثل هذا وجبت طاعته، وهذا من باب الحفاظ على اجتماع الكلمة وعدم التفرّق، لحفظ قوة الدولة وشوكتها، فالخروج على الحاكم له مفاسد لا يحصيها إلا الله، أعظمها ذهاب دولة المسلمين وذهاب الدين معها، لأن الأعداء لا يفوتون هذه الفرصة، وسرعان ما يستغلون اختلال الأمن في بلاد المسلمين ويسيطرون عليها.

وانتشار الفوضى يؤدي الى مفاسد كثيرة، يؤدي إلى انتهاك الأعراض وسفك الدماء وهلاك الأموال وتَعطُّل الجُمَع والجماعات وانتشار الجوع والفقر والسلب والنهب .والعياذ بالله .لأن الأشرار تقوى شوكتهم حينئذ ولا تجد من يردعهم.

● الحق الثالث: **الجهاد معه.**

قال المؤلف: **" والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة، البَرّوالفاجر، لا يُترَك "..**

---

[81] أخرجه مسلم ٦٤٨، ١٨٣٧، وأخرجه البخاري٦٩٣ من حديث أنس بن مالك

هذا من عقيدة أهل السنة ومنهجهم في سياسة البلاد، لا يجوز أن يتعطل الجهاد، فإذا عقد وليّ الأمر المسلم راية الجهاد وجبت طاعته سواءٌ كان برّاً أو فاجراً، فلا يقوم الجهاد إلا بوليّ أمر المسلمين، هو الذي يعقد راية الجهاد وهو الذي يحُلّها، هذا من خصائص وليّ الأمر، فلا يجوز لأحدٍ أن يُبطل راية الجهاد بعد أن عقدها وليّ الأمر بحجة أن عنده معاص، كما لا يجوز لأحدٍ أن يعقد راية الجهاد بغير إذن وليّ الأمر، ومن أعلن الجهاد دون ولي الأمر فلا يطاع، والقتال معه قتال جاهلية وليس قتالاً في سبيل الله.

هذه الأمور يجب فيها توحيد الكلمة وتوحيد القرار لولاة الأمور فقط، وعلى هذا مضى السلف الصالح، كانوا يجاهدون وقت الجهاد مع الأمير المسلم برّاً كان أو فاجراً، ومعاصي ولاة الأمور لا تُبطِل وِلايتهم ولا تُسقطها.

- **الحق الرابع: قسمة الفَيء خاص بوليّ الأمر.**

قال المؤلف رحمه الله: **" وقسمة الفَيء "..**

(الفَيء) هو الأموال التي يأخذها المسلمون من الأعداء بغير قتال، أي عن استسلام.

و(الغنائم) هي التي تؤخذ بعد القتال.

وتقسيم هذه الغنائم وهذا الفَيء من خصائص وليّ الأمر، ولا يجوز لأحدٍ سواه أن يُقَسّمه، ومن أخذ شيئاً من الفَيء أو الغنائم ولو كان شيئًا يسيراً بدون إذن وليّ الأمر فهو غلول، والغلول من الكبائر.

كان الرسول ﷺ والخلفاء من بعده هم الذين يُقَسّمون الغنائم والفَيء، وأول من نازع الرسولَ ﷺ في تقسيم الفَيء عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِي؛ جد الخوارج الذي اعترض على الرسول ﷺ في تقسيم الفَيء واتهمه بالجَوْر.

قال أبو سعيد الخدري: "بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ".[82]

فهذا أمر مُحَرّم، تَحرُم منازعة وليّ الأمر في تقسيم الفَيء، وهو يجب عليه أن يُقَسِّمه بالعدل.

- **الحق الخامس : إقامة الحدود.**

قال المؤلف رحمه الله: **" وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ، ليس لأحدٍ أن يطعن عليهم ولا ينازعهم".**

[82] متفق عليه: البخاري ٣١٣٨،٣٦١٠، ٦١٦٣، ٦٩٣٣ ومسلم ١٠٦٤

إقامة الحدود من خصوصيات وليّ الأمر، على هذا كان السلف الصالح، مثل حد القتل العمد، والزنى، والسرقة، وشرب الخمر، والقذف، والردة، وغير ذلك من أحكام التعزير، لا يقوم بذلك إلا وليّ الأمر، فإن قصّر فحسابه على الله، ويُناصح في ذلك من قبل العلماء، وأهل الحلّ والعقد بلطف ولين وتوقير.

ولا يجوز لأحدٍ أن ينازعه في إقامة الحدود؛ أي لا يجوز لأحدٍ دون وليّ الأمر أن يقيم الحدود على الناس، لأن ذلك يؤدي إلى شرور كثيرة، ويزيد الشرّ شرّاً، فلو أقام أحد الناس حد القصاص مثلا، أو حد الردة مثلا، على شخص ما فإن أهل ذلك الشخص سينتقمون منه ويقتلونه، ثم تقوم حرب بين العشيرتين، وهكذا تنتشر الفوضى بين المسلمين، ويختل الأمن، ويصبح كل من أراد أن ينتقم من شخص؛ يقتله؛ بحجة أنه أقام الحد عليه، وهذا فساد عريض وظلم كبير.

كذلك لا يجوز الطعن على وليّ الأمر في تنفيذ الحدود، قال المؤلف: **(ليس لأحدٍ أن يطعن عليهم)**، أي لا يجوز الاعتراض على وليّ الأمر إذا نفّذ حدّاً من حدود الله، ولا يجوز القدح فيه، لأنه مأمور بذلك من الله وسوف يحاسبه الله عز وجل عن رعيته.

- الحق السادس: **دفع الصدقات المفروضة له.**

قال المؤلف: **"ودفع الصدقات إليهم جائزة ونافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه بَرّاً كان أو فاجرا"..**

من المعلوم أن إخراج زكاة الأموال ركن من أركان الإسلام، فإن أخرج ربّ المال زكاة ماله للمستحقين برئَتْ ذمّته، وإذا دفعها لوليّ الأمر برئَتْ ذمّته، وإذا طلبها وليّ الأمر وجبت طاعته، وله أن يقاتل مانعها كما فعل أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وأقرّه على ذلك جميع الصحابة.

- الحق السابع: **صلاة الجمعة والجماعة والعيدين خلفه.**

قال المؤلف رحمه الله: **" وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولّى جائزة تامّة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار، مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء؛ إذ لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برّهم وفاجرهم، فالسنة أن تصلي معهم ركعتين من أعادهما فهو مبتدع، وتدين بأنها تامة ولا يكن في صدرك من ذلك شك".**

الصلاة خلف وليّ الأمر المسلم أو خلف من أنابَه صحيحة بلا شك سواءٌ كان الإمام برّاً أو فاجراً، وتُصلّى الجمعة ركعتين خلف الأئمة ومن أعادهما وصلاهما أربعا فقد ابتدع.

قال رحمه الله **(من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة ليس له من فضل الجمعة شيء).**

قوله **(من أعاد صلاة الجمعة فهو مبتدع)**؛ لأنه لا دليل على ذلك من السنة ولا من أقوال السلف الصالح، وأيضاً لأنه تارك للآثار؛ أي للأحاديث التي تأمر بصلاة الجمعة والجماعة والعيدين والاستسقاء

وغيرها خلف الأئمة.

وقوله **(وليس له من فضل الجمعة شيء)**؛ لأنه ابتدع، والبدعة مردودة لا تُقبَل.

وهذا الأصل فيه رد على الشيعة وفيه تحذير من سبيلهم، لأنهم لا يرون الصلاة صحيحة إلا خلف إمام معصوم من أئمتهم.

والحكمة من تقرير هذا الأصل؛ جمع الكلمة، هذه هي الحكمة، فإن ترك الصلاة خلف ولاة الأمور تؤدي إلى مفاسد كبيرة، قد تؤدي الى القتال وسفك الدماء والنزاع والتفرق،

ولذلك فإن منهج السلف الصالح هو الصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجر،

وقد صلى الصحابة رضي الله عنهم خلف الحجاج الذي كان مسرفاً في سفك الدماء، وكان يؤخر صلاة الجمعة إلى ما بعد العصر، فكانوا يصلّونها في بيوتهم ظهراً ويأتون فيصلّون معه نافلة حتى لا تحدث فتنة.

وصلى الصحابة خلف عقبة بن أبي معيط وكان يشرب الخمر، كل ذلك دفعاً لمفسدة التفرق وسفك الدماء وإضعاف الدولة.

● الحق الثامن: **تحريم الخروج على وليّ الأمر المسلم.**

قال المؤلف رحمه الله: **" ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقَرّوا له بالخلافة بأيّ وجه كان، بالرضا أو بالغلبة، فقد شقّ هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه؛ مات ميتة جاهلية، ولا يحلّ قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحدٍ من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق "..**

هذا الأصل مرتبط بالحق" الأول "الذي تقدم شرحه؛ وهو **(وجوب السمع والطاعة لوليّ الأمر المسلم)**.

فإن من لوازم السمع والطاعة تحريم الخروج عليه، سواء صار أميراً بالرضا أو بالغلبة.

بالرضا: يعني صار أميراً على المسلمين بالبيعة من المسلمين، أو بالعهد له بالإمارة من الذي قبله.

وبالغلبة؛ أي سيطر على الحكم بقوة السلاح، فإذا استقرّ له الأمر وجبت طاعته في المعروف، فمن خرج عليه بعد ذلك فقد شقّ عصا المسلمين، أي فرّق كلمتهم وفرّق جماعتهم، وهذا ذنب عظيم، وخالف الآثار التي تقدم ذكرها وشرحها، قال **(ومات ميتة جاهلية)**.

ما معنى: مات ميتة جاهلية؟

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» [83]

قوله (خرج من السلطان)؛ أي خرج من طاعة السلطان.

قوله (شبرا)؛ أي ولو عصاه بشيء قليل يسير.

قال (مات ميتة جاهلية)؛ أي شابَهَهم، لأنهم لم يكونوا يعرفون طاعة الأمير، كان كل واحد في الجاهلية يمشي في هذه الحياة على رأسه كما يقال، يمشي على هواه، لا يأتمر بأمر أمير ولا بأمر حاكم، هذا هو حال الجاهلية، وبعض الناس اليوم يطالبون أن نكون مثلهم.

قال: **(فلا يحلّ قتال السلطان)**؛ أي المسلم. **(ولا الخروج عليه)**؛ أي بالقول أو بالسلاح، كل ذلك مُحَرّم.

قال: **(فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق)**، لأن هذا سبيل الخوارج الذين ابتدعوا هذه البدعة وهي الخروج على الحاكم وتكفيره بغير دليل، فمرقوا من الدين واستحلّوا الدماء والأعراض وصاروا كلاب أهل النار والعياذ بالله.

فالخروج على الحاكم المسلم كله مفاسد ولا خير فيه أبداً، ولو كان فيه خير لأَمَرَنا الله عز وجل به. وكذلك الخروج على الحاكم الكافر لا يجوز الا بالقدرة، فإذا لم تكن عند المسلمين قدرة فلا يجوز لهم الخروج عليه، لأن المفسدة ستكون وخيمة جداً.

والخروج على السلطان المسلم بدعة منكرة.

هذا والله تعالى أعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

○●○●○●○●○●○●○●

▪○▪○▪○▪○▪○▪○▪

[83] متفق عليه: البخاري ٧٠٥٣ ومسلم ١٨٤

الدرس رقم (11) التاريخ: الاثنين 29/جمادى الأول/1440 هـ 04/شباط (فبراير)/2019 م

عنوان هذا الدرس

(أحكام قتال اللصوص والخوارج، وحكم الشهادة للمعين بجنة أو نار)

ملخص الدرس الحادي عشر:

اشتمل هذا الدرس على الأصلين العشرين والواحد والعشرين:

- الأصل العشرون:

أنه يجوز لأحد المسلمين قتال اللصوص والخوارج؛ إذا اعترضوه في نفسه وماله وأهله ودينه. وذلك جائز لولي الأمر من باب أولى.

- الأصل الواحد والعشرون:

أننا لا نشهد لمسلم بعينه بجنة ولا بنار؛ إلا بدليل من الكتاب والسنة.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الدرس الحادي عشر من شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد.
فهذا هو **الدرس الحادي عشر** من دروس شرح أصول السنة، وهذا هو الأصل العشرون؛ وهو: أن قتال اللصوص والخوارج مشروع.

قال المؤلف رحمه الله: **" وقتال اللُّصُوص والخوارج جَائِز إِذا عرضوا للرجل فِي نَفسه وَمَاله، فَلهُ أَن يُقَاتل عَن نَفسه وَمَاله وَيدْفع عَنْهَا بِكُل مَا يقدر وَلَيْسَ لَهُ إِذا فارقوه أَو تَرَكُوهُ أَن يطلبهم وَلَا يتبع آثَارهم لَيْسَ لأحد إِلَّا الإِمَام أَو وُلَاة الْمُسلمين إِنَّمَا لَهُ أَن يدْفع عَن نَفسه فِي مقَامه ذَلِك بجهْدِهِ أَن لَا يقتل أحدا فَإِن مَاتَ على يَدَيْهِ فِي دَفعه عَن نَفسه فِي المعركة فأبعد الله الْمَقْتُول وَإِن قتل هَذَا فِي تِلْكَ الْحَال وَهُوَ يدْفع عَن نَفسه وَمَاله رَجَوْت لَهُ الشَّهَادَة كَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيث وَجَمِيع الْآثَار فِي هَذَا إِنَّمَا أَمر بقتاله وَلم يُؤمر بقتْله وَلَا اتِّبَاعه وَلَا يُجِيز عَلَيْهِ إِن صرع أَو كَانَ جريحا وَإِن أَخذه أَسِيرًا فَلَيْسَ لَهُ أَن يقْتله وَلَا يُقيم عَلَيْهِ الْحَد وَلَكِن يرفع أمره إِلَى من ولاه الله فَحكم فِيهِ "..**

المفردات التي ذكرها المؤلف رحمه الله:

- قوله: "**وقتال اللصوص والخوارج جائز**": أي مشروع.
- قوله: " **اذا عرضوا للرجل في نفسه**"، أي اعترضوا طريقه واعتدوا عليه.
- قوله: " **فله أن يقاتل عن نفسه وماله** "، أي هذا جائز لأفراد المسلمين وليس خاصا بوليّ الأمر.
- قوله: " **فإن أتى عليه**"، أي إن قضى عليه وقتله.
- قوله: " **فأبعَد اللهُ المقتول**"، أي لا ردّه الله، ولا شيء على من قتله.
- قوله: " **لا يُجيز عليه**"، أي لا يُجهِز عليه، هما بمعنى واحد، والمعنى: أي لا يقضي عليه.
- قوله: "**إن صُرِع** " أي إن سقط على الأرض.

الشرح: هذا الأصل يبيّن لنا كيف نتعامل مع البغاة واللصوص والخوارج إذا اعتدوا على المال أو النفس أو العرض أو الدين، وتسمى هذه المسألة عند العلماء: (أحكام دفع الصائل)، أي الذي يصول على الحرمات، أي يستعلي عليها ويسطو عليها.
وكلنا يعلم أن الأصل تحريم قتل المسلم، ولكن جاءت في الشريعة استثناءات عديدة أباح الله فيها قتله،

ومنها حالة الدفاع عن النفس والمال والعرض والدين؛

- فقد شرع الله تبارك وتعالى الجهاد لحفظ الدين ونشره،
- وشرع الله القصاص والحدود لحفظ الدماء والأعراض والأموال،
- وأيضا شرع قتال المسلم لحفظ هذه الحرمات المذكورة.

وقتال المسلم في هذه الحالة قتال ضرورة، أي لا يباح مطلقا؛ وإنما تقدَّر الضرورة بقدرها، كما سنبين إن شاء الله تعالى.

والمرجع في هذا الأصل حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .عند مسلم، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ» [84].

وجاء في حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه -أحد المبشَّرين بالجنة - قال: قال الرسول ﷺ: "من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد". [85]

ودل حديث أبي هريرة على وجوب التدرج في ردع الصائل، أي؛ الواجب دفع شر الصائل بالأقل شرّاً، وأن تنوي دفع شره ولا تنوي قتله إلا اضطراراً، لأنه مسلم معصوم الدم في الأصل، فبيّن رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة هذا كيف يكون التدرج في دفع شر البغاة واللصوص والخوارج إذا اعترضوا سبيلك، وذلك على النحو الآتي:

- أولاً: قال (لا تعطه مالك):

أي أن تردعه بالكلام أو تستعين عليه بمن حولك من الناس.

- ثانياً: قال (فقاتِله): ولم يقل (اقتله)، أي إن قاتلك فقاتله.

والمقاتلة معناها: المضاربة بالأيدي أو بعصا وما شابه.

- ثالثاً: إن أراد قتلك فاقتله، فإن قتلك فأنت شهيد، وإن قتلته فهو في النار، وليس عليك شيء ولا تهتم لذلك.

هذا التدرج يحتاج منك إلى تصويب النية، أي لا يجوز أن تنوي قتله ابتداءاً، لكن تنوي قتله بعد أن ترى أنه يريد قتلك، فتنوي قتله اضطراراً.

هذا هو الضابط في مقاتلة المسلم.

---

[84] مسلم ١٤٠

[85] أخرجه أحمد ١٦٥٢ وأبو داود ٤٧٧٢ والترمذي ١٤٢١والنسائي ٤٠٩٠٥ وابن ماجة ٢٥٨٠.

لأن النبي ﷺ قال: (قاتِلْه) ولم يقل(اقتله)، فأباح قتاله أولاً، ثم أباح قتله اضطراراً، أي إذا لم يندفع شره إلا بالقتل.

وبناءً على فقه حديث أبي هريرة هذا، وبناءً على ما ذكره المؤلف أيضاً نختصر الموضوع ونخرج بالمسائل الآتية وهي ست مسائل:

- المسألة الأولى: أن القتال عن النفس والمال والعرض مشروع، وقال العلماء إن الدفاع عن العرض والحريم واجب. هذا مشروع في ديننا.
- المسألة الثانية: فإذا هرب فلا يجوز لك أن تطارده، لأن الغاية دفع شره وليس قتله.
- المسألة الثالثة: وإذا سقط جريحاً فليس لك أن تقضي عليه وتجهز عليه، لا يحل لك ذلك.
- المسألة الرابعة: وإذا أسَرْتَه وقيّدتَه فليس لك أن تقيم عليه الحد،

لأن إقامة الحدود خاصّ بولي الأمر فقط كما تقدم في الدرس السابق، ولك أن تسَلّمه لوليّ الأمر، ووليّ الأمر هو الذي يقيم عليه الحد المناسب له، فإن قصّر في ذلك فإنما عليه ما حُمِّل والله يحاسبه.

- المسألة الخامسة: يجوز لوليّ الأمر أن يطارد اللصوص وقطاع الطرق والخوارج، وله أن يقتلهم وله أن يقيم عليهم الحدود المناسبة، فإن صلاحيات وليّ الأمر أوسع بلا شك.
- المسألة السادسة .وهذه خاصة بالخوارج:

الخوارج يجوز لوليّ الأمر أن يقتلهم سواءً كانوا أفراداً متفرقين ليس لهم قوة، أو كانوا جماعة منحازة في ناحية ولهم قوة، له أن يقتلهم وأن يبدأهم بالقتال، وله أن يبيدهم وأن يُجهز على جريحهم وأن يطارد هاربهم حتى لا يبقي منهم أحدا.

هذه المسألة فيها خلاف بين العلماء، وهذا هو الراجح والله تعالى أعلم.

ودليله قول النبي ﷺ في الخوارج: « لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ » وقال: « لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُود »[86]

والمقصود من هذا: أستأصِلُهم بالكليّة ولا أُبقي أحداً منهم، لأن الله قال في عاد وثمود: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة: 8] وعاد وثمود أفناهم الله عز وجل، فهل تعلم أحداً يقول أنا من قبيلة عاد أو من قبيلة ثمود؟! أفناهم الله عز وجل، وهكذا يجب أن يفني وليّ الأمر الخوارج.

[86] متفق عليه من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: البخاري ٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٧٤٣٢ ومسلم ١٠٦٤.

وهذا القول هو القول الصحيح في حكم الخوارج -والله أعلم- للدليل الذي ذكرناه، فلا يعامَلون من قِبَل وليّ الأمر معاملة البُغاة، ولا معاملة الكفار، لأنهم ورد فيهم حكم خاص بهم كما سمعتم، ولأن شر الخوارج ليس له علاج إلا القتل.

أما معاملة الخوارج من قِبَل أفراد المسلمين فيعامَلون معاملة اللصوص والبُغاة إذا تعرضوا له، كما تقدم بيانه.

ونستفيد من هذا الأصل -الأصل العشرين- فائدتين:

- الفائدة الأولى: أن هذا الأصل فيه رد على من يريد إبطال الجهاد وتعطيل الحدود، وعلى من يزعمون أن الإسلام دين سلام مطلقا، وأنه ليس فيه شدة وليس فيه قتل ولا عنف، فهذا القول بدعة منكرة، وهذا الأصل يرد على هذه البدعة.

لأن **الإسلام في اللغة: هو "الاستسلام"**؛ وليس السلام.

وفي الشرع أيضاً؛ هو" **الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراء من الشرك وأهله**". هذه هي ملة الإسلام عند جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم. فليس معناه السلام فقط؛

نعم؛ الإسلام يدعو إلى السلام والرحمة والعدل والصلة، ولكن الإسلام فيه شدة وغلظة على الكفار والمنافقين والخوارج والبُغاة والمجرمين، الذين يتعدون حدود الله ويعتدون على حرمات الناس، فالإسلام فيه جهاد وقصاص وقتل وقطع ورجم وغير ذلك، فلابد من معاقبة المسيء وردعه، لإيقاف شره عن الدين وعن المسلمين خاصة؛ وعن الناس عامة، وبهذا يتحقق السلام الحقيقي وتستقيم الحياة.

فالشدة وسيلة لابد منها لتحقيق السلام الحقيقي في الدنيا والآخرة، الشدة وسيلة لا يجوز إلغاؤها، ولذلك قتل رسولُ الله ﷺ البغاةَ الذين قتلوا الرعاة في المدينة وسرقوا الإبل وارتدّوا ولاذوا بالفرار، فبعث الرسول ﷺ في آثارهم فجيء بهم، فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بسمل عيونهم (أي أن تُفقَأ) وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وتركهم تحت الشمس يستسقون فلا يُسقَون حتى ماتوا. [87]

هذا هو **حد الحرابة**، حد الذين يحاربون الله ورسوله، ويعتدون على الحرمات، وهذا من العدل، وهم الذين ظلموا أنفسهم وما ظلمهم أحد أبدا.

فالذين يفسرون الإسلام بأنه السلام فقط؛ تفسيرهم خاطئ، لأن مرادهم إبطال حد القصاص وغيره من الحدود، وتعطيل الجهاد، فهذا الأصل فيه رد عليهم وفيه إبطال لهذه البدعة.

---

[87] (انظر البخاري: ٢٣٣، ١٥٠١، ٤١٩٢، ٥٦٨٥، ومسلم: ١٦٧١).

- الفائدة الثانية: أن قتال اللصوص والخوارج إذا تعرّضوا للمسلمين ليس مختصاً بوليّ الأمر، بل يجوز ذلك له ولغيره ممن اعتُدِي عليه، يجوز له أن يقاتلهم ويجوز أن يقتلهم عند الاضطرار بالضوابط التي بيّنّاها.

الأصل الواحد والعشرون

وهو: الشهادة للمُعيّن بالجنة أو النار.

قال المؤلف رحمه الله: " ولا نشهد على أحد من أهل الْقبْلَة بِعَمَل يعمله بجنة وَلَا نَار نرجو للصالح ونخاف عَلَيْهِ ونخاف على الْمُسِيء المذنب وَنَرْجُو لَهُ رَحْمَة الله"

هذا الأصل مختص بأهل القبلة، أي بالمسلمين، أما المشركون فلهم بحث آخر.

ولفهم هذا الأصل لابد من التفريق بين الحكم العام والحكم على المُعيّن، وهذه قاعدة مهمة ومفيدة جداً.

الحكم العام: هو حكم على الفعل.

والحكم على المعُيّن: هو حكم على الفاعل.

والفرق كبير بين الحالتين.

- الحكم العام؛ كقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ [الإنفطار: 13]

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الإنفطار: 14].

هذه أحكام عامة ليست مختصة بإنسان معين.

- أما الحكم الخاص فهو حكم على الفاعل بعينه، كأن تقوى "فلان في الجنة " أو "فلان في النار ".

فلا يجوز أن نحكم لمسلم بعينه أنه في الجنة ولو كان من الأبرار؛ إلا إذا ورَد فيه نص في ذلك، كما ولا يجوز أن نحكم على مسلم بعينه أنه في النار ولو كان من الفُجّار؛ إلا من ورَد فيه نص بعينه.

فنقول مثلا: أبو بكر في الجنة، هذا حكم على المعُيّن، لأنه ورد فيه نص أنه في الجنة وعيّنه باسمه.

ونقول: أبو لهب في النار، هذا حكم على المعُيّن، لأنه ورد فيه نص أنه في النار وعيّنه باسمه.

إذن، لا نشهد لأحد من المسلمين أنه في الجنة إلا بنص، ولا نشهد لأحد من المسلمين أنه في النار إلا بنص.

فنشهد أن العشرة المبشرين بالجنة في الجنة، وأن أهل بدر في الجنة، وأن أهل بيعة الرضوان في الجنة، وأن الحسن والحسين وبلالاً وعكاشة بن محصن في الجنة. وهكذا. لأن هؤلاء شهد لهم رسول الله ﷺ أنهم

في الجنة.

ومن الأدلة على هذا الأصل:

- الدليل الأول: حديث صاحب الشملة. وصاحب الشملة هو عبد مملوك لرسول الله ﷺ، وذلك يوم خيبر.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: " فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَ، قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ، فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشِّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ»[88]

يعني؛ أخذها قبل أن تُقسّم الغنائم. فعلِمنا أنه في العذاب بخبر رسول الله ﷺ.

وأفاد الحديث أيضا أنه لا يجوز الجزم لإنسان بعينه أنه شهيد وأنه في الجنة ولو قُتِل وهو يجاهد.

وبذلك تعلم خطأ من يجزم ويقول؛ "فلانٌ شهيد".. وما أدراك أنه شهيد؟! لك أن تقول؛ نرجو له الشهادة، نرجو أن يحصل مقام الشهداء، ولكن لا تجزم أنه شهيد.

وأيضاً نعلم خطأ من يقول فلان في النار. أي من المسلمين. موضوع هذا الأصل في المسلمين، لا يجوز أن تقول فلان في النار. من المسلمين. أو تقول فلان لا يغفر الله له، هذا مُحَرّم، بل هو من كبائر الذنوب ويخشى على قائله أن يحبَط عمله، ودليله:

- الدليل الثاني: عَنْ جُنْدَبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَدَّثَ " أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ "[89]

(يَتَأَلَّى: يُقسم) فقوله: (يتألّى عليّ)؛ أي يُقسِم عليّ، يُقسِم على الله أنه لن يغفر لفلان، وهذه شهادة له بالنار، هذا لا يجوز، هذا تعدّى حدّه.

دخول الجنة ودخول النار بيد بالله عز وجل، لا يقدر على ذلك إلا الله تبارك وتعالى، فلا نجزم له بالنار لأنه تحت المشيئة؛ ولو كان عاصياً ولو كان فاسقاً، إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له، هذه عقيدتنا، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

- الدليل الثالث: حديث أم العلاء. وهي امرأة من الأنصار. رضي الله عنها لما توفي عبد الله بن مظعون رضي الله عنه قالت: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، قَال[رسول الله

---

[88] البخاري ٤٢٣٤، ٦٧٠٧ ومسلم ١١٥

[89] مسلم ٢٦٢١.

ﷺ]: «وَمَا يُدْرِيكِ» قُلْتُ: لاَ أَدْرِي وَاللَّهِ، قَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي – وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ – مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ» قَالَتْ أُمُّ العَلاَءِ: فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ.[90]

فنهاها رسول الله أن تشهد له بالجنة، فقالت: فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَه.

هذا هو موقف المسلم في هذه المسائل؛ ألاّ نجزم لأحد بجنة ولا نار إلاّ ما جاء فيه نص، لأن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله، وهذا من خصائص ربوبية الله عز وجل، إدخال الجنة وإدخال النار هذا من خصائص ربوبية الله تعالى.

فالخلاصة: أن عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة؛ هي أننا لا نشهد على مسلم بعينه بجنة ولا نار إلاّ بنصّ من الكتاب والسنة، ولا نشهد له بالشهادة. أي لا نقول هو شهيد. إلاّ بنصّ من الكتاب والسنة، كما أخبر ﷺ أن عمر شهيد، وأن عثمان شهيد. وهكذا،

أما من لم يرد فيه نص فنرجو للمسلم الصالح أن يكون من أهل الجنة، وفي نفس الوقت نخاف عليه من ذنوبه، لأنه لا يخلو من الذنوب، ولا نجزم بشيء، وأيضاً نخاف على العاصي أن يكون من أهل النار، ونرجو له رحمة الله ولا نجزم له بشيء، كما قرر الإمام أحمد في هذا الأصل المهم

هذا والله تعالى أعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

○●○●○●○●○●○●○●

[90] البخاري ٧٠١٨

الدرس رقم (12) التاريخ: الاثنين 06/جمادى الثاني/1440 هـ 11/شباط (فبراير)/2019 م

عنوان هذا الدرس

(أحكام أصحاب الكبائر، ورجم الزاني المحصن، وتبديع من انتقص صحابيا واحدا)

ملخص الدرس الثاني عشر:

اشتمل هذا الدرس على:

- الأصل ال (٢٢) وهو:

-عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب الكبائر وهم: -التائب، والمحدود، والمصر، والكافر.

- الأصل ال (٢٣) وهو: -

الرجم حق على من زنى وقد أحصن: وفيه رد شبهات من أنكره.

- الأصل ال (٢٤) وهو: -

من انتقص واحدا من الصحابة أو أبغضه فهو مبتدع

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد..

فهذا هو الدرس الثاني عشر من دروس شرح أصول السنة، ونبدأ درسنا اليوم إن شاء الله تعالى بـ:

الأصل الثاني والعشرين:

بيّن المؤلف في هذا الأصل عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب الكبائر وقسّمهم إلى أربعة أصناف:

- ◊ الصنف الأول: من لقي الله تائباً.
- ◊ الصنف الثاني: من لقي الله وقد أُقيم عليه الحد في الدنيا.
- ◊ الصنف الثالث: من لقي الله مصرّاً.
- ◊ الصنف الرابع: من لقي الله كافراً.

هذه أربعة أصناف: التائب والمحدود والمصرّ والكافر، والأصناف الثلاثة الأولى من الموحدين، والرابع المشرك.

■ الصنف الأول: من لقي الله تائباً. قال المؤلف رحمه الله:

"ومن لَقِي الله بذنب يجب لَهُ به النَّار تَائِبًا غير مصر عَلَيْهِ فَإِن الله يَتُوب عَلَيْهِ و ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] "

قوله ـ رحمه الله ـ (بذنب يجب لَهُ به النَّار): أي بكبيرة من الكبائر.

والكبيرة: هي "**كل ذنب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة**"، هذا هو تعريف الكبيرة.

فالذنوب التي عليها حد في الدنيا تُعَدّ من الكبائر، مثل القتل والزنى والخمر والقذف.. وغير ذلك.

والذنوب التي عليها وعيد بالعذاب في الآخرة تُعَدّ من الكبائر أيضاً، مثل أكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وما ورد فيه لعن أو غضب، أو نفى عنه الإيمان، أو توعّدَه بالنار، وهكذا كل ما فيه وعيد فهو من الكبائر، وما ليس عليه حد أو وعيد يُعَدّ من الصغائر التي تكفّرها الصلاة والصيام والصدقة

والوضوء، والجمعة إلى الجمعة، والعمرة إلى العمرة. . وغير ذلك، هذه كفارات للصغائر، **أما الكبيرة فلابد لها من توبة**.

إذن فالكبيرة ذنب يستوجب النار، هذا هو الأصل، ولكن إن تاب منها قبل الموت فما حاله عند الله؟!
بيّن لنا المؤلف -رحمه الله- في هذا الأصل أن الله وعده بقبول توبته، فإن عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب الكبائر أن الله يقبل التوبة الصادقة منهم قبل موتهم، لأن الله وعَد أن يقبل توبة التائبين في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، منها: -

- ما ذكره المؤلف وهو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥]
- ومنها قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]. **هذه أرجى آية في كتاب الله كما قال أهل العلم**.

فقوله تعالى (أَسْرَفُوا): أي أفرطوا في المعاصي من حيثُ عظمِها وكثرتِها؛ كأن يقع في عقوق الوالدين والقتل والسرقة والزنا؛ حتى الكفر يغفره الله تبارك وتعالى إذا تاب العبد منه توبة نصوحاً قبل موته.
وقوله (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا): أي مهما عظمت الذنوب ومهما كثرت، هذا وعد من الله تبارك وتعالى والله لا يخلف الميعاد، لأن الله يحب التوّابين ويفرح بتوبتهم ويبدل سيئاتهم إلى حسنات، وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن الله يقبل توبة التائبين.
فإنه سبحانه وعد بأن يقبل التوبة عن الذنوب جميعا مهما كثُرت ومهما عظُمت ومهما تكررت التوبة، فلا يوجد عدد محدود للتوبة، فلا يقال لا تقبل التوبة بعد عشر مرات أو عشرين مرة أو مائة مرة! لا يقال هذا، بل باب التوبة مفتوح، وهذا من عظيم عفو الله ورحمته بعباده.
والله وعد التائب بقبول توبته وما وعد المُصِرَّ بذلك، بل توعّده على الكبيرة بالعذاب، وهو تحت المشيئة كما سيأتي.
ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تبارك وتعالى يقبل التوبة النصوح التي توفرت شروطها وانتفت موانعها، أجمعوا على ذلك.

- وشروط التوبة النصوح خمسة:
- الشرط الأول: **الإخلاص**؛ أي أن يتوب لوجه الله، أي خوفاً من عذابه وطمعاً في رحمته. أما من كفّ عن المعصية خوفاً من الناس أو طمعاً فيما عند الناس فهذا غير مخلص.

● الشرط الثاني: **ترك الذنب**؛ فمن زعم أنه تائب ولم يترك ذنبه فهو كاذب في توبته.
● الشرط الثالث: **العزم على ألاّ يعود للذنب**، فمن ترك الذنب مؤقتاً وهو ينوي الرجوع اليه فهو كاذب.
● الشرط الرابع: **الندم على الذنب**، وهذا دليل اعترافه بذنبه ودليل عزمه على ألاّ يعود، أما من لم يندم على ذنبه فيوشك أن يعود إليه.
● الشرط الخامس: **التخلص من الحقوق**، فيجب إرجاع الحقوق لأصحابها.
هذه خمسة شروط.

● والموانع ثلاثة، باب التوبة مفتوح إلا في ثلاث حالات: -

• المانع الأول: **حتى يغرغر**، قال ﷺ: "إن الله يَقْبَل توبةَ العبد ما لم يغرْغِرْ"[91]،
لأن التوبة بعد الموت لا تُقبَل، والغرغرة أول الموت، خرجت روحه من جسده وحشرج بها، ووصلت إلى الحلقوم وصار يغرغر بها، فإن تاب الآن فلا تنفعه توبته.
• المانع الثاني: **حتى تطلع الشمس من مغربها**، فطلوع الشمس من المغرب مانع من موانع التوبة، قال ﷺ: ". . . ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها "[92].
• المانع الثالث: **عند معاينة العذاب العام الماحق**، لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥]
قوله تعالى: (لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا): أي عند معاينة العذاب العام الماحق الذي معه الموت والهلاك، ولهذا لم تُقبَل توبة فرعون، لأنه تاب عندما رأى بأس الله عز وجل.
إذا توفرت هذه الشروط، وانتفت هذه الموانع، فهذه توبة نصوح، أي: "الخالصة من كل غش"، هذا هو معنى التوبة النصوح.

■ الصنف الثاني من العصاة: من لقي الله وقد أُقيم عليه الحد في الدنيا.
قال المؤلف رحمه الله: **" ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته، كما جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ "**.
كلامه هنا في الذي لم يتب من الذنب. أما من أُقيم عليه الحد وتاب منه فقد أجمعوا على أن الحد كفّارة له، ولكن وقع الخلاف في الذي أُقيم عليه الحد ولم يتب من ذنبه حتى مات. والراجح أن الحد كفّارة له ولو

[91] (أخرجه أحمد ٦١٦٠، ٦٤٠٨، والترمذي ٣٥٣٧، وابن ماجة ٤٢٥٣، وابن حبان ٦٢٨)
[92] (أخرجه أحمد ١٦٩٠٦، وأبو داود ٢٤٧٩)

لم يتب، بهذا قال أكثر العلماء، وبه قال المؤلف، والدليل أن النبي ﷺ قال عن الذنوب التي فيها حد من الحدود:

"... ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، ..." وهو في الصحيحين [93]

هذا هو الخبر الذي أشار إليه المؤلف، وهو حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

دل هذا الحديث أن الحد يطهره ولو لم ينو التوبة منه، والله تعالى أعلم.

■ الصنف الثالث: من لقي الله مُصراً على كبيرة من الكبائر.

هذا الصنف تحت المشيئة بإجماع أهل السنة والجماعة خلافاً للوعيدية من الخوارج والمعتزلة الذين قالوا: يُخَلَّد بالكبيرة في النار. وقولهم بدعة مخالف للسنة وإجماع أهل السنة.

قال المؤلف في ذلك: **"ومن لقيه مصرا غير تائب من الذُّنُوب الَّتِي اسْتوْجبَ بهَا الْعقُوبَة: فَأمره إِلَى الله إن شَاءَ عذبه وَإِن شَاءَ غفر لَهُ"**

هذا الصنف يشمل من مات مُصرّاً على كبيرة، سواءٌ كان عليها حدّ ولم ينفَّذ فيه الحد، أو لم يكن عليها حدّ وعليها وعيد في الآخرة، فهؤلاء جميعا أمرهم إلى الله وهم تحت مشيئته سبحانه وتعالى، قد يعذبهم بعدله وقد يعفو عنهم بفضله، أجمع أهل السنة والجماعة على هذا. والدليل على هذا تتمة حديث عبادة المتقدم؛ قال ﷺ: «... ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ». [94]

ودلّ القرآن على هذا أيضًا؛ فقال تعالى: ﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء ٤٨، ١١٦]. أي: ما دون الشرك فهو تحت المشيئة.

وينبغي التنبيه إلى أن من أصاب حدّاً فستره الله عليه؛ يُستحَب له أن يستر على نفسه وأن يتوب؛ أي يستحب له ألا يخبر وليَّ الأمر، وإذا أخبره فأقام عليه الحد فلا يأثم، لكن الأفضل له ألاّ يفضح نفسه، لأن التوبة وحدها كافية كما تقدم.

■ الصنف الرابع: من لقي الله كافرا.

قال المؤلف رحمه الله: **"ومن لقيه كافراً عذبه ولم يغفر له".**

---

[93] أخرجه البخاري ١٨، ٣٨٩٢، ٦٧٨٤ ومسلم ١٧٠٩

[94] البخاري ٦٧٨٤ ومسلم ١٧٠٩

من مات كافراً ليس له مغفرة بإجماع علماء الأمة، يدخل النار -والعياذ بالله- ولا يخرج منها وتُحَرَّم عليه الجنة، لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ [النساء ٤٨، ١١٦]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]

وأَمَرَ النبي ﷺ بِلَالًا فَنَادَى فِي النَّاسِ: «أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ". [95]

فهؤلاء أربعة أصناف من العصاة ذكرهم الإمام أحمد رحمه الله، وخلاصتهم:

- الصنف الأول؛ أن يتوب توبة نصوحا، فهذا يتوب الله عليه بإجماع أهل العلم، والتوبة النصوح هي "الخالية من الغش"، وهي التي توفرت شروطها وانتفت موانعها.
- الصنف الثاني: أن يقام عليه الحد؛ هذا يُمحى ذنبه سواءً تاب أو لم يتب على الراجح.
- الصنف الثالث: ألا يتوب من الذنب ولا يقام عليه الحد، فهذا تحت المشيئة بإجماع أهل السنة خلافاً للخوارج والمعتزلة.
- الصنف الرابع: الكافر، يُخَلَّد في جهنم بالإجماع.

وهاهنا مسألة:

فقد يتوهم البعض أن هناك تعارضاً بين آيتين؛ آية (الزمر٥٣)، وآيات (النساء: ٤٨، ١١٦).

فكيف نوفق بين آية (الزمر ٥٣) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا . . ﴾ أي يغفر الشرك الأكبر وغيره وقوله في آيات (النساء: ٤٨، ١١٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾

أي الشرك الأكبر لا يغفره الله.

فما الجواب؟!

الجواب:

أن آية الزمر في التوبة قبل الموت، وأن آيات النساء فيما بعد الموت.

فيكون الحكم: أن الله يغفر الذنوب جميعا بما فيها الشرك الأكبر إذا تاب منه قبل الموت، أما بعد الموت فلا يُغفَر الشرك الأكبر، ويغفر الله ما دونه لمن يشاء.

[95] (متفق عليه، البخاري: ٣٠٦٢، ومسلم: ١٠٥).

ننتقل الآن إلى:

الأصل الثالث والعشرين: -

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **"والرجم حق على من زنى وَقد أحصن؛ إذا اعْترف أَوقَامَت عَلَيْهِ البينة، وَقد رجم رَسُول الله ﷺ، وَقد رجمت الْأَئِمَّة الراشدون"**.

خالف في الرجم قديماً بعض الخوارج وبعض المعتزلة وأنكروه، وينكره اليوم بعض العلمانيين المنتسبين إلى القبلة بحجج واهية، منها:

.قالوا: (إن الإسلام دين سلام)؛ وهذه كلمة حق أريد بها باطل، وسبق الكلام عنها في الدرس الحادي عشر.

.وقالوا: (إن الرجم ليس في القرآن)؛ وكذبوا، فقد نزلت آية الرجم في القرآن ثم نسخ الله لفظها وأبقى حكمها، فعمل بها الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده بلا خلاف بينهم، وأجمع أهل السنة على ذلك، وهذا دليل على أن الرجم محكم غير منسوخ؛ كما يزعم العلمانيون، وإنما نسخ الله لفظها لحكم متعددة، ومن هذه الحكم: الابتلاء؛ أي حتى يختبر الله عباده ويميز بين المؤمن الصادق وبين المتشكك المنافق، فأما الصادقون فقد آمَنوا بالرجم ولم يرتابوا، وأما المنافقون فأنكروه وشككوا فيه، وسلفهم في ذلك اليهود، فاليهود هم أول من أنكر الرجم والقصاص وحرّفوا التوراة لأجل ذلك وهوَّنوا من جرائم الزنى والقتل، والحق أن الرجم ثابت في التوراة والإنجيل والقرآن.

وآية الرجم المنسوخ لفظها هي: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم)[96]

قوله (الشيخ والشيخة)؛ أي الثيّب والثيّبة، أي المحصن والمحصنة بالزواج.

كانت هذه آية في سورة الأحزاب وبقي العمل بها، فعمل بها النبي ﷺ وعمل بها الصحابة، وقد أجمع الصحابة على حكم الرجم، وأجمع عليه أهل السنة والجماعة بلا خلاف بينهم، ولم يخالف فيه إلا أهل البدع، فإنكاره بدعة، لذلك جعله المؤلف من عقيدة أهل السنة والجماعة مع أنه في الأصل حكم فقهي.

وقد توقع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقول المنافقون بعده بهذا القول وينكروا الرجم ويعترضوا على الشريعة اتّباعا لليهود الذين أنكروه من قبلهم، فقال عمر رضي الله عنه وهو على المنبر:

---

[96] انظر مسند أحمد: ٢١٢٠٧، ٢١٥٩٦، والموطأ: ٣٠٤٤، ١٧٦٦ ومصنف عبدالرزاق: ٥٩٩٠، ١٣٣٦٣، ومصنف ابن أبي شيبة: ٢٨٧٧٦، وسنن الدارمي: ٢٣٦٨، والصحيحة للألباني ٢٩١٣.

" إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةُ الرَّجْمِ، قَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا، فَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، وَإِنَّ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الْحَبَلُ، أَوِ الِاعْتِرَافُ ". [97]

فبيّن رضي الله عنه أمورا:

- بين أن الرجم مما أُنزل في القرآن، فقال (فكان مما أُنزِل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها) وهي الآية التي تقدم ذكرها آنفاً.
- وبيّن رضي الله عنه أن الرجم حكم ثابت غير منسوخ، فقال (فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده) أي لو كان الحكم منسوخاً لما رجم الخلفاء بعده.
- ثم حذّر رضي الله عنه من المنافقين الذين يقولون: (ما نجد الرجم في كتاب الله)، وصدقت فراسة عمر، فكان كما توقع رضي الله عنه، فقد قال بذلك أقوام كما تقدّم تفصيله.

[97] متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما: البخاري ٦٨٢٩، ٦٨٣٠، ٧٣٢٣ ومسلم ١٦٩١.

الأصل الرابع والعشرون:

" تبديع من تنقّص أحد الصحابة أو أبغضه"

قال المؤلف رحمه الله: **" وَمن انْتقصَ أحدا من أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ أَو أبغَضَه لحَدَث كان مِنْهُ أَو ذكَرَ مساوئَه كَانَ مبتَدعا؛ حَتَّى يَترحمَ عَلَيْهِم جَمِيعًا وَيكونَ قلبُه لَهُم سليما"**

تقدم الكلام عن فضل الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم في الأصل الثامن عشر في الدرس العاشر، وعرفنا ترتيبهم في الفضل وفي الخلافة، وذكرنا الأدلة من الكتاب والسنة على علوّ منزلتهم عند الله عز وجل.

وفي هذا الأصل -الرابع والعشرين- يبيّن الإمام أحمد رحمه الله حكم من تنقّص واحداً منهم ببغضه أو سبّه أو ذكر أخطائه، وحَكَمَ عليه أنه مبتدع وأنه لا يكون من أهل السنة والجماعة حتى يترحّمَ عليهم ويترضّى عنهم جميعا ويكونَ قلبه لهم سليماً.

لماذا بدّعه الإمام أحمد؟..

.أولاً: لأن الله أثنى عليهم، وهذا المبتدع خالف ربَّه.

.وثانياً: خالف سنة نبيه.

.وثالثاً: خالف سبيل المؤمنين.

فهذه ثلاثة أدلة على تبديعه، فإن الرسول ﷺ حرّم سبّ الصحابة، فقال: " لا تسُبّوا أصحابي ". وأجمع أهل السنة والجماعة على أن جميع الصحابة ثقات عدول، فلا يجوز لأحد بعد ذلك أن يخوض في الفتن التي وقعت بينهم، لأن هذا مخالف لتزكية الله ورسوله لهم، وتزكية المؤمنين لهم بالإجماع، ولأن ذلك يؤدي إلى بغضهم وتنقّصهم، وقد يؤدي إلى سبّهم وتكفيرهم كما تفعل الرافضة، وهذا يعني الطعن في الدين لأن الصحابة هم نقلة الدين لنا.

ولذلك فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة أنه يجب أن نمسك عن الفتن التي وقعت بينهم، يجب أن نمسك ألسنتنا عن أخطائهم، وذلك لأن الصحابة بشر غير معصومين ولكنهم أفضل منا، بل أفضل من جميع البشر سوى الأنبياء، كما تقدم في الدرس السابق.

وتلك الفتن التي وقعت بينهم إنما كانت من باب الاجتهاد، فالمصيب منهم له أجران والمخطئ له أجر واحد، وذنبه مغفور إن شاء الله تعالى، لأنهم كلهم أرادوا الخير، هذه عقيدتنا فيما شجر بينهم من الفتن، والدليل على هذه العقيدة: -

١- أن الله بشَّرهم بالجنة وأخبر أنه قد تاب عليهم ورضي عنهم في آيات كثيرة.

٢ - ومن الأدلة أيضًا على هذا أن حسناتهم الماحية كثيرة جدًا، فقد ذكرنا في الأصل الثامن عشر أن حسنات الصحابة يضاعفها الله عز وجل حتى تزيد النفقة القليلة منهم عن وزن جبل أُحُدٍ ذهباً. وذكرنا أيضًا أن الصحابة لهم أجور مَن بعدَهم من المسلمين؛ لأنهم السبب في تبليغ الدين لهم ونشره في الأرض. إذن.. فذنوب الصحابة.إن وُجِدَت.مغمورة في بحور حسناتهم، وذنوبهم كالقطرة في البحر، هذا ما نعتقده في أصحاب رسول الله ﷺ.

وقد حرّم الرسول ﷺ سبّ الصحابة لحكمة: وهي أنهم نقلة الدين، والطعن فيهم طعن في الدين.

والرافضة كفّروا أكثر الصحابة، فكيف نثق بدين نقله إلينا كفار؟! هذا ما يريدونه ! يريدون إسقاط الكتاب والسنة التي نقلها الصحابة إلينا، وهم أولى بالتكفير والإسقاط، الرافضة أولى بالتكفير والزندقة، لأن جميع الصحابة ثقات عدول بتزكية الله لهم، وبتزكية رسول الله لهم، وبإجماع أهل السنة والجماعة على ذلك. ومنهج الصحابة هو المنهج الحق الذي أمرَنا الله باتّباعه، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]

والشاهد قوله (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)

و(سبيل المؤمنين) هو (منهج الصحابة)، وقد سبق شرح هذا بالتفصيل في بدايات هذه الدروس والحمد لله.

والصحابة رضي الله عنهم ليسوا كأحدٍ من الناس، فالصحابة منزلتهم عالية عند الله وعند رسول الله وعند المؤمنين من أهل السنة والجماعة.

وبوّابة الصحابة؛ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، أمير المؤمنين وكاتب الوحي، فهو أمين عند رسول الله ﷺ لأنه جعله كاتباً للقرآن، وهو خَتَن رسول الله ﷺ، أول ملوك الإسلام، وأعدل ملوك الإسلام رضي الله عنه، المعروف بالحكمة والحلم والعدل، ولاّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمر أخبَر الناس بالرجال. ولكن كثر الكذب من الرافضة على هذا الصحابيّ الجليل، فمن سمح لنفسه أن ينتقص معاوية فقد فتح على نفسه بوابة الرفض، وسيؤول به الأمر إلى أن يصير رافضياً، فلن يقف عند معاوية بل سيتعدّاه إلى عمرو بن العاص، وإلى طلحة، والزبير... وغيرهم، حتى يصل به الفساد إلى سبّ الصحابة جميعا وتكفيرهم والعياذ بالله، فإياك ثم إياك أن تفتح هذا الباب.

" معاوية بوابة الصحابة"؛ هذه كلمة العلماء، من فتح هذه البوابة ولج وخاض في أعراض سائر الصحابة،

فالطعن في معاوية يؤدي إلى الطعن في غيره من الصحابة، والطعن في معاوية طعن في القرآن لأن معاوية كاتب الوحي رضي الله عنه.

ولذلك من طعن في معاوية فهو مبتدع، فأغلق أهل السنة والجماعة هذا الباب، وبدّعوا من طعن في معاوية أو في أيّ واحد من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين. فقال الإمام أحمد: **"وَمن انْتقصَ أحدا من أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ أَو أبغَضَه لحَدَث كان مِنْهُ أَو ذكَرَ مساوئَه كَانَ مبتدعا"**

هذا أصل منهجيّ مهم، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام.

وقد انقسم أهل البدع إلى فرق متناقضة في الصحابة:

- **الخوارج**: كفّروا عثمان وعليّا رضي الله عنهما وقتلوهما.
- **والنواصب**: نصبوا العداء لآل البيت؛ علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، أبغضوهم وسبّوهم على المنابر.
- **والروافض**: عَبَدوا آلَ البيت مع الله وكفّروا سائرَ الصحابة إلا قليلاً منهم وسبّوهم ولعنوهم والعياذ بالله.

وأما أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، فإنهم وسط ليس عندهم تفريط في حق الصحابة، وليس عندهم غلوٌّ فيهم، يحبون جميع الصحابة بلا استثناء ويحترمونهم، ويترحمون عليهم، ويترضّون عنهم كما أمر الله ورسوله، ولا يخوضون في أخطائهم -إن وُجِدت- ولا يعبدون آلَ البيت مع الله كما تفعل الرافضة، ويحبون من يحبهم، ويبغضون من يبغضهم، لأن من يحبهم فهذه علامة على إيمانه، فيحبونه لإيمانه. والذي يبغضهم فهي علامة على نفاقه فيبغضونه لنفاقه وهو مبتدع، لقول الرسول ﷺ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»[98] والمهاجرون أفضل من الأنصار بالإجماع، فمن وجد في قلبه بغضاً لأحد الصحابة، لواحد من الصحابة فلْيذهبْ ولْينظفْ قلبه ولْيطَهِّرْه من النفاق والبدعة ولْيَبك على خطيئته ولْيتب من هذه البدعة قبل موته.

فمن نحن حتى نتطاول على خير خلق الله بعد الأنبياء، وأحَبِّهم إلى ربهم بعد الأنبياء؟!

الأجدر بنا أن ننشغل بذنوبنا وعيوبنا، هل بُشّرنا بالجنة كما بُشّروا؟!، هل تتضاعف حسناتنا كحسناتهم؟!، هل علمنا أن الله راضٍ عنا كما رضي عنهم؟!، فلماذا ننصب أنفسنا قضاة عليهم؟!، لماذا نخوض في الفتن التي وقعت بينهم؟!

---

[98] البخاري ١٧ ومسلم ٧٤،

فلن تكون سلفيا على الجادة حتى تحب الصحابة جميعاً، وتترحم عليهم جميعا، وتمسكَ لسانَك عما شجر بينهم من فتن، وقد سمعتَ الإمامَ أحمد رحمه الله لما قال (**كان مبتدعا حتى يترحم عليهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما**)، هذا لأن الطعن فيهم طعن في دين الله، اعلم هذا جيدا وتذكره دائما.

إن الذي يطعن في الصحابة مراده أن يطعن في دين الله، لأنهم نقلوا دين الله عز وجل لمن بعدهم، ولأن الله أثنى عليهم، ولأن الرسول حرّم سبّهم، فلا تُعارِض الله في حكمه، ولا تُعارِض الرسول ﷺ في أمره.

هذا والله تعالى أعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

○●○●○●○●○●○●○●

الدرس رقم (13) التاريخ: الاثنين 13/جمادى الثاني/1440 هـ 18/شباط (فبراير)/2019 م

عنوان هذا الدرس

(بيان معنى النفاق وأنواعه)

ملخص الدرس الثالث عشر:

اشتمل هذا الدرس على:

- **الأصل ال (٢٥) وهو: -**
  - **بيان معنى النفاق: وأنه أكبر وأصغر.**
  - **وكذلك الكفر أكبر وأصغر، وأيضا الظلم والفسق والشرك والبدعة؛ كل ذلك منه أكبر ومنه أصغر.**
  - **وأن معنى الأكبر: الذي يخرج من الملة.**
  - **وأن الأصغر: الذي لا يخرج من الملة.**
  - **والتحذير من خطر النفاق والمنافقين**

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليّ الصالحين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد؛

الأصل الخامس والعشرين

فهذا هو **الدرس الثالث عشر** من شرح أصول السنة، ووصلنا إلى: الأصل الخامس والعشرين؛ وهو في **بيان معنى النفاق وأنه أكبر وأصغر**.

فهذا الأصل فيه بيان معنى النفاق وبيان أنواعه.

والنفاق في اللغة: هو مخالفة الباطن للظاهر.

وفي الشرع نوعان: أكبر وأصغر.

فالنفاق الأكبر: هو أن يعتقد الكفر ويظهر الإسلام.

والنفاق الأصغر: هو نفاق العمل، ولا يُخرج من الملّة.

والنفاق مذموم كله، وهو مرض خطير من أمراض القلوب، والمنافق:

- إما أن يكون خارجاً من الملّة
- أو يكون مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب.

وقد بيّن المؤلف رحمه الله هذين النوعين من النفاق، فقال -رحمه الله -في النفاق الأكبر:

" والنفاق هُوَ الْكفْر أَن يكفر بِاللَّه ويعبد غَيره وَيظْهر الإِسْلَام فِي الْعَلَانِيَة مثل الْمُنَافِقين الَّذين كَانُوا على عهد رَسُول الله ﷺ".

المنافق النفاق الأكبر -كما قلنا -هو أن يعتقد الكفر ويظهر الإسلام، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٨]

وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

﴿لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]

فالمنافق النفاق الأكبر كافر، يعبد غير الله، ولكنه يتظاهر بالإسلام، فهو ليس مسلماً أصلاً، ولكنه ولغرض في نفسه يتظاهر بأنه مسلم، ينطق بالشهادتين ويصلي مع المسلمين، وهو في قلبه مكذّب بالإسلام ويعبد غير الله، فهذا لا ينفعه النطق بالشهادتين ولا الصلاة ولا الصدقة؛ لأن الإيمان ليس قولاً فقط، إنما الإيمان قول واعتقاد وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد تقدم شرح هذا والحمد لله.

والمنافق يتظاهر بالإسلام لأغراض في نفسه، منها:

- إما خوفاً على نفسه من القتل.
- أو رغبة في الغنائم.
- أو لإفساد الدين.

أو لغير ذلك، وهؤلاء الأصناف الثلاثة ظهروا في زمن الرسول ﷺ في العهد المدني، ولم يكن النفاق موجودا في العهد المكي، لأن المسلمين كانوا مستضعفين في مكة وليس لهم قوة ولا دولة، فلم يكن المشركون بحاجة إلى النفاق، بل كانوا يظهرون كفرهم، بل إن الكثير من المسلمين كان يخفي إيمانه خوفاً من المشركين، فلما صار للمسلمين في المدينة دولة، وصار لهم بعد غزوة بدر شوكة وقوة، خاف بعض المشركين من إظهار كفرهم، فتظاهروا بالإسلام وظهرت هذه الأصناف الثلاثة.

فمنهم من تظاهر بالإسلام خوفاً على نفسه من القتل، ومنهم من تظاهر بالإسلام طمعاً في الغنائم، ومنهم من تظاهر بالإسلام لإفساد الإسلام على المسلمين، كما أخبر الله عن بعض اليهود فقال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]، كانوا يتظاهرون بالإسلام حتى يفسدوا على المسلمين دينهم.

وكان المنافقون في المدينة بضعة وثمانون منافقاً، هؤلاء لم يسلموا، وكان خطرهم كبيرًا على الإسلام والمسلمين، ولذلك حذّر الله منهم كثيراً في القرآن، وذكر كثيراً من صفاتهم، وجعلهم في الدرك الأسفل من النار.

والنفاق الذي في القرآن أكثره من النفاق على الرسول عليه السلام، فهو من النفاق الأكبر، النفاق إذا أُطلِق في القرآن يُقصَد به النفاق الأكبر، ففضحهم الله عز وجل وحذّر منهم في آيات كثيرة لشدة خطرهم وخبثهم. ولكنهم لما كانوا يتظاهرون بالإسلام قبِل الرسول ﷺ علانيّتهم ووكل سرائرهم إلى الله ولم يقتلهم،

حتى لا تقول العرب إن محمداً يقتل أصحابه، فهذا يصدّ الناس عن الإسلام وهذه مفسدة كبرى.

ثم بقي هذا الحكم ثابتاً محكماً؛ وهو أن الحكم على الناس إنما يكون على الظاهر، فمن أظهر الإسلام يعامَل معاملة المسلمين ونكِلُ سريرته إلى الله عز وجل.

وفي زمننا هذا لا نجد الصنفين الأول والثاني من الأصناف التي ذكرتها لكم، لأن الإسلام اليوم ضعيف عند المسلمين، فالمنافق اليوم يُظهر نفاقه على الملأ ولا يبالي، فتجد المرتدّين والزنادقة يتظاهرون في الطرقات ويطالبون بإظهار كفرهم، ويطالبون بحقوقهم المزعومة بلا خوف من أحد.

أما الصنف الثالث فموجود اليوم وبكثرة، وهو الصنف الذي يُظهِر الإسلام لإفساد الدين على المسلمين، هؤلاء المنافقون خطرهم على الإسلام والمسلمين أشد من خطر اليهود والنصارى والوثنيين، لأن المشرك عدوٌّ ظاهر، أما المنافق فإنه يأتيك في جثمان صديق، تراه يُظهِر الإسلام ويُظهِر الغيرة على الإسلام والمسلمين، فيقع الجهّال في حبائله، ويصدّهم عن دين الله بوسائله الخبيثة.

ولذلك فلا يجوز لك أن تسمع إلا لمن زكّاه أهل العلم، لا يجوز السماع للمجروحين ولا للمجهولين؛ وهم الذين ليس لهم تزكية من أهل العلم؛ لاحتمال أن يكونوا منافقين وأنت لا تعلم.

والمنافقون الذين يتظاهرون بالغيرة على الدين اليوم فِرَقٌ كثيرة ولهم أسماء شتّى لا تكاد تحصى؛ كالعلمانيين والديمقراطيين والعقلانيين والقبوريين والرافضة والقرآنيين والحزبيين على مختلف صورهم، ومنهم من يسمّى بالمفكر الإسلامي فلان، ومنهم دعاة تحرير المرأة ودعاة المساواة بين الرجل والمرأة، ومنهم الخوارج، ومنهم من يطعن في الصحابة، ومنهم من يطعن في علماء الأمة الراسخين، ومنهم من يشكك في السنة عن طريق الطعن في الصحيحين أو في أبي هريرة رضي الله عنه -راوية الإسلام-، ومنهم من ينكر بعض أحكام الشريعة الثابتة في الكتاب والسنة والإجماع؛ كالقصاص والرجم والقطع والجلد وبعض المواريث، وغير ذلك من الأساليب الشيطانية الخبيثة والتي تؤدي كلها في النهاية إلى إفساد الدين على الجاهل من عوام المسلمين.

كثير من هؤلاء المنافقين يتظاهرون بالدفاع عن الإسلام وهم في الحقيقة ينفّرون الجهّال عن الإسلام، فريستهم الجهّال، يقع في حبائلهم الجاهل بدين الله عز وجل، فهؤلاء دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها، فالحذر الحذر من هؤلاء المخادعين.

ونحن إنما نحاربهم ونحْذَرُهم بالعلم النافع وبفهم السلف الصالح، وبالدعوة إلى الله على بصيرة، فإذا عرف الناس الإسلام الذي أنزله الله إلى العباد رفضوهم وحاربوهم.

ونعامل هؤلاء المنافقين كما عاملهم الرسول ﷺ؛ إذا كان ظاهرهم الإسلام فهم عندنا مسلمون، ولا نكفّر إلا من أظهر نفاقه وحكم عليه أهل العلم الراسخون أنه كافر، فإن شأن التكفير ليس لنا، وإلا صرنا

كالخوارج الضالّين الذين يكفّرون الناس بلا ضوابط، فنتعامل مع هؤلاء المنافقين كما نتعامل مع أهل البدع لأنهم يُظهرون الإسلام، وقد تقدم التفصيل في تحريم السماع لأهل البدع، وهؤلاء المنافقون من أهل البدع، فلا تجوز مجالستهم ولا السماع لهم ولا النظر في كتبهم، ولا الدخول إلى مواقعهم، لأنك قد لا تعلم أنهم منافقون، ولذلك يجب الحذر منهم، وذلك بأن لا تستمع إلا لمن زكّاه أهل العلم، فلا يجوز السماع -كما قلت آنفاً -للمجروحين ولا للمجهولين الذين لم يزكّيهم أهل العلم، والواجب عليك الرجوع إلى أهل العلم الثقات الراسخين الذين زكّاهم العلماء، لا يجوز ان نأخذ ديننا إلا من الثقات الذين زكّاهم أهل العلم، بهذا تحافظ على دينك وتحفظ نفسك من شر هؤلاء المنافقين.

أما النفاق الأصغر: فهو نفاق في العمل، وهو غير مُخرجٍ من الملة.

أي أنه يعتقد الإسلام، هو مسلم لكنه فيه خصلة من خصال المنافقين التي لا تُخرِج من الملة، فتجده يُبْطِن الشر ويُظهر الخير وهذا نفاق؛ مثل الكذب في الحديث، والخيانة في الأمانة، وإخلاف الوعد، وغدر العهد، والفجور في الخصومة... وغير ذلك من خصال المنافقين مما لا يُخرِج من الملة، هذا هو النفاق الأصغر، وهو من كبائر الذنوب وخطره شديد على القلب.

قال المؤلف رحمه الله في النفاق الأصغر: (**وهذه الأحاديث التي جاءت:**

- "ثَلَاث من كن فِيهِ فَهُوَ مُنَافِق..."[99] هذا على التَّغْلِيظ نرويها كَمَا جَاءَت وَلَا نفسرها.

- وَقَوله: "لَا ترجعوا بعدِي كفَّارًا ضلالا يضْرب بَعْضكُم رِقَاب بعض".[100]

- وَمثل: "إِذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فِي النَّار".[101]

- وَمثل: "سباب الْمُسلم فسوق وقتاله كفر".[102]

- وَمثل: "من قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِر فقد بَاء بهَا أَحدهمَا".[103]

-وَمثل: "كفر بِاللَّه تبرؤ من نسب وَإِن دق"[104]

وَنَحْو هَذِه الْأَحَادِيث مِمَّا قد صَحَّ وَحفظ. فَإنَّا نسلم لَهُ وَإِن لم نعلم تَفْسِيرهَا وَلَا نتكلم فِيهَا وَلَا نجادل فِيهَا وَلَا نفسر هَذِه الْأَحَادِيث إِلَّا بِمثل مَا جَاءَت، لَا نردها إِلَّا بِأَحَق مِنْهَا). انتهى

....

[99] أخرجه أحمد ١٠٩٢٥ عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"، وأخرجه البخاري٣٣، ٢٦٨٢، ٢٧٤٩، ٦٠٩٥. ومسلم ٥٩، والترمذي ٢٦٣١.

[100] متفق عليه من حديث ابن عمر، البخاري: ٦١٦٦، ٦٨٦٨، ٧٠٧٧. ومسلم: ٦٦.
وأخرجه البخاري من حديث جرير بن عبد الله البجلي: ١٢١، ٤٤٠٥، ٦٨٦٩، ٧٠٨٠. وأخرجه أيضا من حديث ابن عباس ١٧٣٩.

[101] متفق عليه من حديث أبي بكرة، البخاري: ٣١، ٦٨٧٥ ومسلم: ١٦٨٠، ٢٨٨٨.

[102] متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود، البخاري: ٤٨، ٦٠٤٤، ٧٠٧٦ ومسلم: ٦٤.

[103] متفق عليه من حديث ابن عمر، البخاري: ٦١٠٤ ومسلم: ٦٠. وأخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ٦١٠٣

[104] أخرجه أحمد ٧٠١٩. وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٤٤٨٥.

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف كلها صحيحة، كلها في الصحيحين إلا الحديث الأخير فهو في مسند الإمام أحمد وهو حسن، ولفظه: " كُفرٌ تَبرُّؤٌ من نسب وإن دقّ " (مسند أحمد ٧٠١٩)، وليس فيه قوله: " بالله "، فأطلق الكفر، فيكون الكفر بمعنى كفر النعمة.

وورد بمعنى هذا الحديث أحاديث في الصحيحين.

وهذه الأحاديث كلها أمثلة على النفاق الأصغر والكفر الأصغر.

وللعلماء في تفسيرها مذهبان:

- **المذهب الأول: أنها لا تُفسَّر**، وهذا من باب كتم العلم للمصلحة.

فيجوز كتم بعض العلم عن عوام الناس للمصلحة، فتُذكَر لهم هذه الأحاديث كما ذكرها الرسول ﷺ كما هي ولا تُؤوَّل، تُذكَر لهم هكذا على ظاهرها، ولا نقول لهم هذا من الكفر الأصغر أو من النفاق الأصغر، وذلك لتعظيم شأن هذه الأحاديث في نفوس العامّة، لأن العامّي يظن الكفر الأصغر من صغائر الذنوب فلا يرتدع عن هذه الكبائر إذا فُسِّرَتْ له، إذا فُسِّرَتْ له ضَعُفَ شأنها في نفسه، فتُذكَر له كما هي ولا تُفَسَّر، وهذا للتغليظ، أي لتغليظ شأنها، وللوعيد الشديد لأنها من الكبائر، فهذا من(باب كتم بعض العلم للمصلحة)، وهو جائز بلا شك، ولذلك قال المؤلف: **(هذا على التغليظ)**، أي أن الرسول ﷺ أطلق النفاق، وأطلق الكفر؛ لتغليظه في النفوس ولردع الناس عن هذه الكبائر.

- **المذهب الثاني: أنها تُفَسَّر**، أي تُفَسَّر بأنها من النفاق الأصغر والكفر الأصغر، فنفسرها لمن فهمها بفهم الخوارج.

أي أن من يظن أن هذه الأحاديث من النفاق الأكبر المُخرِج من الملة، ويظنها من الكفر الأكبر المُخرِج من الملة؛ فهذا قول الخوارج الرديء الذين يُكفّرون بالكبيرة، فإذا خُشِي على شخص أو على جماعة أن يفهموا هذه الأحاديث بفهم الخوارج؛ فالواجب في هذه الحالة أن تُفَسَّر لهم وتُبَيَّن لهم، فنُبيّن لهم أن هذه الأحاديث من الكفر الأصغر والنفاق الأصغر الذي لا ينقل عن الملة، ونُبيّن لهم أن هذا ثابت عن الصحابة وأنهم فسّروا الكفر كفرين؛ كفراً دون كفر، كما ثبت عن ابن عباس، وكما فصّل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة؛ أن **الكفر كفران وأن النفاق نفاقان**، ولا تُحمَل هذه الأحاديث على الكفر الأكبر والنفاق الأكبر إلا إذا استَحلّها، فيكفر حينئذ بالإجماع.

وهناك الكثير من الأدلة من الكتاب والسنة على أن الكفر كفران،

الكفر يُطلَق ويُراد به الكفر الأكبر، وقد يُراد به الكفر الأصغر الذي لا يُخرِج من الملة، ولكنه كبيرة من

الكبائر، ولذلك أطلق الرسول ﷺ لفظ الكفر لتغليظ شأنه، أي للوعيد الشديد.

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام كما سمعتم: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[105]

فجعل قتْل المسلم كفراً.

وقال: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[106]

فجعل قتْل المسلم كفراً، ولكن هل هذا كُفرٌ أكبر؟!

والجواب تجده في قوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩].

سمّاهم الله مؤمنين.

وقال في الآية التي بعدها: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]

فسمى المسلمين الذين يتقاتلون مؤمنين، وجعلهم إخواننا ولم يخرجهم من الأُخُوّة الإيمانية فقال: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾.

إذن قتْل المسلم كفر لكنه لا يُخرِج من الملة، وهو ما يسمى بالكفر الأصغر.

وحديث: " «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا. . . "؛ قاله الرسول ﷺ في حجة الوداع، وكان يخاطب عدداً كبيراً من الناس منهم الأعراب وأهل البادية، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يُغَلِّظ من شأن الدماء، لأن شأن الدماء عظيم عند الله، فأول ما يُقضى فيه يوم القيامة الدماء، ولذلك قال ﷺ: «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَان بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»[107] فتوعّدَ القاتل والمقتول بالنار لكنه سمّاهما مسلمَيْن، وهذا دليل صريح على أن القاتل المتعمّد لا يكفر لأنه قال (إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ)، فسماهما مسلمين.

وبعد؛

فهذا الأصل على درجة كبيرة من الأهمية لفهم النصوص من الكتاب والسنة والجمع بينها، ولفهم شريعة الله على مراد الله ورسوله،

فيجب على كل طالب علم أن يعلم:

---

105 (متفق عليه من حديث ابن عمر، البخاري: ٦١٦٦، ٦٨٦٨، ٧٠٧٧. ومسلم: ٦٦.
وأخرجه البخاري من حديث جرير بن عبد الله البجلي: ١٢١، ٤٤٠٥، ٦٨٦٩، ٧٠٨٠. وأخرجه أيضا من حديث ابن عباس ١٧٣٩).

106 (متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود، البخاري: ٤٨، ٦٠٤٤، ٧٠٧٦ ومسلم: ٦٤).

107 (متفق عليه من حديث أبي بكرة، البخاري: ٣١، ٦٨٧٥ ومسلم: ١٦٨٠، ٢٨٨٨).

- أن النفاق نوعان: أكبر وأصغر،
- وأن الكفر نوعان: أكبر وأصغر،
- وكذلك الفسق والظلم والشرك؛ منه أكبر ومنه أصغر،
- وكذلك البدعة نوعان: مكفّرة وغير مكفّرة.

فهذا أصل مهم جداً، وفيه ردّ على الخوارج الذين ضلّوا وانحرفوا عن الصراط المستقيم بسبب جهلهم بهذا الأصل، ففهموا جميع آيات الوعيد على أنها من الكفر الأكبر المُخرِج من الملة، وهذا ضلال مبين، أخذوا بجانب من النصوص وعطلوا الجانب الآخر، أما أهل السنة أخذوا بجميع النصوص ولم يهملوا منها شيئا.

ومن لم يستطع أن يفهم هذا التفصيل الذي بيّنّاه، أو لم يسمع به فيجب عليه التصديق بهذه الأحاديث على مراد رسول الله ﷺ، وأن يسلّم بها، ولا يجوز له أن يفسّرها على هواه، وهذا هو معنى قول المؤلف: **(فَإِنَّا نسلم لَهُ وَإِن لم نعلم تَفْسِيرهَا وَلَا نتكلم فِيهَا وَلَا نجادل فِيهَا)**، يعني: من لم يعلم معناها يسلّم بها، أي: إن ضعف فهمك لها ولم تستطع فهمها فعليك بالتسليم لها والتصديق بها، وقل آمنت بحديث رسول الله على مراد رسول الله. . فيسلم لك دينك.

وقد ذكرنا هذا الأصل من قبل: وهو أن الواجب التصديق والتسليم بالنصوص التي لا يفهمها الإنسان.

وقول المؤلف **(وَلَا نتكلم فِيهَا)**: أي لا نتكلم في الحديث بآرائنا وأهوائنا.

وقوله **(ولا نجادل فيها)**: أي لا نجادل الجدل الذي على وجه المغالبة والمخاصمة فهذا جدل مُحَرّم -كما تقدم في الدروس الماضية.

وقوله **(ولا تُفَسَّرهذه الأحاديث إلا بمثل ما جاءت)**: أي نُفَسّر الحديث بحديث مثله، كما تقدم في تفسير معنى الكفر وأنه كفر أكبر وكفر أصغر وأن النفاق أكبر وأصغر، هذا التفسير ليس من عقولنا وليس من اجتهادنا بل أخذناه بدلالة الآيات والأحاديث الأخرى.

ولذلك قال رحمه الله: **(ولا نردّها إلا بأحقّ منها)**: أي لا ننكرها بآرائنا وأهوائنا، بل نؤولها بأحاديث أقوى منها؛ أي أوضح منها وأصرح منها في المعنى فنفسرها بها.

وبعد أن فهمنا هذا الأصل؛ أود أن أختم بالتحذير من خطر النفاق، فأقول مستعيناً بالله:

إن الواجب على كل مسلم ومسلمة سيما طالب العلم وطالبة العلم: الواجب عليهم جميعاً أن يحذروا

أشد الحذر من خصال النفاق،

ولْيعلموا أن **الكذب** هو مفتاح النفاق، لقوله ﷺ: " إذا حدّث كذب "، لمّا ذكر خصال المنافق بدأ بذكر الكذب لشدة خطره ولأنه أُسّ النفاق وأساسه، فالكذب آفة عظيمة وكذب المرء في حديثه وكلامه طريق نهايته النار. والكذب أنواع كثيرة لكن المقصود هنا هو الكذب في الحديث؛ أي إذا تحدث وتكلم يكذب، فهذا مفتاح كل شر، كما قال ﷺ: " وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ". متفق عليه.

بينما الصدق في الحديث سبيل إلى الجنة، كما قال ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، . . . " متفق عليه.

فاختر لنفسك يا عبد الله، واختاري لنفسك يا أمة الله، فإما أن تختاروا سبيلاً يؤدي بكم إلى النار ! وإما أن ان تختاروا سبيلاً يؤدي بكم إلى الجنة !.

ومن خصال المنافقين: **خيانة الأمانة**. .

لقوله عليه الصلاة والسلام: " وإذا اؤتمن خان "؛ فهذا من النفاق في القلب، وقد ضاعت الأمانة اليوم أو كادت إلا من رحم ربي وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ، وهذا راجع بلا ريب إلى النفاق في القلب مما يؤدي إلى التلوّن في الدين وإيثار العاجلة على الآجلة.

ومن خصال النفاق والمنافقين: **إخلاف الوعد**. .

قال عليه الصلاة والسلام (إذا وعد أخلف) فهذا من النفاق بلا شك، الرجل يعقد مع أخيه موعداً وهو ينوي أن يخلف معه، هذا ضابطه، أما إذا أخلف الموعد لعذر فلا يضرّه ذلك، ويجب على أخيه أن يعذره ولو تضرر بذلك، ولا يرميه بالنفاق من غير أن يتثبّت من عذره، فإذا أخلف الإنسان لعُذر فإنه يُعذَر، ولا يجوز أن نقول بأنه منافق، ولكن إذا عقد مع أخيه موعداً وهو ينوي أن يُخلف، أو لم يكن ينوي أن يخلف ولكنه بعد ذلك أخلف من غير عذر؛ فهذا من النفاق.

أما **الغدر بالعهد**. .

وهو قوله ﷺ (وإذا عاهد غدر)، فهذا أيضًا من خصال المنافقين، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: 34]

. ويدخل في العهود: الشروط بين المسلمين والاتفاقيات والعقود سواءٌ كانت مكتوبة أو شفوية غير مكتوبة، فيجب على المسلم الوفاء بذلك كله لأن الله سائلك عن ذلك كله كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾، حتى مع الكفار يجب عليك الوفاء بالعهود والمواثيق ولو كانوا محاربين وهذا ثابت بنصوص الكتاب، ومن هدي نبينا عليه الصلاة والسلام.

ومن خصال المنافقين: **الفجور عند الخصومة**..

قال ﷺ: (وإذا خاصم فجر)؛ وهذا بلاء عظيم قد انتشر اليوم، ولا يكاد ينجو من هذه الخصلة إلا أقل القليل من المسلمين والله المستعان، حتى عند بعض طلاب وطالبات العلم الذين يدّعون السلفية ويُظهرون التديّن والتقوى فإننا نرى منهم العجب العجاب عند الخصومات: الجيران والشركاء والأزواج والزملاء، خذ مثلاً الأزواج: فإذا ما وقعت بين الزوجين خصومة ثم وقع الطلاق، فإنك تجد كلاًّ منهما يفتري على صاحبه في المحاكم، ويبهته ويكذب عليه وقد يقذفه في عرضه وقد يفشي أسراره، وقد يشهد عليه بالباطل شهادة الزور، وينسى كلٌّ منهما فضل الآخر عليه، تنسى فضله عليها وهو ينسى فضلها عليه، وكأنهما ما كانا زوجين في يوم من الأيام، ونسوا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

هذا خطاب للأزواج ولغيرهم، فإنك تجد القضايا في المحاكم تطول لسنوات، وكل هذا بسبب النفاق في القلوب فالمنافق إذا خاصم فجر. وكذلك إذا تخاصم الشقيقان والشريكان والجيران. . . ، المؤمن لا يفجر والمنافق يفجر، فاحذر من الفجور عند الخصومة ولا تظلم أخاك عند الخصومة، وحتى لو كانت الخصومة مع كافر لا يجوز أن تظلمه، لكن عِرض المسلم أشد حرمة عند الله، فإن كان من الأقارب والجيران فالأمر أشد وأشد، وتذكّر دائما عند الخصومات قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٠]

فالله عز وجل يرانا أفلا نراعي نظر الله إلينا.

وخصال النفاق كثيرة جداً، وقد ذكر النبي ﷺ النفاق الأصغر في أحاديث كثيرة، وذكر الله تبارك وتعالى في القرآن خصال المنافقين النفاق الأكبر، فمن اتّصف بشيء من خصالهم ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها، ومن ذلك -بالإضافة إلى ما تقدم ذكره:

التكاسل عن الصلاة، وقلّة ذكر الله: أي في الصلاة وخارجها، **والاستهزاء بالدين وأهله والسخرية منهم**،

وبغض المؤمنين ومعاداتهم، ومحبة المشركين وموالاتهم طمعاً في الدنيا، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والإعراض عن حكم الله ورسوله، والاعتراض عليه، والإعراض عن تعلّم الشريعة وعدم التفقه في الدين، ومظاهرة المشركين على المسلمين طمعاً في الدنيا، والرياء. . . وغير ذلك، كلها من صفات المنافقين.

ولأن خصال النفاق كثيرة، فإن المؤمن الصادق يخاف على نفسه من النفاق بنوعيه، المؤمن الصادق يحذر النفاق أشد الحذر، قال الحسن البصري رحمه الله (ما أمِن النفاق على نفسه إلا منافق).

وكان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»[108]

هذا لأن القلوب تتقلب ولا تستقر على حال واحد، وكان عمر رضي الله عنه يخشى على نفسه النفاق وهذا من شدة إيمانه رضي الله عنه، فكان يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (هل تجد اسمي مع المنافقين).

سبحان الله ! عمر يخاف على نفسه من النفاق، وحذيفة هو صاحب سر رسول الله ﷺ وقد أخبره عن المنافقين.

وقال ابن أبي مليكة -وهو أحد التابعين -(أدركت ثلاثين من أَصحابِ النبيِّ – ﷺ – كلُّهمْ يَخَافُ النِّفَاقَ على نفْسِهِ).

الصحابة يخافون على أنفسهم النفاق مع أنهم لا يفعلون أي خصلة من خصال المنافقين، أما اليوم؛ فالكثير ممن يتّصف بالعديد من صفات المنافقين ولكنك تجده يزكّي نفسه ويدافع عن نفسه؛ يحارب أخاه لأجل أن يدافع عن نفسه ولا يخاف النفاق مع أنه منافق -والعياذ بالله.. وصدق الحسن البصري فقد قال (ما أمِن النفاق على نفسه إلا منافق).

والنفاق الأصغر يجرّ صاحبه إلى النفاق الأكبر، والمنافقون النفاق الأكبر في الدرك الأسفل من النار، وأُسّ النفاق الكذب -كما قلنا من قبل -نعوذ بالله من الكذب ومن النفاق، فالنفاق داء خطير يفتك بالقلب. نسأل الله العفو والعافية.

هذا والله تعالى أعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

○ ● ○ ● ○ ● ○ ● ○ ● ○ ● ○ ●

---

[108] مسلم٢٦٥٤.

الدرس رقم (14) التاريخ: الاثنين 20/جمادى الثاني/1440 هـ 25/شباط (فبراير)/2019 م

عنوان هذا الدرس

(نؤمن أن الجنة والنار موجودتان الآن ونصلي على من مات من المسلمين ولو كان فاجرا)

ملخص الدرس الرابع عشر:

اشتمل هذا الدرس على:

- **الأصل ال (٢٦) وهو: -**

- **نؤمن أن الجنة والنار مخلوقتان الآن وموجودتان الآن.**
- **أجمع أهل السنة والجماعة على ذلك، وأنكر ذلك الجهمية والمعتزلة.**
- **ومن أنكر ذلك فهو كافر.**

- **الأصل ال (٢٧) والأخير وهو: -**

- **نصلي على من مات من أهل القبلة موحدا؛ ولو كان فاجرا من أهل الكبائر.**
- **ويجوز لمن يقتدى به أن يترك الصلاة عليه زجرا للأحياء عن المنكر الذي مات عليه.**

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليّ الصالحين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد..

فهذا هو الدرس الرابع عشر والأخير من شرح أصول السنة، ووصلنا إلى:

الأصل السادس والعشرين

وهو أن الجنة والنار مخلوقتان الآن.

قال المؤلف رحمه الله:

(وَالْجنَّة وَالنَّار مخلوقتان، قد خلقتا، كَمَا جَاءَ عَن رَسُول الله ﷺ:

"دخلت الْجنَّة فَرَأَيْت قصرا..."[109]، و"رَأَيْت الْكَوْثَر..."[110]، و"اطلعت فِي الْجنَّة فَرَأَيْت أَكثر أَهلهَا... "كَذَا، و"اطلعت فِي النَّار فَرَأَيْت..."كَذَا وَكَذَا[111].

فَمن زعم أَنَّهُمَا لم تخلقا فَهُوَ مكذب بِالْقُرْآنِ وَأَحَادِيث رَسُول الله ﷺ وَلَا أَحْسبهُ يُؤمن بِالْجنَّةِ والنار).

هذه الأحاديث كلها صحيحة، كلها في الصحيحين.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة: **الإيمان بالجنة والنار**، والإيمان بأنهما موجودتان الآن، لابد أن نؤمن بهذا وبهذا، نؤمن أن الجنة والنار حق، ونؤمن انهما موجودتان ومخلوقتان الآن.

وخالف في هذه العقيدة الجهمية والمعتزلة، اتّباعاً لعقولهم الفاسدة، فأنكروا ذلك وقالوا لا حاجة لخلقهما الآن، هذه حجتهم، وهذا اعتراض على النصّ بالعقل، فالنصوص كثيرة في إثبات أن الجنة والنار مخلوقتان الآن .كما سيأتي إن شاء الله.. وهذا الاعتراض تكذيب بالقرآن وبالأحاديث التي جاءت في ذلك كما قال المؤلف رحمه الله.

أما الأدلة من القرآن فهي:

---

[109] متفق عليه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: البخاري ٥٢٢٦ ومسلم ٢٣٩٤. ومتفق عليه أيضا عن أبي هريرة: البخاري ٣٢٤٢ ومسلم ٢٣٩٥.

[110] أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ٤٩٦٤، ٧٥١٥ ومسلم ٤٠٠.

[111] متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما: البخاري ٢٩ ومسلم ٢٧٣٧. وأخرجه البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه: ٣٢٤١، ٥١٩٨، ٦٤٤٩، ٦٥٤٦.

● الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ [١٣] عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ [١٤] عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ [١٥] ﴾ (سورة النجم).

هذه الآيات من سورة النجم في إثبات الإسراء والمعراج، وهي دليل صريح على أن الرسول ﷺ دخل الجنة ليلة الإسراء والمعراج، وأنه رأى جبريل عليه السلام فيها على صورته الحقيقية، وأنه رآه عند سدرة المنتهى وذلك في جنة المأوى، والسدرة في أعلى الجنة.

● الدليل الثاني: قوله تبارك وتعالى عن الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله عن النار: ﴿ أُعِدّت للكافرين ﴾ [البقرة ٢٤، آل عمران: ١٣١].

أي أَعَدّ اللهُ الجنة وهيّأها للمتقين، وأَعَدّ النار وهيّأها للكافرين.

ولا يصحّ أن يقال عن الشيء المعدوم إنه مُعَدٌّ ومُهَيَّأ، فدلت هذه الآيات على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.

● الدليل الثالث: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

قوله (بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)؛ هذا في الشهداء، وهذه الآية دليل على أن أرواح الشهداء في الجنة الآن، الشهيد في الجنة منذ أن يستشهد إلى أن تقوم الساعة.

ويفسر هذه الآية قولُ عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الآية في صحيح مسلم (١٨٨٧): "أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ،. . . ."

فهذا دليل على أن الجنة مخلوقة الآن، وأن أرواح الشهداء فيها في جوف طير خضر،

هكذا فسّرها الصحابة، وما جاء الصحابة بهذا التفسير من عند أنفسهم، إنما هو مما علمهم الرسول ﷺ.

● الدليل الرابع: قوله تعالى عن آل فرعون: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: 46]

أي؛ يُعرَض آل فرعون على النار صباحاً ومساءاً، هذا في القبر، يرون مقاعدهم في النار. والعياذ بالله. قبل

يوم القيامة، ثم يُدخَلون يوم القيامة أشد العذاب وهو دخول النار والعياذ بالله.

ويفسر هذه الآية حديث عذاب القبر ونعيمه، وهو:

● الدليل الخامس: وهو الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[112]

هذا الحديث يفسر آية غافر (٤٦) التي تقدمت في آل فرعون، والآية والحديث يدلّان على أن الجنة والنار موجودتان الآن، والآيات كثيرة في إثبات ذلك.

أما الأحاديث وهذا هو:

● الدليل السادس: فهو ما استدلّ به المؤلف وهو قول الرسول ﷺ: " دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا دَارًا أَوْ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ " فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَيْ رَسُولَ اللهِ أَوَ عَلَيْكَ يُغَارُ؟ "[113]

وظاهر الحديث أنه عليه الصلاة والسلام دخل الجنة، ويُحمَل ذلك على ليلة الإسراء والمعراج، وهذا دليل على أنها مخلوقة الآن.

● الدليل السابع: واستدلّ المؤلف أيضًا بحديث المعراج وفيه أن الرسول ﷺ دخل الجنة ورأى نهر الكوثر. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: " أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ "،[114]

وهذا الحديث واضح صريح أنه ﷺ دخل الجنة ليلة المعراج، نؤمن بهذا، وهذا دليل على أن الجنة مخلوقة الآن وأن نهر الكوثر مخلوق الآن، وأن الرسول ﷺ دخل الجنة ورآه فيها.

● الدليل الثامن: واستدلّ المؤلف أيضًا بحديث (أكثر أهل الجنة... وأكثر أهل النار) وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»،[115]

---

112 هذا الحديث في الصحيحين: البخاري ١٣٧٩، ٣٢٤٠، ٦٥١٥ ومسلم ٢٨٦٦ واللفظ له.

113 متفق عليه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: البخاري ٥٢٢٦ ومسلم ٢٣٩٤. ومتفق عليه أيضا عن أبي هريرة: البخاري ٣٢٤٢ ومسلم ٢٣٩٥.

114 أخرجه البخاري: ٤٩٦٤، ٦٥٨١، ٧٥١٥ ومسلم ٤٠٠.

115 أخرجه البخاري ٢٩ ومسلم ٢٧٣٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه: ٣٢٤١، ٥١٩٧، ٥١٩٨، ٦٤٤٩، ٦٥٤٦.

ومن حديث ابن عباس في الصحيحين قال عليه السلام في حديث الكسوف: " «وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»[116]

قال العلماء: قوله (اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ): يدل على أنها موجودة حالة اطّلاعه، وكذلك يقال عن قوله (وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ).

وبّوب عليه البخاري فقال: (باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة).

● الدليل التاسع: حديث الكسوف، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قال: قال النبي ﷺ: ". . . ، إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ، فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ، حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ – أَوْ قَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا – فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، . . . ".[117]

أخرجه البخاري وقال في رواية عند مسلم ٩٠٤:

" مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا، . . . "

ثم قال: ". . . ، ثُمَّ جِيءَ بِالْجَنَّةِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي، وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ".

فهذه أحاديث صحيحة صريحة تدل على أن الرسول ﷺ رأى النار حقا، ورأى الجنة حقا، يقظة وليس مناماً، وكان يصلي صلاة الكسوف بالناس، وأنه تأخر مخافة أن يصيبَه حرّها، وأنه تقدم ليأخذَ من ثمرها ولكنه قال (ثم بدا لي أن لا أفعل).

قال العلماء إن هذا لحكمة؛ وهي أن الجنةَ والنارَ من الغيب، وأنه لو أخذ من الجنة شيئًا لبقي ما بقيت الدنيا، يعني لبقي هذا الثمر إلى قيام الساعة ولرآه الناس فلا تكون الجنة حينئذ من الغيب، ومن حكمة الله عز وجل أن جعل الجنة والنار من الغيب حتى يميزَ الخبيثَ من الطيب، والمؤمنَ من المنافق، فالمؤمنون يصدّقون بالغيب، والمنافقون ينكرونه ولا يتّبعون إلا ما تراه عيونهم وتدلّهم عليه عقولهم،

---

116 البخاري ١٠٥٢ ومسلم ٩٠٧

117 أخرجه البخاري: ١٠٥٢، ٥١٩٧ عن ابن عباس، ومسلم عن جابر ٩٠٤ واللفظ له.

ولذلك أنكر أهل البدع أن الجنةَ والنارَ مخلوقتان الآن، لكنهم لو رأوا ثمرها لآمن الجميع بها ولَمَا تميّز المنافقون عن المؤمنين.

هذا؛ والأدلة أكثر مما ذكرنا بكثير، ودليل واحد منها يكفي المؤمن، وقد ذكرت عددا منها حتى لا يبقى في نفوسكم شك في هذه العقيدة.

وبيّن المؤلف رحمه الله أن من أنكر أن الجنة والنار موجودة الآن فهو كافر، لأنه مكذب لله ورسوله، مكذب للقرآن والسنة الصحيحة، ومكذب بإجماع أهل السنة والجماعة، فقال المؤلف رحمه الله:
" فمن زعم أنهما لم تُخلَقا فهو مكذّب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار".
وسبق وذكرنا أن الجهمية والمعتزلة هم من أنكر أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وأجمع أهل السنة والجماعة على أنهما موجودتان الآن والحمد لله.

الأصل السابع والعشرون والأخير

الأصل السابع والعشرون والأخير في هذه الرسالة المباركة، قال المؤلف رحمه الله:
(وَمن مَاتَ من أهل الْقبْلَة موحدا، يُصَلّى عَلَيْهِ ويستغفر لَهُ وَلَا يحجب عَنهُ الاسْتِغْفَاروَلَا تتْرك الصَّلَاة عَلَيْهِ لذنب أذنبه صَغِيرا كَانَ أَوكَبِيرا، وأمره إِلَى الله تَعَالَى). . (آخر الرسَالَة وَالْحَمْد لله وَحده وصلواته على مُحَمَّد وَآله وَسلم تَسْلِيمًا)
هذا هو الأصل السابع والعشرون في هذه الرسالة المباركة وهو الأصل الأخير فيها، وهو في **حكم الصلاة على أصحاب الكبائر**، وفيه أن الصلاة تجوز على من مات من أهل القبلة ولو كان فاجرا مالم يقع في ناقض من نواقض الإسلام، فيُغَسَّل ويُكَفَّن ويصَلّى عليه ويدفَن في مقابر المسلمين وندعو له ونستغفر له، نخاف عليه من ذنوبه ونرجو له المغفرة وهو تحت المشيئة.
فهذا الأصل له تعلّقٌ بالأصل الثاني والعشرين الذي تقدم في الدرس الثاني عشر؛ وهو أن أصحاب الكبائر تحت مشيئة الله عز وجل، إن شاء عذّبهم بعدله وإن شاء عفا عنهم بفضله، ومن شاء أن يعذّبه من عُصاة الموحدين فإنه سبحانه لا يُخلّده في النار، وهذا الأصل الذي بين أيدينا يتّفق مع الأصل الثاني والعشرين الذي تقدم.
وهذا الأصل - السابعَ والعشرين - فيه بيان لمسألة الصلاة على أصحاب الكبائر دون الشرك الأكبر.
فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الصلاة تجوز على المسلم ولو كان من أصحاب الكبائر؛ وذلك لأن

أصحاب الكبائر لا يُخَلَّدون في النار لأنهم مسلمون عُصاة، وهذا فيه ردّ على الوعيدية من المعتزلة والخوارج، وفيه إبطال لقولهم الفاسد وهو التكفير بالكبيرة، وبعض خوارج عصرنا الحاضر يكَفّر بالإصرار على المعصية مطلقا.

والحق أن الكبائرَ داخلة تحت الكفر الأصغر الذي لا يُخرِج من الملة، أما من وقع في ناقض من نواقض الإسلام فهذا من الكفر الأكبر المُخرِج من الملة، فمن قامت الحجة عليه، وثبت أنه ارتدّ عن الإسلام فهذا لا تجوز الصلاة عليه وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤].

نزلت في المنافقين الذين ماتوا على الكفر، والحكم يشمل كل من مات على الكفر، ولذلك فإن المؤلف قيّد كلامه بأهل القبلة أي بالموحدين، فقال رحمه الله: **" ومن مات من أهل القبلة موحدا يصلى عليه ".**

فأخرج الكافر والمرتدّ الذي يسبّ اللهَ أو يسبّ الرسولَ ﷺ، أو يستحلّ ما حرم الله، أو ينكر شيئاً واجباً معلوماً من الدين بالضرورة، أو من قال إن محمداً ﷺ ليس خاتمَ الرسل، وغير ذلك من نواقض الإسلام وهي كثيرة؛ فهذا لا تجوز الصلاة عليه ولا يُغسَّل ولا يُكفَّن ولا يُدفَن في مقابر المسلمين، بل يُوارى في التراب في أيّ مكان حتى لا يتأذّى الناس به؛ وليس إكراماً له.

وتفصيل نواقض الإسلام لها كتبها، تجدون ذلك في كتب الفقه في أحكام المرتد، وفي كتاب "نواقض الإسلام" للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وأيضاً في "كتاب التوحيد" له.

أما موضوع هذا الأصل فهو في حكم الصلاة على أصحاب الكبائر من الموحدين، وهذا فيه تفصيل على النحو الآتي:

- فالأصل أن الصلاة على أصحاب الكبائر من الموحدين مشروعة، نصلي عليهم لأنهم مسلمون ولا يخرجون من الإسلام بالكبيرة ولو ماتوا مُصرّين عليها. وتقدم شرح هذا. هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً للوعيدية.

والدليل على أنه تجوز الصلاة على أصحاب الكبائر؛ أن الرسول ﷺ صلى على المرأة التي أُقيم عليها حدّ الزنى [118]

[118] (مسلم ١٦٩٥، ١٦٩٦).

- لكن يجوز لمن يُقتدى به من أهل العلم وأهل الفضل أن يترك الصلاةَ عليه إذا كان مُجاهراً بفسقه، لأن هذا فيه زجر لأمثاله الأحياء وفيه زجر لعموم الناس عن هذا المنكر، فهذا من إنكار المنكر، كالذين يجاهرون بشرب الخمور أو بالسرقة أو بأكل الربا وهكذا.

ومن الأدلة على هذا:

• أن النبي ﷺ ترك الصلاة على من كان عليه دَين، فقال عليه الصلاة والسلام: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»، قَالَ: أَبُو قَتَادَةَ عَلَيَّ دَيْنُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ.[119]

فتَرَكَ الصلاةَ عليه للتشديد في أمر الدَّين، وأيضاً في ذلك مصلحة للميت فقد سارع الناس لقضاء دَينه وهذا يرفع عنه العذابَ في قبره لأن الميت يعذَّب بدَينه.

وتأمّل؛ فقد ترك النبي ﷺ الصلاة عليه لكنه لم ينهَ الناس عن الصلاة عليه، بل أمرهم أن يصلّوا عليه، وهذا فيه دليل على جواز الصلاة عليه أيضاً، هذا الدليل فيه دليل على الحالتين؛ دليل على أنه تجوز الصلاة على أصحاب الكبائر، وأيضاً يحوز لمن يُقتدى به من أهل العلم وأهل الفضل أن يترك الصلاة عليه زجراً لأمثاله من الأحياء.

• ومن الأدلة أيضاً: أن النبي ﷺ لم يُصَلِّ على من قتل نفسه؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: «أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ».[120] والمَشاقِص: جمع مِشقَص وهو سهم عريض.

لم يُصَلِّ عليه؛ ليس ذلك لتحريم الصلاة عليه، بل ترك الصلاة عليه لزجر الناس عن هذا المنكر العظيم، فإن قاتلَ نفسه لا يكفر، ولذلك صلّى عليه الناس، وأقرّهم الرسول ﷺ على ذلك.

وبعض الناس اليوم قد يترددون في الصلاة على المنتحر ويتساءلون: هل تجوز الصلاة على من قتل نفسه؟! والجواب على ما تقدم من التفصيل فنقول: تجوز الصلاة عليه، ويجوز لمن يُقتدى به أن يترك الصلاة عليه كما صنع الرسول ﷺ، وهذا للزجر عن هذا المنكر العظيم.

لكنْ تركُ الصلاة عليه مرتبط بالمصلحة .وهذه مسألة مهمة .ترك الصلاة عليه من قِبَل أهل العلم وأهل الفضل مرتبط بالمصلحة، فإذا خُشِي أن تحدث فتنة بسبب ترك الصلاة عليه أو مفسدة كبيرة فالصلاة عليه أفضل، والله تعالى أعلم.

---

[119] البخاري ٢٢٨٩، ٢٢٩٥، ٢٢٩٨ ومسلم ١٦١٩.
[120] أخرجه مسلم في صحيحه (٩٧٨)

❖ وهكذا فقد فرغنا بحمد الله وفضله من شرح أصول هذه الرسالة المباركة، وقد تبيّن لنا أن هذه الأصول هي الميزان الذي يوزن به السُنّي من المبتدع، وهي الغربال الذي يُغربَل به أهلُ البدع. وثمة أصول أخرى ستعرفونها إن شاء الله تعالى في المستويات القادمة وذلك في كتب العقيدة والمنهج.

❖ ومما ينبغي التنبيه عليه .وكنا قد أشرنا إلى هذه المسألة .وأحب أن أعيدها لأهميتها، وهي أن الحكم على السُنّي السلفي بالبدعة أمر خطير، وأن الواجب أن نرجع في هذا الشأن لأهل العلم، والقاعدة في هذا الشأن .أي في مسألة التبديع .كالقاعدة في مسألة التكفير، وهي: أنه **ليس كل من وقع في الكفريكون كافراً، وكذلك ليس كل من وقع في البدعة يكون مبتدعاً**، وذلك لاحتمال أن يكون معذوراً، فلا بد أن تكون الحجة قائمة عليه، والذي يحكم في هذا الشأن هم أهل العلم، فلابد من إقامة الحجة وإزالة الشبهة وتوفر الشروط وانتفاء الموانع، وهذه الأمور وتفاصيلها لا يعلمها إلا أهل العلم، وقد سبق وبينا أنه يجب أن نفرق بين الحكم على الفعل والحكم على الفاعل، وان هذا الذي تكلمنا فيه في هذه الرسالة هو حكم على الفعل، ولا نحكم على الفاعل إلا إذا حكم عليه أهل العلم بذلك، فالحكم على الفاعل يعني الحكمَ على المُعَيَّن وهذا لأهل العلم فقط، فالعلماء عندهم القدرة أن يبيّنوا حجةَ الله على العباد، فتُقام الحجة عليهم وتُزال الشبهة عنهم.

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى،

ونسأله سبحانه أن يثبتنا على التوحيد والسنة والطاعة حتى نلقاه سبحانه على ذلك إنه سميع الدعاء،

هذا آخرهذه الرسالة والحمد لله وحده، وصلواته وسلامه على محمد وآله وصحبه، وسلم تسليما. .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

http: //www. alqayim. org/ar/index